القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الحادية والثلاثون العدد 9651 الأحد 1 أيلول (سبتمبر) 2019 – 2 محرم 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9651 Sunday 1 September 2019

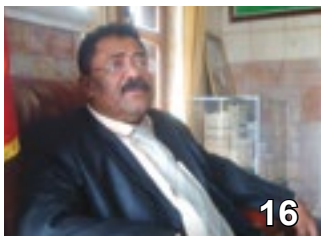

حوار: السياسي اليمني
عبد الله عوبل

طويريج العراقية:
روضة الفرات الأوسط

لماذا لم يعد مورينو
مرغوباً أو محبوباً؟

السودان: خلفيات تأجيل
إعلان الحكومة الجديدة
04

سعيد يقطين:
هاجس الجودة وواقع الرداء
23

تحقيقات: فشل الحلول
في أزمة الساحل
28

اشتداد حروب الإنابة الإسرائيلية ـ الإيرانية

بعد استهداف مستودعات «الحشد الشعبي» وقواعد «الحرس الثوري الإيراني» في العراق، شنت دولة الاحتلال الإسرائيلي المزيد من الغارات في العمق السوري فاستهدفت إحدى خلايا «حزب الله» جنوب العاصمة دمشق، كما قصفت الضاحية الجنوبية للعاصمة اللبنانية بيروت بطائرات مسيرة في خرق هو الأول لـ«قواعد الاشتباك» السارية منذ سنة 2006. ومن المعروف أنّ هذه العمليات تندرج في إطار الاشتباك الإسرائيلي ـ الإيراني المفتوح، الذي يقوم أيضاً على إشعال حروب بالإنابة، على خلفية حاجة رئيس الحكومة الإسرائيلية إلى تعزيز شخصيته الأمنية والعسكرية قبيل انتخابات الكنيست الوشيكة، وحاجة إيران إلى ممارسة الضغوط من أجل رفع العقوبات الأمريكية واستئناف العمل بالاتفاقية الدولية حول برنامجها النووي.

(حدث الأسبوع، ص 8ــ15)

■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Price List
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

اليمن: الغضب الشعبي والرسمي يتصاعد ضد الإمارات ويطالب بطردها من التحالف

قامت ميليشيا المجلس الانتقالي بأعمال وحشية انتقامية من سكان محليين تعتقد أنهم يعارضون السياسة الإماراتية في اليمن

تعز – «القدس العربي»: خالد الحمادي

هيمن الغضب الشعبي العارم على الشارع اليمني ضد دولة الإمارات العربية المتحدة، وطالب بطردها من اليمن، بعد أن تحوّلت من حليف ضمن التحالف العربي الذي تقوده السعودية إلى عدو لدود يسيطر على المناطق السيادية في اليمن ويقصف قوات الجيش اليمني التي تقاوم سياساته وتحركاته العسكرية في اليمن.

وارتفعت أصوات اليمنيين خلال اليومين الماضيين بشدة للمطالبة بطرد الإمارات من اليمن، من أعلى قمة الهرم في السلطة إلى مستوى الفعاليات الشعبية، والتي توحدت صوتها جميعا ضد التوجهات الإماراتية وعملياتها العسكرية في اليمن التي أصبحت تتحرك وكأنها قوات احتلال وتقصف بالغارات الجوية والأسلحة الثقيلة القوات الحكومية اليمنية بدم بارد، بالإضافة إلى ممارسة قواتها لأبشع أنواع القتل وإعدامات والاغتيالات والاعتقالات والتعذيب للمعتقلين وإرهاب السكان بممارساتها القمعية في المحافظات والمناطق الجنوبية التي تجاوزت بكثير ممارسات ميليشيا الانقلابيين الحوثيين في العاصمة صنعاء والمحافظات الشمالية.

وأطلق نشطاء إعلاميون يمنيون في الداخل والمهجر أمس الأول حملة إعلامية ضد الإمارات تحت هاشتاغ «#طرد_الإمارات_مطلب_يمني» كحالة من التعبير عن الغضب الشعبي ضد الإمارات وتفجير حالة الاحتقان الشعبي الذي سببته العمليات العسكرية الأخيرة للقوات الإماراتية في اليمن وعمليات القصف الجوي ضد قوات الجيش اليمني الحكومي في محافظتي عدن وأبين، وذهب ضحيتها نحو 300 عسكري ومدني خلال يومي الأربعاء والخميس الماضيين وفقا للمصادر الحكومية.

وقدّم مندوب اليمن الدائم لدى الأمم المتحدة، السفير عبد الله السعدي، الجمعة، طلبا من الحكومة اليمنية إلى مجلس الأمن الدولي يطالب بضرورة اتخاذ قرار حازم بشأن ما يجري في اليمن من تجاوزات وممارسات إماراتية، وضرورة التدخل الأممي الفوري لوقف الاعتداءات الإماراتية وتصعيدها العسكري ضد القوات الحكومية ودعم الميليشيا الانقلابية الانفصالية جنوبي اليمن.

وقال السعدي في تصريحات إعلامية إن ممارسات القوات الإماراتية خرجت عن الهدف الذي أنشأ من أجله تحالف دعم الشرعية في اليمن بقيادة السعودية، وأعلن ان القصف الجوي على القوات الحكومية في اليمن هو «تصعيد خطير وسافر وعدوان على سيادة اليمن ووحدة أراضيه».

وكانت الخارجية اليمنية، أعلنت الخميس توجيهها طلبا رسميا إلى مجلس الأمن، لعقد جلسة طارئة بشأن المدعومة من دولة الإمارات عقب قصف طيران الإمارات لقوات الجيش الوطني «من جرائم حرب وممارسات إرهابية من خلال إعدامات ميدانية للأسرى وتصفيات للجرحى في المستشفيات، ومداهمة المنازل وقتل للأفراد أمام ذويهم، اضافة إلى ما تشهده العاصمة المؤقتة عدن ومحافظة أبين من حملة اعتقالات وتصفيات بدوافع سياسية».

وأعلنت الحكومة اليمنية رفضها لما وصفتها بـ«التبريرات الزائفة» التي ساقتها دولة الإمارات للتغطية على استهدافها السافر لقوات الجيش الوطني «وهو يمارس واجبه الدستوري في الذود عن سلامة ووحدة الأراضي اليمنية، ومكافحة الإرهاب، وبما يتوافق مع ميثاق الأمم المتحدة والقوانين الدولية».

وأكدت الحكومة اليمنية أنها كانت ولا تزال شريكا فاعلا للمجتمع الدولي في مكافحة الإرهاب والتطرف بكل أشكاله وصوره، وأن «محاولة دولة الإمارات إلصاق تهمة الإرهاب بقوات الجيش الوطني هي مجرد محاولة بائسة للتغطية على استهدافها السافر وغير القانوني لقوات الجيش الوطني».

إلى ذلك أكدت مصادر محلية لـ«القدس العربي» أن ميليشيا المجلس الانتقالي المدعوم من الإمارات، قامت منذ الخميس الماضي بحملة اعتقالات واسعة ومداهمات لمنازل المدنيين في محافظات عدن وأبين، التي دارت فيها مواجهات مسلحة بين الجانبين نهاية الأسبوع المنصرم، قبل أن تتدخل الطائرات العسكرية الإماراتية لحسم المعركة بقصف القوات الحكومية.

وأوضحت مصادر حقوقية أن حملة الاعتقالات والدهم للمنازل في عدن لوحدها قدرت بأكثر من 400 حالة، طالت بعضها سكان مدنيين من المنتمين إلى المحافظات الشمالية فيما شملت البقية سكانا جنوبيين من المنتمين إلى محافظتي شبوة وأبين.

وكشفت أن ميليشيا المجلس الانتقالي قامت بأعمال وحشية انتقامية للسكان المحليين ممن تعتقد أنهم يعارضون السياسة الإماراتية في اليمن، وشملت هذه الحملة أحياء كريتر، وخور مكسر ودار سعد والمنصورة والشيخ عثمان، وقالت إن «المعتقلين تعرضوا لانتهاكات جسيمة، تصل بعضها لجرائم حرب، حيث وصلت إلى حد التصفية الجسدية بدم بارد».

الغارات الجوية الإماراتية التي قصفت قوات الحكومة الشرعية بقيادة العميد عبدربه منصور هادي نهاية الأسبوع المنصرم، وأسفرت عن مقتل وجرح أكثر من 300 من منتسبي الجيش والمدنيين.

وعقد مجلس الوزراء اليمني اجتماعا استثنائيا أقر فيه اتخاذ حزمة من الإجراءات، بما فيها موقف الحكومة اليمنية من دور ووجود الإمارات في تحالف دعم الشرعية في اليمن. وأكد مجلس الوزراء اليمني أن «الحكومة وتحت كل الظروف لن تقبل بالانتقاص من سيادة اليمن ووحدته وسلامة أراضيه».

واستنكرت الحكومة اليمنية بأشد العبارات ما قامت به ميليشيا المجلس الانتقالي الانفصالي

مرصد حقوقي يطالب بحماية اليمنيين من القصف الإماراتي

حثت منظمة حقوقية أوروبية، السبت «مجلس الأمن على التدخل العاجل لحماية المدنيين من عمليات القصف التي تنفذها طائرات حربية إماراتية على عدن وأبين (جنوبي اليمن)».

جاء ذلك في بيان أصدره المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان (غير حكومي، مقره جنيف)، السبت، وقال في بيانه، إن هناك «عمليات انتقامية صادمة ومروعة ترقى إلى جريمة حرب».

وأوضح المرصد أن «قوات الحزام الأمني المدعومة إماراتيا، تستهدف في حملات الاعتقال عسكريين ومدنيين».

ولفت إلى قيامها بعمليات «تصفية» خلال ذلك الاستهداف.

وأعرب عن الصدمة «إزاء عمليات القتل والإعدامات الميدانية خلال اشتباكات السيطرة على محافظتي عدن وأبين».

وأشار إلى أن هناك تصاعدا في عمليات الاعتقالات لمدنيين في مختلف أحياء عدن، وصلت الجمعة إلى 400 شخص.

وحذر من أن «تلك الممارسات وعمليات القتل والإعدامات وحملات الاعتقالات، من شأنها أن تثير حربا أهلية».

وانتقد «التهاون المخيف من جانب المجتمع الدولي، إزاء الحرب الدائرة في اليمن منذ 5 أعوام، وصراع السيطرة على عدن».

ما هو الهدف الروسي من تعديل عمق المنطقة منزوعة السلاح إلى 30 كم؟

سوريون يقتحمون مع الحدود التركية

اشارت وسائل إعلام روسية إلى تفاهمات جديدة بين بوتين واردوغان حول جنوب إدلب، وسط انتقادات من الأمم المتحدة للوضع الإنساني المتدهور في سوريا.

منهل باريش

أعلنت وزارة الدفاع الروسية وقف إطلاق نار أحادي الجانب من قبل النظام السوري، على أن يبدأ يوم السبت. وتزامن الإعلان مع حركة احتجاج كبيرة قرب الحدود السورية التركية، اقتحم خلالها المتظاهرون معبر باب الهوى الحدودي مع تركيا وقاموا بتكسير باصات نقل الخدمة ووصولوا إلى «نقطة الصفر» حيث يتم تبدل سيارات نقل البضائع التجارية الداخلة إلى شمال غرب سوريا. ومع محاولتهم اقتحام بوابة النقطة قامت عناصر الجندرما التركية بإطلاق النار بالهواء لتفريقهم، واستخدمت قوات مكافحة الشغب خراطيم المياه والغاز المسيل للدموع لإبعادهم عن البوابة.

فيما اقتحم مئات الشبان معبر أطمة الإنساني إلى الشمال من باب الهوى وتمكنوا من فتح البوابة الداخلية وتدفق العشرات منهم وتبعهم بعض الأسر وحاولوا التوجه إلى مدينة الريحانية التركية القريبة، لكن اعترضتهم قوات حرس الحدود التركية ومنعتهم من التوجه إلى هناك.

ودفعت الحكومة التركية بوحدات من الجندرما ومكافحة الشغب إلى الحدود السورية مع تطور الأوضاع قرب المعبرين المذكورين. ولم يسجل سقوط قتلى في الأحداث واقتصرت على جريح في منطقة أطمة وحالات اختناق بسيطة في معبر باب الهوى.

إنسانيا، انتقد موفد الأمم المتحدة إلى سوريا غير بيدرسون، الخميس في إحاطة أمام مجلس الأمن حول الأوضاع في سوريا، تصاعد العمليات العسكرية وقال: لا يمكن تعريض حياة ثلاثة ملايين مدني للخطر في منطقة إدلب، من حقهم أن يحظوا بحماية بموجب القانون الإنساني» مضيفا «يجب أن تتوقف الأفعال التي تؤدي إلى قتل السكان ونزوحهم».

وقال مساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، مارك لوكوك، أن مجلس الأمن «يستطيع اتخاذ تدابير ملموسة الآن لحماية المدنيين وضمان الاحترام الكامل للقانون الدولي الإنساني» مذكّرا بأن «ثلثي المدنيين المحاصرين في إدلب هم نساء وأطفال» منتقدا تدمير المناطق المدنية. ووصف السفير الأمريكي جوناثان كوهين النظام السوري وروسيا بغير الصادقين «حين يتحدثان على أنهما لا يسعيان إلى حل عسكري للنزاع» رافضا ذريعة مكافحة الإرهاب.

ووثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان مقتل ما لا يقل عن 969 مدنيا بينهم 261 طفلا و167 سيدة منذ بدء الحملة العسكرية الروسية في 26 نيسان (أبريل) ولغاية 27 آب (أغسطس).

على الصعيد السياسي، ألمحت وسائل إعلام روسية إلى توصل الرئيسين فلاديمير بوتين ورجب طيب اردوغان إلى تسوية جديدة متعلقة بإتفاق خفض التصعيد جرى خلالها تعديل البند الثالث من اتفاق سوتشي الموقع في 17 أيلول (سبتمبر) 2018 بين روسيا وتركيا، والذي ينص على «إقامة منطقة منزوعة السلاح بعمق 15–20 كيلومتراً داخل منطقة خفض التصعيد» ليصبح عمق المنطقة 30 كم داخل المناطق التي تسيطر عليها المعارضة.

وتهدف موسكو من تحديد هذا العمق، أولا إخراج السلاح الثقيل للفصائل وثانيا إبعاد كافة مقاتلي الفصائل التي تصفها روسيا بالمتطرفة من المنطقة المحددة بناء على البند الخامس من اتفاق سوتشي (إبعاد جميع الجماعات الإرهابية الراديكالية عن المنطقة منزوعة السلاح).

ان فرض العمق الجديد للمنطقة منزوعة السلاح يعني أن كامل منطقة ريف إدلب الجنوبي وأريحا وجسر الشغور وسراقب ومعرة النعمان وريفها وكامل ريف حلب الجنوبي وأجزاء واسعة من ريف حلب الغربي، يعني عمليا حشر الفصائل بالقرب من الحدود التركية وحصرها في مدن سلقين وكفر تخاريم وحارم.

ومع فرض عمق 30 كم تصبح طرقات الترانزيت داخل المنطقة منزوعة السلاح وهو ما سيسهل فتحها على اعتبار أن المجموعات «الراديكالية المتطرفة» ستكون خارج المنطقة تلقائيا حسب نص الاتفاق القديم.

وفي ظل التكتم التركي الشديد على ما آلت اليه الأمور بعد لقاء الرئيسين فيما يتعلق بتسوية جديدة، من غير المستبعد أمام الضغط الروسي الشديد على الأرض وضعف الموقف التركي، أن يصح ما ورد من تسريبات سابقة حول عزم روسيا إخراج الفصائل كلها من المنطقة منزوعة السلاح الثقيل وعدم اقتصار ذلك على الفصائل الجهادية أو على السلاح الثقيل، ويعزز تلك الفرضيات ما تناقلته صفحات مقربة من النظام وميليشيا النمر التي يقودها سهيل الحسن، والتي تحدثت عن عودة مؤسسات الدولة والمخافر الشرطية برعاية روسية تركية مشتركة مقابل تجنيب معرة النعمان وسراقب عملية عسكرية والسيطرة بالقوة على الطريق الدولي.

السيناريو أعلاه هو الأقرب لأهداف روسيا واستراتيجيتها من سيناريوهات أخرى. وهو الذي تعمل عليه تركيا وربما تفضله كي لا تخسر إدلب بشكل كبير، وهو سيناريو فتح طريقي M5 و M4 وتعهدها بضمان سلامته. لكن يبقى هذا الاحتمال منوطا باعتراض روسي هدفه تواجد الشرطة العسكرية على الطريقين على شكل دوريات منسقة مع القوات التركية. وهنا تدرك أنقرة صعوبة ضبط الفصائل الجهادية والجهد الكبير الذي ستتحمله في تأمين الطريق وهو أمر شبه مستحيل. فأمن الطريق لا يقتصر على هيئة «تحرير الشام» التي أعلن قائدها الجولاني عن استعدادها لفتح الطريق، وانما سببه وجود الفصائل المرتبطة بالقاعدة «حراس الدين» وباقي الفصائل الجهادية مثل «أنصار التوحيد» و«جبهة أنصار الدين» و «القوقاز» و«الحزب الإسلامي التركستاني لنصرة أهل الشام».

ويزيد سوء مستقبل إدلب غياب الفاعلية السياسية عنها. فالمعارضة الرسمية غارقة بتجاذبات سياسية داخلية وانشغالها بتشكيل حكومتها المؤقتة وحراك سياسي ومدني «إدلبي» باهت معطل بسبب تحجيمه من قبل تحرير الشام تمثله «الهيئة السياسة في محافظة إدلب». ومع غيابها يغيب وفد المعارضة العسكرية إلى أستانة والذي ينتظر أيضا ما سيتوصل إليه الأتراك بدون دراية كافية أو مشاورات معه، في حين ينتظر السوريون منه مصارحة ومكاشفة حول إتفاق سوتشي الذي ارتهنت مصائرهم فيه.

باختصار

البشير يكشف تفاصيل استلامه أموالا من السعودية

الخرطوم – كشف الرئيس السوداني المعزول عمر البشير، السبت، تفاصيل جديدة بخصوص استلامه أموالا بشكل شخصي من ولي العهد السعودي محمد بن سلمان.

جاء ذلك خلال جلسة محاكمته الثالثة في العاصمة الخرطوم، في قضايا تتعلق بالثراء الحرام والمشبوه، والتعامل غير المشروع بالنقد الأجنبي.

وأقر البشير أثناء استجوابه، تلقيه 25 مليون دولار من ولي العهد السعودي محمد بن سلمان «عبر اتصال دار بين مدير مكتبه ومدير مكتبي، حاتم حسن بخيت» بدون توضيح تاريخ ذلك.

كاليفورنيا: طعن لاجئ فلسطيني مدان بقتل روبرت كنيدي في محبسه

لوس انجليس – ذكرت تقارير إعلامية أن سرحان سرحان، اللاجئ الفلسطيني المدان بإطلاق النار على مرشح الرئاسة الأمريكية روبرت كنيدي مما أدى لوفاته في عام 1968 أصيب بطعنات في محبسه بكاليفورنيا.

وكان موقع «تي.إم.زد» الإلكتروني لأخبار المشاهير أول من أعلن نبأ طعن سرحان (75 عاما) نقلا عن مصادر لم يحددها.

مواجهات عنيفة في محيط برلمان هونغ كونغ خلال تظاهرة

هونغ كونغ – أطلقت الشرطة السبت الغاز المسيّل للدموع لمحاولة تفريق تظاهرة عنيفة قرب برلمان هونغ كونغ حيث تحدى عشرات آلاف الأشخاص قرار منع التظاهر والأمطار لاجتياح أحياء عدة في المستعمرة البريطانية السابقة، مجددا.

وكانت الشرطة برّرت عدم ترخيص التظاهرة الحاشدة الجديدة السبت بخطر حصول أعمال عنف مذكرةً بمواجهات الأحد الماضي، التي كانت الأخطر منذ بدء الاحتجاجات في حزيران/يونيو.

المعارضة الروسية تنظم احتجاجا بدون تصريح قبيل انتخابات مثيرة للجدل

موسكو – نظم أنصار المعارضة السياسية الروسية مسيرة احتجاجية بدون تصريح وسط موسكو أمس السبت، قبل أسبوع من انتخابات مثيرة للجدل.

وهذه المسيرة هي الأحدث في سلسلة من الاحتجاجات في عطل نهاية الأسبوع، بدأت الشهر الماضي بسبب منع خوض العديد من مرشحي المعارضة انتخابات مجلس مدينة موسكو المقررة يوم 8 أيلول/سبتمبر المقبل.

ترامب يقيل سكرتيرته بسبب تعليقها على بناته

واشنطن – أقال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب سكرتيرته مادلين ويسترهاوس، على خلفية إدلائها بتصريحات «طائشة» عن أبنائه، وصفها بأنها «كانت مؤلمة قليلا». وقال ترامب، إن «تصريحات ويسترهاوس عن أنه لا يريد التقاط صور مع ابنته تيفاني خاطئة تماما». وأضاف «أنا أحب تيفاني.. تيفاني شخصية عظيمة».

حركة طالبان تشنّ هجوماً على مدينة قندوز الأفغانية

قندوز – شن متمردون من حركة طالبان السبت هجوماً من عدة اتجاهات على قندوز، المدينة الاستراتيجية الواقعة شمال أفغانستان والتي تعرضت لهجمات متكررة منذ 2015.

ويأتي الهجوم الذي لا يزال جارياً في وقت تسعى الولايات المتحدة وأفغانستان في الدوحة إلى التوصل لاتفاق يؤدي إلى انسحاب آلاف العسكريين الأمريكيين من أفغانستان مقابل ضمانات أمنية عدة.

وقال مسؤولون إن العملية بدأت حين تقدّم مقاتلون من طالبان داخل المدينة انطلاقاً من اتجاهات متعددة.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9651 الأحد 1 أيلول (سبتمبر) 2019 – 2 محرم 1441 هـ

السودان يؤجل إعلان حكومته الجديدة

تعيين الوزراء خضع لمناقشات مطولة داخل مكونات الحرية والتغيير تسببت في تأجيل الحكومة.

مصعب محمد علي

عبد الله حمدوك

حددت المادة الملحقة بالإعلان الدستوري السوداني تعيين الوزراء في 31 آب/اغسطس الماضي، بعد رفعها لمجلس السيادة واعتمادها، إلا أن تعيين الوزراء خضع لمناقشات مطولة داخل مكونات الحرية والتغيير، تسببت في تأجيل الحكومة السودانية الجديدة.

المعايير التي حددها رئيس الوزراء عبد الله حمدوك في اختيار الوزراء هي الكفاءة، ووفقاً لحاتم قطان عضو الفريق المساعد لرئيس الوزراء، أن حمدوك ما زال يدرس القوائم التي وضعت أمامه من قبل «الحرية والتغيير» وتحفظ على بعض الأسماء المرشحة مثل وزارات الصناعة والآثار والسياحة، كما طلب هواتف بعض المرشحين لمزيد من التدقيق. إلى ذلك دخلت قوى الحرية والتغيير مساء الجمعة الماضي في اجتماع مطول لمناقشة الترشيحات التي تسربت وتناقلتها وسائط التواصل الاجتماعي.

إلا أن عضو فريق رئيس الوزراء حاتم قطان أكد لـ«القدس العربي» أن الأسماء المتداولة غير صحيحة، وما هي إلا تخمينات فقط.

وفي رده على أسباب التأجيل قال قطان إن الحكومة الجديدة، يجب أن تخضع لفحص دقيق، وأشار إلى أن الاستعجال في التعيين، قد يسبب أزمة، يصعب تداركها مستقبلاً، وذكر أن رئيس الوزراء دخل في اجتماع مع المجلس السيادي بخصوص الترشيحات، واتفق على تأجيل إعلان حكومته لمدة 48 ساعة.

القيادي في قوى الحرية والتغيير خالد عمر اتفق مع قطان حول أسباب التأجيل حين قال: «من الصعب أن يفرغ رئيس الوزراء من دراسة قائمة المرشحين وإعلان الحكومة الانتقالية خلال يوم واحد» ورجح أن تستغرق دراسة قوائم المرشحين من قبل رئيس الوزراء حمدوك، مزيداً من الوقت.

الوزارات التي حددها حمدوك عددها 15 إلى جانب أربعة مجالس ووزارتين دفع بهما المكون العسكري داخل مجلس السيادة، وهما الداخلية والدفاع.

وفي سؤال «القدس العربي» للفريق شمس الكباشي عن هوية الأسماء التي دفع بها المكون العسكري لوزارتي الداخلية والدفاع قال: «ما زلنا في طور المناقشات، وسنشرك الحرية والتغيير في عملية الاختيار» وكشف عن نيتهم إختيار الفريق شرطة الطريفي ادريس وزيراً للداخلية، أما وزارة الدفاع فهناك أكثر من اسم يجرى التشاور حولهم.

وسبق وأن أبدى الكباشي اعتراضا على كل الأسماء بحجة عدم التشاور، وأشار إلى أن الحرية والتغيير ارتكبت خطأ إجرائيا، حين سلمت أسماء المرشحين لرئيس الوزراء من دون العودة إلى مجلس السيادة، لكنه عاد وقال: «بعد اتصالات تمت معهم استجابت الحرية والتغيير وسلمتنا قوائم المرشحين» وكشف شمس الدين عن اتفاق تم بين الطرفين للاجتماع بغية التشاور.

وأكد أن الرأي النهائي بيد رئيس الوزراء، عكس ما روجت وسائل إعلامية أن المكون العسكري لن يشرك طرفاً في عملية الاختيار التي تحتاج إلى التناغم والانسجام، في مرحلة مفصلية من تاريخ السودان.

ويرى الدكتور محمد علي الجزولي رئيس حزب «دولة القانون والتنمية» أن تأجيل الحكومة، يدلل على المحاصصة التي تتبعها الحرية والتغيير، وذكر لـ«القدس العربي» أن «المعايير التي ظلت تتحدث عنها الحرية والتغيير، معايير حزبية أكثر منها كفاءات» وقال «لا يستطيع أحد أن ينفي وجود خلافات بين مكونات الحرية والتغيير في عملية الترشيح، وهي التي أجلت إعلان الحكومة الجديدة، عكس ما يروج» ولم يستبعد الجزولي فشل حكومة حمدوك، وتوقع أن يلجأ إلى اختيارات من خارج القوائم المقدمة له، الجزولي قال ترشيح الوزراء ليس من حق الحرية والتغيير فقط.

وأضاف: «ليس ثمة ما يمنع أن يكون هناك وزراء من خارجها، وبالتالي فإن التشاور والتأكد من الاستقلالية في هذه المرحلة مسؤولية وطنية».

وقال الفريق ياسر العطا لـ«القدس العربي» إن «اعتماد الوزارة أو رفضها شأن مشترك بين مجلس الوزراء ومجلس السيادة» وحذر العطا من المحاصصة التي كما قال ستعيق الفترة الانتقالية، ولا يرى العطا مانعاً أن يكون الوزراء من خارج قائمة الحرية والتغيير في حال فشلت في الاختيار، بسبب الخلافات الحزبية.

ونفت القيادية في قوى الحرية والتغيير حواء رحمة بشدة حدوث أي خلافات الوزراء إلى رفض كل القوائم المقدمة من حول الأسماء المرشحة وأكدت لـ«القدس العربي» أنه «ليس هناك أي مرشح ارتبط بالنظام السابق ولا تحوم حولهم شبهات فساد وأن اختياراهم يتم وفق المعايير المتفق عليها مسبقاً».

وبعث نائب الحركة الشعبية لتحرير السودان ياسر عرمان برسالة إلى رئيس الوزراء السوداني أطلق خلالها تحذيرات جدية من خطورة الوضع القائم الآن حول تعامل رئيس مجلس الوزراء عبد الله حمدوك، وأكد عضو فريق مجلس الوزراء حاتم قطان أن حمدوك بالفعل تسلم الرسالة، ووضعها في جدول الاهتمامات، مشيراً إلى انه سيضع السلام في مقدمة مهامه. وأشار إلى أن عرمان حذر من المخاطر الأمنية التي تواجه السودان حالياً، وطالب بضرورة مراعاة حقوق المواطنة بلا تمييز والانتقال من دولة أحادية إلى دولة تنوع، والابتعاد عن المحاصصة التي بدأت تسيطر على المشهد السياسي في السودان وتسببت في تأجيل الحكومة الجديدة.

من جانبها دعت الجبهة الثورية رئيس الوزراء إلى رفض كل القوائم المقدمة من قبل الحرية والتغيير وإجراء مشاورات أوسع قبل تكوين حكومته مع الجميع لاسيما الجبهة الثورية، وشددت على أنها طرف أصيل ومؤسس لقوى الحرية والتغيير، ولم يتم الاتصال بقيادتها.

وأشارت إلى أن ما يحدث الآن هو المحاصصة في أقبح صورها التي ادعى البعض زهدهم فيها، ولن تؤدي إلى تحسين معاش الناس وتحقيق السلام والمواطنة والديمقراطية.

وقالت الجبهة في بيان تلقت «القدس العربي» نسخة منه «إن تكوين مؤسسات الفترة الانتقالية يصاحبها خلل كبير، سيعجل بفشل حكومة حمدوك الجديدة».

Volume 31 - Issue 9651 Sunday 1 September 2019

الطائرات المُسيرة تحسم الصراع في ليبيا وأمريكا تُمهدُ لاستعادة وجودها العسكري على الأرض

تزايد الاعتماد على الطيران المُسير في عمليات الاستطلاع والتوجيه وضرب الأهداف المعادية، شكل فرصة لاختبار أنواع مختلفة من السلاح.

رشيد خشانة

يتأكد يوما بعد يوم، أن الولايات المتحدة في مقدمة المستفيدين من المآل الذي انتهت إليه الأوضاع في ليبيا، بعد قرابة خمسة شهور من اندلاع الحرب الأهلية الثالثة، أو ما بات يُعرف بـ«حرب طرابلس». واستطاع الأمريكيون تحصيل غطاء شرعي لتدخلهم المباشر، خلال الاجتماع الأخير، الذي ضم قائد قوات أفريكوم (القيادة الأمريكية لأفريقيا) الجنرال ستيفن تاونسند ورئيس حكومة الوفاق فائز السراج، بمشاركة السفير الأمريكي الجديد لدى ليبيا ريتشارد نورلاند. واتضح من البيان المقتضب، الصادر في أعقاب الاجتماع، أن الجانبين أكدا على أهمية إقامة «علاقات جديدة بينهما» على أساس مواجهة الخطر الراهن، الذي يُمثله «التنظيم العنيف» في إشارة إلى «تنظيم الدولة» وفي درجة ثانية شبكة «القاعدة».

وفي السياق عبر العقيد كريس كارنس، المتحدث باسم أفريكوم، في رسالة بالبريد الإلكتروني إلى صحيفة الجيش الأمريكي «ميليتاري تايمز» عن القلق من أن الحرب المستمرة منذ ثماني سنوات في ليبيا، يمكن أن تمنح أوكسجينا للفروع الإرهابية، وتُوفر أرضًا خصبة للمنظمات المتطرفة العنيفة. وأكد أن هذا الوضع «تتم مراقبته بعناية، كما يجري العمل على حوار مكثف وشامل للدفع باتجاه حل سياسي في البلد». وأفاد أن أفريكوم نفذت ست غارات جوية في ليبيا العام الماضي، وسبع في عام 2017 في إطار عمليات «مكافحة الإرهاب رداً على تهديدات الجماعات العنيفة»، على ما قال، مُوضحا أنه لم تُنفذ أي غارات جوية جديدة في عام 2019. وعزا ذلك إلى «تراجع التهديد الإرهابي، إلى حد كبير، قبل تصاعد التوترات الأخيرة في ليبيا» (أي حرب طرابلس).

واللافت أن أفريكوم، التي ظلت تحتفظ بوجود صغير في ليبيا، اعتبارا من عام 2011 في أعقاب الإطاحة بنظام القذافي، بعنوان مساعدة القوات المحلية على مُكافحة التنظيمات الإرهابية المتطرفة، سحبت قواتها من ليبيا في نيسان/ابريل الماضي، بعد انطلاق هجوم حفتر على طرابلس. إلا أن كارنس أكد أن واشنطن مهتمة بإعادة قواتها إلى ليبيا، وهي تدرس موعد وعدد القوات التي ستعود.

واستهدفت الغارات الجوية الأمريكية، في مناطق ليبية مختلفة، تصفية عناصر تشتبه المخابرات الأمريكية بكونها من قيادات «داعش» و«القاعدة». والملاحظ أن الادارات الأمريكية المتعاقبة ظلت حذرة من تعزيز وجود قواتها على الأرض، في ليبيا، منذ مقتل سفيرها السابق في بنغازي جون كريستوفر ستيفنز، في أيلول/سبتمبر 2012. والظاهر أن الأمريكيين يطبخون شيئا ما في هذا الاتجاه، سيجعلهم يتخلون عن اعتبار الملف السياسي الليبي من أنظار حلفائهم الأوروبيين، ويتعاطون معه مباشرة، لكن بغطاء أممي، وهذا هو المغزى من اجتماع كل من الجنرال تاونسند والسفير نورلاند مع رئيس بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا غسان سلامة، أخيرا في تونس. وكان القائد العسكري الأمريكي واضحا، حين شدد على ضرورة ألا تشعر التنظيمات العنيفة أنها تستطيع استثمار غياب الاستقرار في ليبيا «من أجل إحلال الفوضى وتحقيق أهدافها» على ما قال تاونسند. ويجوز القول إن الجانب الأمريكي مهد لهذا الموقف، خلال قمة السبع الأخيرة في بياريتز، التي أصدرت بيانا في شأن الوضع الليبي، يختلف عن البيانات النمطية السابقة.

ثلاثة عناصر جديدة

أتى البيان بثلاثة عناصر جديدة أولها دعم مبدأ إعلان هدنة طويلة الأمد بين الطرفين المتقاتلين، وثانيها عقد مؤتمر دولي لإيجاد حل سلمي للصراع في ليبيا، بالرغم من علم «السبعة» أن ثلاثة مؤتمرات دولية في السنتين الأخيرتين (باريس1 وباريس2 وبالليرمو) لم تُحقق هذا الهدف. أما العنصر الثالث فهو دعم مجموعة السبع جهود الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي لعقد مؤتمر مصالحة ليبية يساعد على إنجاح المؤتمر الدولي.

لم يُخف السفير نورلاند رغبة حكومته في تأمين الظروف الملائمة لعودة قوات «أفريكوم» إلى ليبيا. وبالرغم من أن «أفريكوم» لم تعد تملك حاليا قوات على الأرض في ليبيا، مثلما أسلفنا، لم ير السفير غضاضة في التصريح بأن القيادة العسكرية الأمريكية تدرس «فرص نشر وجود عسكري أمريكي جديد (في ليبيا) عندما تسمح بذلك الظروف الأمنية».

إلا أن الوضع الراهن في ليبيا يختلف عن الأوضاع السابقة بعد ثلاثة حروب أهلية، الأولى في 2011 ضد حكم الزعيم الراحل معمر القذافي، والثانية في 2014 بين قوات «فجر ليبيا» (غرب) والقوات المؤيدة للقائد العسكري للمنطقة الشرقية خليفة حفتر، والحرب الثالثة هي التي أطلقها الجنرال حفتر للاستيلاء على طرابلس، أكبر مدن البلد في مطلع نيسان/ابريل الماضي.

وكان نجله خالد حفتر على رأس الكتيبة الأولى التي غزت التخوم الجنوبية لطرابلس بشكل مفاجئ، بعد السيطرة على نقطة التفتيش 27 الواقعة بين طرابلس والزاوية، على الساحل المتوسطي. وحققت الحرب الأهلية الراهنة أعلى مستوى من التعبئة العسكرية بين الحروب الثلاثة، حسب الخبراء، ما جعل آثارها السلبية كبيرة في خلخلة البنية المجتمعية وتهديد استقرار الاقتصاد، القائم أساسا على ضمان تدفق النفط والغاز الطبيعي.

وطفت على السطح مجددا الانقسامات القديمة بين كتائب الثوار والقوات الموالية للنظام السابق في حرب 2014 إذ تماهت غالبية «الثوريين» مع حكومة الوفاق في طرابلس، فيما اصطفت المناطق والقوى المتحدرة من النظام السابق مع الجنرال حفتر. ولعبت أطراف أخرى على الحبلين ساعية إلى تحقيق منافع أكبر أسوة بالكانيات (أسرة كاني) في ترهونة، التي انضمت إلى حفتر، بعدما وعدت أقطاب مدينة مصراتة بالوقوف في صفهم. كما أن القائد العسكري الزنتاني أسامة الجويلي، ساهم في الإبقاء على غالبية الجماعات المسلحة في مدينة الزاوية الاستراتيجية (غرب طرابلس) في صف الموالين لحكومة الوفاق.

أكثر من ذلك كانت هناك شخصيات من مصراتة تناقش مع موفدين لحفتر إسناد حقائب وزارية ومناصب عسكرية لها في إطار الاتفاق الذي كان السراج توصل إليه مع حفتر خلال لقائهما في أبو ظبي أواخر آذار/مارس الماضي، لتشكيل حكومة انتقالية. بهذا المعنى كانت الأوراق مختلطة، قبيل إطلاق الهجوم على طرابلس، إذ كان قادة جماعات مسلحة من طرابلس ومصراتة فاتحين خطوطا مع القائد العسكري المعين من البرلمان، إلا أن الغالبية الساحقة لتلك القوى تكتلت مع بعضها البعض، منذ الأيام الأولى لاندلاع «حرب طرابلس» مُعتبرة أن حفتر خدعها.

احتكاكات بين الجماعات

مع ذلك لا يستبعد خبراء في الشأن الليبي أن يكون الصراع الحالي في غرب البلد فرصة للمضي سريعا في إيجاد حلول لهشاشة الأمن في العاصمة طرابلس، من خلال تسريع تدريب القوات النظامية التي تعمل حكومة الوفاق على تشكيلها. غير أن المنافسة، والاحتكاكات في كثير من الأحيان، بين الجماعات المُنتشرة في العاصمة تُعطل هذا المسار. ويجوز القول إن ما يُوحدها حاليا، ليس أكثر من الصراع مع قوات حفتر، الذي بات العنصر الحاسم في التآلف بينها.

وفي تقدير لحجم القوات المتقابلة على الجانبين في «حرب طرابلس» توقع الخبير آرنو دولالند ألا تتجاوز القوات الموالية لحفتر 25 ألف عنصر، علما أن عملها بات معقدا وصعبا بعد خسارتها مقر قيادتها السابق في غريان أواخر حزيران/يونيو الماضي. وتستخدم قوات حفتر، بحسب دولالند، 15 طائرة حربية غالبيتها من طرازي «ميغ 21» و«ميغ 23» سوفييتية الصنع، وعددا لم يُحدده من الموروحيات، بعضها مخصص للنقل وبعضها الآخر قتالي.

والأرجح أن حكومة الوفاق تملك عددا مماثلا من الطائرات الحربية من طراز «ميراج» فرنسية الصنع. واستخدم الطرفان ما يملكان من مقاتلات وقاذفات في الأيام الأولى من الحرب، إلا أن إسقاط بعضها، حملهما على إعطاء الأولوية للطائرات المُسيَرة. وما لبثت أن ظهرت في سماء غريان، في الأيام الأولى للهجوم العسكري، صواريخ مضادة للمدرعات من طراز «بلو أرو 7» صينية الصنع، أطلقتها قوات حفتر، وكانت تحملها طائرات مُسيرة.

وكان الاماراتيون دعموا حفتر اعتبارا من حزيران/يونيو 2016 بأسطول من طائرات بلا طيار من طراز «وينغ لونغ» صينية الصنع، كانت متمركزة في قاعدة «الخادم» الجوية، شرق المرج، معقل حفتر. في المقابل قبلت تركيا تزويد القوات المؤيدة لحكومة الوفاق، أربع طائرات مسيرة من طراز «بيرقدار» يبلغ طول الواحدة منها ستة أمتار، وحمولتها نحو 650 كيلو، ويمكن أن تصيب هدفها من مسافة لا تقل عن ثمانية كلم. كما أرسلت تركيا أيضا، في الفترة نفسها، أكثر من 50 عربة مصفحة إلى حكومة الوفاق، عبر ميناء طرابلس. وتم توزيع الطائرات على القاعدتين الجويتين في معيتيقة قرب طرابلس ومصراتة.

ويعتقد دولالند أن اقتناء طائرات عسكرية مسيرة أتاح للطرفين المتحاربين التعويض عما خسراه من طائرات حربية، ومنها طائرة «ميغ» التي فر الطيار على متنها إلى تونس، رافضا تنفيذ أوامر من قوات حفتر، بقصف مناطق مأهولة بالسكان. كما أن خبراء أتراكا رافقوا طائرات بيرقدار المُسيرة، لمساعدة الليبيين على تشغيلها، لأنهم لا يملكون خبرة في استخدام هذا النوع من الطائرات المُسيرة. وحسب دولالند تم تدمير اثنتين منها بينما كانتا رابضتين في مطار معيتيقة العسكري. ويُرجح أن طائرات إماراتية قصفت أيضا مطار قاعدة معيتيقة العسكري يوم 6 حزيران/يونيو الماضي، في إطار حرب مفتوحة مع حكومة الوفاق برئاسة السراج. بهذا المعنى أضحت ليبيا حقل تجارب للأسلحة الجديدة، فقد تزايد الاعتماد على الطيران المُسير في عمليات الاستطلاع والتوجيه وضرب الأهداف المعادية، ما شكل فرصة لاختبار أنواع مختلفة من السلاح. ولوحظ أن القواعد الجوية في الشرق، كما في الغرب، باتت الهدف الرئيس لهجمات بالطائرات المسيرة، وأن كل غارة جوية من أحد الطرفين يردُّ عليها الثاني بضربة جوية من طائرة مُوجهة، من دون الحاجة إلى استخدام القاذفات التقليدية.

ومع تصاعد المعارك، تسعى الأطراف الدولية للدفع في اتجاه عودة الفرقاء إلى مائدة الحوار، بحثا عن حل سياسي. غير أن المؤسسات التي يمكن أن تقود هذا المسار باتت اليوم فاقدة للشرعية، من «المؤتمر الوطني العام» (2012) إلى البرلمان (2014) إلى حكومة الوفاق المُعترف بها دوليا (2015) وانتهاء بالحكومة المؤقتة في الشرق، الموالية لحفتر. وعندما يُشدد قائد قوات «أفريكوم» الجنرال تاونسند في تصريحاته الأخيرة على «إصرار» الولايات المتحدة على إطلاق «حوار مفتوح وشفاف» حول المسائل الأمنية المستعجلة في ليبيا، فذلك يُؤشر على بداية اهتمام أمريكي جديد بالملف الليبي ما زالت ملامحه لم تتوضح بعدُ.

السباق نحو قرطاج: منافسة شرسة وحظوظ متساوية

هناك حديث عن مال سياسي خارجي وصل إلى بعض الأحزاب والمرشحين لضمان حظوظهم في الفوز ولم يجر الاهتمام كما يجب بهذه المسألة إعلاميا.

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

انطلقت الحملة الانتخابية للاستحقاق الرئاسي التونسي وسط منافسة شديدة من قبل أربعة أو خمسة مرشحين من أصل ستة وعشرين مترشحا فيهم الغث وفيهم السمين وإن كانت الترشحات «الطفيلية» هي الطاغية على المشهد الانتخابي التونسي. وإن كان البعض يؤكد على أن عبد الفتاح مورو هو المرشح الحقيقي والفعلي لحركة النهضة فإن البعض الآخر يصر على أن للنهضة مرشح آخر خفي ستراهن عليه في الدور الثاني ولا تعلن عنه حتى يستطيع أن يغنم الكثير من أصوات الطرف المقابل وأغلب الظن أنه رئيس الحكومة المتخلي وقتيا يوسف الشاهد.

ورغم القبض عليه وإيداعه في غياهب السجون فإن رئيس حزب قلب تونس ومدير قناة «نسمة» التلفزيونية نبيل القروي ما زال يحتل المرتبة الأولى في نوايا التصويت، وكذا حزبه قلب تونس بالنسبة للانتخابات التشريعية. ويمثل صاحب قناة «نسمة» بالفعل ظاهرة تستحق الدرس استطاعت أن تخطف الأضواء نتيجة لاهتمام القروي بما أهملته الأحزاب السياسية الكبرى، أي الجانب الاجتماعي، ومده لبد العون لضعاف الحال والمستضعفين في الأرض من خلال جمعيته الخيرية خليل تونس. ويؤكد جل المحللين على أن إيداع نبيل القروي السجن والخلل الإجرائي الذي صاحب عملية الاعتقال زاد من شعبيته في صفوف عديد التونسيين الذين دأبوا على التعاطف مع كل من تستهدفه أجهزة الدولة بقطع النظر عما ارتكبه من أفعال. وذهب البعض إلى حد القول إن القروي سيحمل على الأعناق من سجن المرناقية مباشرة إلى القصر الرئاسي بقرطاج بعد الإعلان عن نتائج الانتخابات يوم 15 أيلول/سبتمبر الجاري.

لقد أسدى خصوم القروي لخصمهم خدمة مجانية بعد التحريض على إيداعه السجن خاصة بعد حملة التعاطف غير المسبوقة معه من قبل مواطنين وإعلاميين ونشطاء مجتمع مدني وسياسيين سواء بصورة منفردة أو من خلال أحزابهم ومنظماتهم الوطنية. كما حظيت قضية القروي بمتابعة إعلامية غير مسبوقة خارج الديار سواء عربيا أو دوليا، الأمر الذي يبدو أنه خدم الأخير تسويقا لصورته لدى الجاليات التونسية في الخارج التي تشارك في التصويت في الاستحقاقات الانتخابية.

وما زالت نقطة ضعف المرشح الرئاسي وزير الدفاع المستقيل عبد الكريم الزبيدي هي ضعف قدرته على الخطابة وعلى التواصل مع الجماهير وذلك بخلاف ما كان عليه الوضع مع الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي أو الرئيس الحبيب بورقيبة اللذين عرف عنهما فن الخطابة. فالزبيدي الطبيب الذي حصد شهادات علمية بالجملة في ميدانه أهلته لينال خطة كاتب دولة للبحث العلمي ثم وزيرا للصحة في زمن بن علي، فوزيرا للدفاع بعد الثورة سواء في زمن الترويكا بقيادة حركة النهضة أو في عهد الباجي قايد السبسي، لا يبدو أنه تمكن من الإقناع إلى حد الآن بأنه المستحق الفعلي لقصر قرطاج.

ويرى البعض في المرشح الرئاسي مهدي جمعة رئيسا للحكومة مجددا بعد أن كلف بالمنصب في سنة 2013 ولا يرى هؤلاء في جمعة رئيسا للجمهورية رغم أن حظوظه وافرة للمرور إلى الدور الثاني. فهو من فئة التكنوقراط حديثي العهد بعالم السياسة والذين منحوا مباشرة مناصب عليا في الدولة من دون المرور بالقاعدة وصولا إلى أعلى الهرم ومن دون أن ينشطوا في أحزاب سياسية خضعوا فيها لتكوين، بل أسسوا أحزابا ونصبوا أنفسهم رؤساء لها.

ويتساءل البعض هل من حظوظ لعبير موسي في الوصول إلى قرطاج مستندة على أنصار بن علي الرافضين لنتائج ثورة 14 كانون الثاني/يناير 2011 والذين يعتبرونها انقلابا على النظام من الخارج؟ هل يمكن لموسى أن تصبح رئيسة لتونس في سابقة لم تحصل حتى في الولايات المتحدة وفرنسا اللتين تفتخران بالديمقراطية والمساواة؟

ولـلإشارة فإن رئيسة الحزب الدستوري الحر ترشحت أيضا للانتخابات التشريعية عن دائرة تونس 2 وتبدو حظوظها وافرة لتصبح نائبة في البرلمان خاصة وأن القانون لا يمنع من أن تترشح للاستحقاقين الرئاسي والبرلماني. ويرى البعض أنها لم تترشح في دائرة تونس 1 تجنبا للمنافسة مع الشيخ راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة الذي ترشح كرئيس لقائمة حزبه لهذه الدائرة الأولى للعاصمة.

وهناك حديث عن مال سياسي خارجي وصل إلى بعض الأحزاب والمرشحين الرئاسيين لضمان حظوظ هذا الطرف أو ذاك في الفوز ولم يقع الاهتمام كما يجب بهذه المسألة إعلاميا. والحقيقة أنه وبعد قطع التمويل العمومي على الأحزاب بعد الثورة ارتبطت أهم الأحزاب السياسية التونسية بجهات خارجية أنفقت عليها بسخاء ورهنت قرارها الوطني.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9651 الأحد 1 أيلول (سبتمبر) 2019 – 2 محرم 1441 هـ

الجزائر: هيئة الحوار تتقدم وسط حقل ألغام والحراك يستعد لبعث روح جديدة مع الدخول الاجتماعي

الحراك الشعبي متواصل رغم كل الصعوبات والمعوقات، بل يستعد لاسترجاع أنفاسه من أجل الشوط الثاني من المعركة التي يقوم بها من أجل تحقيق المطالب التي ما زالت عالقة.

الجزائر ـ «القدس العربي»: كمال زايت

دخل الحراك الشعبي في الجزائر جمعته الـ 28 منذ انطلاق شراراته في 22 شباط/فبراير الماضي، أكثر من ستة أشهر مرت على هذه الانتفاضة الشعبية التي غيرت وستغير وجه الجزائر، والتي وضعت نقطة تحول في المسار السياسي الذي رسمه آل بوتفليقة للسلطة، الذين أرادوا استعباد الجزائريين إلى الأبد ونهب خيرات البلاد حتى تصل إلى حالة إفلاس، ثم الهرب إلى ملاذات آمنة للعيش تحت الشمس وفي الظل بالأموال التي نهبوها طوال عقود من جلوسهم على عرش الجزائر.

الأزمة الجزائرية ما زالت تراوح مكانها، رغم التقدم البطيء الذي تقوم به هيئة الحوار والوساطة التي يقودها كريم يونس، عمل تقوم به وسط حقل ألغام ومجموعة من العراقيل، فرغم نجاحها في الجلوس إلى عدد كبير من الأحزاب والجمعيات والنشطاء، وتمكنها من الإقناع بفكرة الحوار كمبدأ للبحث عن مخرج من الأزمة السياسية التي تعيشها البلاد، إلا أنه لا يمكن أن نقول إن هذه الهيئة التي ولدت ولادة عصيبة، تعاني من مشكل مصداقية، كما أنها تخوض في مواضيع أكبر من طاقتها (على الأقل حسب ما هو ظاهر) وهي غير قادرة على تنفيذ ما وعدت به قبل أن تشرع في مهمتها، خاصة ما تعلق بما سمته إجراءات التهدئة التي طرحتها قبل أن تقبل لعب دور الحوار والوساطة، والتي عرضتها على رئيس الدولة المؤقت عبد القادر بن صالح، والذي وافق عليها، لكنه وإلى غاية كتابة هذه السطور لم يلتزم بها، خاصة ما تعلق بإطلاق سراح سجناء الحراك وتحرير وسائل الإعلام من الضغوط ورفع الطوق الأمني عن العاصمة خلال أيام المظاهرات.

ورغم أن كريم يونس ومن معه حاولوا طوال الأسابيع الماضية عدم التوقف عند قضية إجراءات التهدئة مفضلين الشروع في العمل، وانتظار أن تستجيب السلطة إلى مطالبهم، خاصة وأن قائد أركان الجيش الذي يعتبر الرجل الأقوى في النظام حاليا، أضحى يشيد بالهيئة وبالجهود التي تقوم بها على طريق إقناع مختلف أطراف الأزمة السياسية، لكن مع مرور الأيام والأسابيع بدأت هيئة الحوار والوساطة تنزعج من تأخر السلطة وتماطلها في الاستجابة لإجراءات التهدئة، والتي تفقد الهيئة مصداقيتها، وهو الأمر الذي قد يدفع كريم يونس إلى رمي المنشفة، وهو أمر إن تم سيؤدي إلى هدم كل الجهود التي تبذل من أجل الذهاب إلى حوار يفضي إلى تهيئة الأجواء التي تمكن من تنظيم انتخابات رئاسية، وهو الأمر الذي يحث عليه قائد الأركان في كل خطاباته، وإذا لم تسرع السلطة في لملمة الوضع والاستجابة إلى مطالب هيئة الحوار، والتي تعتبر مجرد إجراءات تهدئة، في انتظار إجراءات أخرى وقرارات أهم وأكثر صعوبة ما زالت في الانتظار، والتي ستكون خلاصة مطالب الأحزاب والجمعيات والحراك من أجل الذهاب إلى انتخابات رئاسية مثلما يريد النظام، ومن أجل الخروج من حالة الانسداد السياسي والقانوني والمؤسساتي التي تعيشها البلاد.

موقف قيادة الجيش ما زال ثابتا وذلك من خلال الخطابات الدورية التي يلقيها الفريق أحمد قايد صالح نائب وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش، والذي أكد خلال ثلاثة خطابات هذا الأسبوع أن «المؤسسة العسكرية كانت حاضرة في كل المحطات الحاسمة التي عاشتها الجزائر، وما تزال عازمة على المساهمة بفعالية في تجاوز هذه المرحلة الدقيقة التي تشهدها بلادنا وتذليل الصعاب وتحييد العقبات ونزع جميع الألغام المزروعة من قبل العصابة في مختلف المؤسسات، وذلك انطلاقا من إيمانها العميق بنبل مهامها، التي تعهدت والتزمت بها أمام الله والوطن والشعب، بتأديتها بكل حزم وتفان مهما عظمت التحديات وكبرت الرهانات».

وأضاف قايد صالح الذي كان في زيارة إلى الناحية العسكرية الثالثة أن «الجيش سيظل على الدوام الخادم الوفي للوطن، يُرابط على الثغور، ويحمي الحدود، ويبني ويطور كافة مكوناته، هدفه الأسمى هو الحفاظ على أمانة الشهداء الأبرار، وصون حاضر الجزائر ومستقبلها» موضحا أن «أماني العصابة وأذنابها ومن يسير في فلكها لن تتحقق، لأن المؤسسة العسكرية ستواجه وستتصدى بكل قوة وصرامة، رفقة الوطنيين المخلصين والأوفياء لعهد الشهداء الأبرار، لهذه الجهات المغرضة، ولن تسمح لأي كان المساس بسمعة الجزائر بين الأمم وتاريخها المجيد وعزة شعبها الأصيل، وسنعمل معا ومن دون هوادة على إفشال المخططات الخبيثة لهذه الجهات وهؤلاء الأشخاص المأجورين، الذين أصبحت مواقفهم متغيرة ومتناقضة باستمرار، لأنها وببساطة ليست نابعة من أفكارهم بل أملاها عليهم أسيادهم، الذين يتحكمون فيهم ويوجهونهم حسب أهوائهم، محاولة منهم تقزيم دور الجزائر إقليميا ودوليا، هذا البلد القارة الغني بتاريخه العريق، القوي بمواقفه المبدئية الثابتة، والثري بطاقاته وخيراته».

مؤكدا أن «الشعب الجزائري الواعي والراشد لا يحتاج لوصاية أي جهة كانت، ولا يحتاج لمن يملي عليه ما يجب فعله، هذا الشعب الذي هو وحده من يختار بكل حرية وشفافية رئيس الجمهورية القادم، فبلادنا لا تبنيها العصابة التي لم تعرف أبدا حقيقة الجزائر وشعبها، ولم تقف إلى جانبه في أوقات الشدة والأزمات».

الحراك الشعبي من جهته متواصل رغم كل الصعوبات والمعوقات، بل يمكن القول إنه يستعد لاسترجاع أنفاسه من أجل الشوط الثاني من المعركة التي يقوم بها من أجل تحقيق المطالب المرفوعة والتي ما زالت عالقة، خاصة وأن الصيف يستعد للرحيل، والدخول الاجتماعي على الأبواب، وهو الذي سيكون امتحانا حقيقيا للحراك، لأن عدد المشاركين في المظاهرات كان دائما موضوع جدل، بين من يرى أن الحراك فقد قواه وأنه يحتضر، فيما يرى آخرون أن تراجع أعداد المشاركين هو عطلة الصيف وارتفاع حرارة الجو، وأن الحراك سيعرف نفسا جديدا مع عودة العمال والطلبة من العطلة الصيفية، وهو ما من شأنه إعطاء زخم للحراك الشعبي، ما سيمثل ضغطا إضافيا على السلطة التي تخشى الدخول الاجتماعي لأن من شأنه تعقيد الوضع السياسي أكثر، خاصة في ظل عدم استجابة السلطة للمطالب المرفوعة من طرف الحراك، خاصة ما تعلق برحيل بقايا رموز بوتفليقة، خاصة رئيس الوزراء الحالي نورالدين بدوي.

Volume 31 - Issue 9651 Sunday 1 September 2019

زلزال جونسون يضيف المزيد من التعقيد إلى أزمة بريكست الحادة

حذر زعيم حزب العمال البريطاني حكومة بلاده من تداعيات قرار تعليق البرلمان، واعتبر أن الانسحاب من الاتحاد الأوروبي من دون اتفاق فخ نصبه ترامب.

لندن ـ «القدس العربي»: محمد المذحجي

على خطى الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، في التعاطي مع الملفات الساخنة، بادر رئيس الوزراء البريطاني، بوريس جونسون، لاتخاذ قرار تعليق عمل مجلسي العموم واللوردات حتى 14 تشرين الأول/أكتوبر المقبل، الذي أحدث زلزالاً داخل وخارج المملكة المتحدة. وأيقن الجميع في بريطانيا وأوروبا أن جونسون جاد في تنفيذ تهديده للذهاب نحو انسحاب من دون توافق من التكتل الأوروبي أو ما يعرف باسم «بريكست الحاد».

القرار الذي من شأنه أن يزيد الطين بلّة، وفي الظروف التي أصبح ملف بريكست أزمة معقدة تضيق الخناق على البلاد، يجب على بريطانيا أن تتحمل تبعات أزمة أكبر أي بريكست الحاد، والتي حتى الآن بات واضحاً أن التداعيات السياسية لذلك لن تكون سهلة، وأنها ستعمق الانقسام العمودي المتواصل منذ 3 سنوات إلى مستويات جديدة ما كانت في الحسبان.

وسارع دونالد ترامب على حسابه في شبكة تويتر للإشادة بقرار الشخصية البريطانية المفضلة له أي جونسون، وقال «بوريس هو بالتحديد ما انتظرته المملكة المتحدة، وسيثبت أنه رجل عظيم» وأضاف «أحب المملكة المتحدة» معتبرا أنه سيكون من الصعب جدا لزعيم المعارضة ورئيس حزب العمال البريطاني، جيرمي كوربن، طلب التصويت على سحب الثقة من حكومة جونسون. وفعلاً وبعد قرار تعليق عمل البرلمان حتى أسبوعين قبل الموعد المعلن للانسحاب أي نهاية تشرين الأول/أكتوبر سيكون من شبه المستحيل للنواب المعارضين منع حدوث سيناريو بريكست الحاد الذي أثار مخاوف كبيرة حول أزمة اقتصادية. المخاوف لا تبدو غير واقعية، حيث خسر الجنيه الإسترليني 0.6 في المئة من قيمته مقابل الدولار واليورو بعد إعلان موافقة الملكة البريطانية، إليزابيث الثانية، على طلب جونسون تعليق عمل البرلمان. وتؤكد تقديرات البنك المركزي البريطاني والمنظمة الدولية لهيئات الأوراق المالية وقوع أزمة اقتصادية في بريطانيا في حال انسحابها غير المنتظم من الاتحاد الأوروبي، وأشارت هذه التوقعات إلى أن الإنتاج البريطاني سينخفض بنسبة 5 في المئة خلال عامين.

وكتب موقع الكونغرس الأمريكي في تقرير له أن رئيس الولايات المتحدة وبشكل صادم يسوق حكومة بوريس جونسون لانسحاب بدون توافق من التكتل الأوروبي، وأنه وعد جونسون في حال تنفيذه بريكست الحاد، بعقد صفقة تجارية تاريخية بين بريطانيا وأمريكا. وأعرب عن أسفه كون ترامب سيصل إلى هدفه في تحقيق بريكست الحاد، وتوقع أن الرئيس الأمريكي سيندم على فعلته هذه، لأن الاقتصاد البريطاني سيتأثر سلباً، فضلاً عن التداعيات السلبية لبريكست حاد على الاقتصاد الدولي في الظروف الراهنة التي يخيم الركود النسبي على الاقتصاد الألماني والأسواق الأمريكية، ما أثار قلق العديد من الخبراء الاقتصاديين.

وحذر زعيم حزب العمال البريطاني حكومة بلاده من تداعيات قرار تعليق عمل البرلمان، واعتبر انسحاب بلاده بدون توافق من الاتحاد الأوروبي وقوعا في الفخ الذي وضعه ترامب، وقال إن زيادة التبادل التجاري مع الولايات المتحدة يضر بالاقتصاد البريطاني. وأضاف أنه ستعقد جلسة مجلس النواب يوم الثلاثاء بعد العطلة الصيفية، وسيبذل قصارى جهده لمواجهة ما وصفه بـ«الهجوم على الديمقراطية» حتى يمنع انسحاب بلاده غير المنتظم من التكتل الأوروبي. ووصف كوربن تداعيات بريكست الحاد على اقتصاد بلاده بأنها كبيرة وخطيرة للغاية، محذراً من أن ذلك سيؤدي إلى سيطرة الشركات الأمريكية على اقتصاد بريطانيا وحتى مؤسسات الدولة. ولم يستبعد طرح طلب سحب الثقة من حكومة بوريس جونسون خلال الاجتماع المقبل للبرلمان.

لكن التساؤل الرئيسي هو هل يستطيع النواب المعارضون قطع الطريق أمام جونسون؟ في إمكان نواب المعارضة السيطرة على أجندة اجتماعات البرلمان وجدول أعماله، واتفق النواب المعارضون على القيام بذلك خلال اجتماع مجلس النواب يوم 3 أيلول/سبتمبر. وإذا سيطر النواب المعارضون على جدول أعمال البرلمان، سيتمكنون من إجراء تعديلات على مشاريع القوانين التي ترسلها الحكومة حول بريكست أو عرقلتها. لكن أعضاء في حكومة جونسون يعتقدون أنه لا حاجة لسن قوانين جديدة فيما يتعلق بالانسحاب من الاتحاد الأوروبي، بالإشارة إلى أن بريكست الحاد سيقع تلقائياً بعد 31 تشرين الأول/أكتوبر. وأصبح هذا الخيار صعباً بعد قرار جونسون تعليق عمل البرلمان، ولم يبق الوقت الكافي للنواب المعارضين لانتزاع السيطرة على جدول أعمال مجلس النواب من يد الحكومة.

وأيضاً ليس لدى المعارضة الوقت لتمرير قانون جديد يمنع حكومة جونسون من الانسحاب بدون توافق، وإرغامها على تمديد فترة المفاوضات مع الجانب الأوروبي، للسبب نفسه. كما بعد 14 تشرين الثاني/أكتوبر سينشغل مجلس العموم بخطاب العرش للملكة ومناقشته، ومن وجوبهت خطوة جونسون بردة فعل عنيفة من داخل حزب المحافظين قبل معارضيه، حيث أعلنت زعيمة حزب المحافظين الإسكتلندي روث ديفيدسون، التي تتمتع بشعبية كبيرة، استقالتها في ضربة قاسية لرئيس الوزراء البريطاني غداة قراره تعليق البرلمان حتى أسبوعين قبل موعد بريكست. وفي رسالة استقالتها، تحدثت عن التضارب الذي شعرت به بشأن بريكست. وبررت ديفيدسون التي تؤيد بقاء المملكة المتحدة في الاتحاد الأوروبي، قرارها بأسباب عائلية أيضاً. ونددّ كذلك وزير المالية السابق من حزب المحافظين، فيليب هاموند المعارض لسيناريو خروج من دون اتفاق، بقرار تعليق عمل البرلمان، واصفاً ذلك بأنه «فضيحة دستورية».

بوريس جونسون

تجاذب بين مدرستين في إدارة اقتصاد الأردن

الكيمياء بين الوزراء لم تكن يوما منطلقا للعمل الجماعي ولا تعبيرا عن مشكلة إلا حين تتضخم الازمة الاقتصادية ويصيب العطب العلاقات الدولية.

عمان ـ «القدس العربي»:: بسام البدارين

تبدو ملاحظة أقرب للاختلاف المفترض بين الثقافات والأجيال لكن عند تسييسها قد تكشف عن جوانب مثيرة إلى حد ما.

وزير الداخلية المخضرم وأحد أبرز رموز الحرس القديم سلامة حماد، يعبر عن شعوره ببعض الصعوبة والاغتراب عندما يضطر للتفاعل في مجلس الوزراء مع وزيرة من صنف «الصبية اللي بتعلك».

طبعا يقصد حماد وزيرة السياحة مجد شويكة التي ينشغل القوم بين الحين والآخر بحضورها وأناقتها واقتراحاتها من خارج الصندوق.

لا يتعلق الأمر بضغينة شخصية طبعا، لكن بيروقراطيا عتيقا وعنيدا ورجل هيبة بامتياز من وزن الوزير حماد لا يبدو مرتاحا لجزئية «العلكة» في اجتماعات مجلس الوزراء. طبعا ثمة من سيشاركه في مشاعره بالجملة لكن آخر النهار أو في الحلقة الأخيرة يقود حكومة الأردن أشخاص مطلوب منهم التنوع والتعدد.

تلك قيمة تظهر جانبا حضاريا في جزئية التنوع عند الحكومة لكنها تعكس بالوقت نفسه غياب الكيمياء بين أجنحة وأطقم الفريق الوزاري خصوصا في حكومة الرئيس الدكتور عمر الرزاز، حيث يفلت منها الآن برنامجها المرحلي الأساسي وسط حالة مرتبكة وهو الاتجاه الضريبي.

لا يقتصر الأمر على علكة وزيرة السياحة، فحماد ورئيسه الرزاز ينتميان إلى مدرستين مختلفتين تماما وثمة في الأفق السياسي المحلي من يعيد قراءة نصوص منشورة باسم الرزاز نفسه قبل سنوات يتحدث فيها عن بعض ما رصده في طفولته عندما كان والده الراحل منيف الرزاز معارضا شرسا وسجينا ومنفيا خلال فترة التصادم مع الدولة والنظام في الأردن.

طبعا تلك أوراق من الماضي اليوم يتستر عليها الجميع تحت وطأة الأزمة الاقتصادية والحاجة للتفاهم مع صندوق النقد الدولي، لكنها تطل برأسها بين الحين والآخر في اتجاهين الأول عندما يرصد المزيد من غياب الكيمياء بين أعضاء مجلس الوزراء، والثاني عندما يتعلق الأمر بصراع من الصعب إنكاره يتجذر ويعود بين الحين والآخر بين مدرستين في إدارة أزمات الأردن الأولى ليبرالية والثانية محافظة.

وهنا قصة أخرى في الصراع القابل للتجاذب دوما.

لكن الأهم ان الانسجام يغيب أيضا في كيمياء التواصل داخل الطاقم الوزاري الاقتصادي، فما يبدو عليه الأمر بين رئيس الطاقم الدكتور رجائي المعشر ووزير التخطيط النجم الدكتور محمد العسعس مرصود وبوضوح ولا ينتج انطباعا بأن القطبين في المسألة الاقتصادية يتحدثان باللهجة واللغة نفسها في الوقت الذي يتحدث فيه وزير المالية عز الدين كناكريه بلغة لم يعد يفهمها أحد.

لكنه مضطر حسب زميل له تحدث لـ«القدس العربي» لهذا الأداء. يقدم الوزير كناكريه يوميا دليلا على غربته في كيمياء التواصل وهو يصر في كل الاجتماعات على ان مسؤوليته رقمية وتنحصر في توفير المال للخزينة وتحديد كيف ينفق. أما الأزمة والتداعيات والمخاطر والحسابات السياسية فلا تخصه من قريب أو بعيد.

يقول كناكريه ذلك لزملاء من دون أن يرجف جفنه، ويقوله رئيسه المعشر لكن بلهجة أخف في المسار السياسي، وعندما تعلق الأمر بقانون الانتخاب تحديدا وجد مثلا وزير الثقافة والشباب الدكتور محمد أبو رمان نفسه تماما في حالة يتم بيروقراطي وسياسي عندما وضع بتنسيق مع الرزاز وثيقة أولية لدرب محتمل بعنوان الإصلاح السياسي.

هنا حتى من أفترض أبو رمان انهم يشبهونه سياسيا على الأقل أو في جزئية الإصلاح السياسي من زملائه الوزراء يتخندقون في الاتجاه المعاكس في مؤشر أكبر وأخطر وأهم على أن الكيمياء في جسد مجلس الوزراء أقل بكثير من الحجم المفترض والمنطقي أو ذلك الذي تحتاجه الحكومة في مرحلة صعبة ومعقدة.

الكيمياء بين الوزراء لم تكن يوما منطلقا للعمل الجماعي ولا تعبيرا عن خطوة الهروب للأمام عبر آلية التعديل الوزاري هل يحصل على ذلك؟

في الوقت الذي يعمل فيه مهندسون خبراء في الدولة العميقة تحت إشراف التوجيهات المرجعية على مساحتي الأمن والعلاقات الدولية والإقليمية.

لكن عندما يصيب العطب العلاقات الدولية وينكشف الظهر والظهير الإقليمي وتتضخم الأزمة الاقتصادية تصبح تلك الكيمياء ضرورة وطنية وبيروقراطية ملحة جدا.

وهنا قد لا تملك حكومة الأردن ترف الإفلات من مطب الكيمياء. وما يبدو عليه الأمر الآن أن الرزاز يحاول اختبار خطوة للعمل الجماعي ولا تعبيرا عن مشكلة من أي نوع بقدر ما كانت محفزا للعمل اليومي

حدث الأسبوع

نتنياهو يرد على نصر الله بتهديدات مضادة

جدل واسع في إسرائيل حول ماهية الاعتراف بهجماتها في المحيط العربي

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

رغم مرور نحو الأسبوع على تهديدات الأمين العام لـ «حزب الله» حسن نصر الله بالثأر القريب من ضرب موقع حساس لحزبه في بيروت، ما زالت حالة ترقب وتوتر تسود منطقة الحدود الشمالية وسط مخاوف إقليمية ودولية من انفجار جديد على غرار حرب لبنان الثانية. فرنسا التي ترى نفسها كصاحبة نوع من الوصاية على لبنان حاول رئيسها إيمانويل ماكرون على طريقته المساهمة في نزع فتيل التوتر بالاتصال مع رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو والتحدث معه. في بيان مقتضب اكتفى نتنياهو بالقول مجددا إن إسرائيل ستدافع عن نفسها من الاعتداءات التي تشن عليها وإنها ستمنع أعداءها الذين يبتغون تدميرها من التزود بأسلحة فتاكة. وحسب البيان كرر نتنياهو تهديداته مؤكدا على أن من يرعى العدوان والتسلح لن يتمتع بأي حصانة. وفي انتقاد مبطن لدول الغرب التي تحاول تسوية التوتر مع إيران تابع نتنياهو حديثه مع ماكرون «وعلى أن هذا هو التوقيت غير المناسب لإجراء مباحثات مع إيران في الوقت الذي تقوم به الأخيرة بزيادة وتيرة عدوانها في المنطقة». نتنياهو الذي يخوض معركة صراع بقاء سياسي وشخصي عشية انتخابات عامة في 17 أيلول/سبتمبر الجاري تبدو الأخطر في مسيرته، يواصل الاعتراف بالتصريح والتلميح بضرب أهداف في البلدان العربية المحيطة وذلك بهدف تعزيز قوة الردع الخاصة بإسرائيل، كما يؤكد هو ومقربوه. غير أن عددا كبيرا من المحللين والمراقبين يشير لهدف غير معلن لدى نتنياهو في إتباع سياسة الإقرار والاعتراف الجديدة يتمثل في خلط الأمن بالسياسة ومحاولة كسب نقاط انتخابية في معركة فاصلة بالنسبة له.

في خطوة استثنائية كشفت إسرائيل لحكومة لبنان والعالم أن حزب الله «ينتج صواريخ دقيقة بناء على طلب من إيران». ويعتبر المحلل للشؤون العسكرية يوسي يهوشع أن الكشف هذا يحمل تلميحا لنصر الله بضرورة إعادة النظر برده على عملية بيروت التي لم تقر بها إسرائيل رسميا، لافتا إلى تهديد نتنياهو لـ «حزب الله» باللغة العربية «دير بالك». ويتابع «التهديد موجه في الواقع لكل لبنان بأنه سيدفع ثمنا باهظا في حال تسلح حزب الله بصواريخ متطورة دقيقة». في المقابل يرى عدد كثير من المحللين والمراقبين المحليين أن نتنياهو «يلعب بالنار» وربما يورط إسرائيل في حرب هي في غنى عنها نتيجة سياسة الاعتراف والتباهي المعلنة من قبله بخلاف سياسة الضباب بعدم الاعتراف وعدم النفي التي انتهجتها إسرائيل بهذا المضمار طيلة عقود. ولذا يحذر المحلل العسكري البارز اليكس فيشمان من كثرة الجبهات وأشار لمقتل لبنانيين في سوريا وتفجير مخازن سلاح لخدمة إيران في العراق وفي بيروت تحلق طائرات مسيرة وسط محاولات تدخل روسية. ويخلص فيشمان للقول في مقال نشرته «يديعوت أحرونوت» أمس حول حالة الغوضى المتشابكة «في نطاق الأحداث المتسارعة بوتيرة مجنونة فإن أمرا واحدا واضح: عندما تدار معركة في عدة جبهات بالتزامن ويتم فيها اجتياز خطوط حمر فإن إسرائيل أيضا من شأنها أن تسدد الأثمان».

تحذيرات

واعتبر المحلل العسكري في القناة 13 ألون بن دافيد، أن مهاجمة المصنع الذي قيل إنه مركز لتطوير وتحسين صواريخ دقيقة هو الهجوم الأهم بين الهجمات الإسرائيلية المكثفة التي شهدها الشهر الأخير، في العراق وسوريا ولبنان. وقال إن «الهجوم المنسوب لإسرائيل في بيروت، قد يشكل نهاية 13 عاما من الهدوء عند الحدود الشمالية، ويقربها لأول مرة منذ سنوات، إلى خطر الحرب مقابل حزب الله». وأوضح بن دافيد، في مقاله الأسبوعي في صحيفة «معاريف» أن من بين جميع الهجمات المنسوبة لإسرائيل في بداية الأسبوع الحالي، فإن القرار بإرسال طائرات مسيرة مفخخة إلى بيروت وتدمير جهاز نادر يملكه حزب الله، هو الأكثر دراماتيكية، ومؤشر على تغيير بالغ في السياسة الإسرائيلية بسبب امتناع إسرائيل، منذ انهاء حرب لبنان الثانية، عن شن هجمات في لبنان. وتابع هو الآخر على غرار زميله يوسي يهوشع أن «الجهة التي أرسلت الطائرتين المسيرتين من أجل مهاجمة جهاز تحسين دقة الصواريخ، أرادت أن تلمح لحزب الله أن فترة الحصانة في لبنان انتهت... وكذلك تقول للبنانيين إن إسرائيل لا تريد الحرب، ولكنها لن تتحمل إقامة مشروع كهذا في لبنان أيضا». ويرى المحلل العسكري في صحيفة «يسرائيل هيوم» يوءاف ليمور، أن البيان الذي أصدره حزب الله لتحسين دقة الصواريخ، وتضمن أسماء ضباط إيرانيين ومسؤول في الحزب، ومواقع ووثائق «يدل على مدى عمق التغلغل الاستخباراتي الإسرائيلي في حزب الله ولدى الإيرانيين».

عمل دعائي

ولفت ليمور إلى أن نشر بيان الجيش الإسرائيلي، والتسريب لصحيفة «التايمز» البريطانية الأربعاء المنصرم بأن إسرائيل استهدفت جهاز تحسين دقة الصواريخ «هما ذروة جهد إعلامي... يهدف إلى جعل النقاش العام والدولي يقتصر على مكانه الصحيح: ليس على العدوانية الإسرائيلية ورد فعل حزب الله الذي يأتي في أعقابها، وإنما على نشاط حزب الله السري الذي قد يقود الجانبين إلى حرب». وأضاف ليمور أنه «في إسرائيل يأملون بأن هجمة المعلومات هذه ستلجم الانتقام الذي أقسم عليه الله حسن نصر الله ولكن بالأساس أن تجعله، هو وقائد قوة قدس، قاسم سليماني، يعيدان التفكير. فقد أوضحت إسرائيل، هذا الأسبوع، أن صواريخ دقيقة بحوزة حزب الله في لبنان هي خط أحمر وهي ليست مستعدة للمساومة بشأنه، حتى بثمن نشوب حرب».

دراسات الأمن القومي

ويرجح ليمور أن نصر الله لن يجر حزب الله ولبنان إلى حرب، «لكن حزب الله وإيران لن يغيرا جلدهما، وتحدي الصواريخ، وثمن الحرب الناجمة عنه، سيستمر في مرافقة إسرائيل في المستقبل المنظور». لكن التحفظات أو الانتقادات الموجهة لنتنياهو وحكومته بقي صوتها أعلى في الجانب الإسرائيلي غير الرسمي وذروتها بتقرير نشره «معهد أبحاث الأمن القومي» في جامعة تل أبيب، الذي يعتبر أهم معهد أبحاث إسرائيلي. وجاء في التقرير، الذي كتبه مدير المعهد ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الأسبق، عاموس يدلين، والباحث في المعهد أساف أوريون، وهو ضابط كبير سابق في شعبة التخطيط في الجيش، أنه «في النقطة الزمنية الحالية، يبدو أنه من أجل السماح باستمرار الرد الحازم والفعال على منظومة أذرع إيران القتالية، ينبغي تبريد الأمور قليلا والعودة إلى المبادئ التي تم اختبارها للعقيدة العسكرية الإسرائيلية (المعروفة بالمعركة بين حربين) حتى الآن، ودمج صحيح بين وتيرة العمليات، وخفض مستوى التصريحات والنشر، من خلال أخذ الشركاء والظروف الاستراتيجية بعين الاعتبار. ويرى التقرير وجوب ذلك، من أجل خدمة الغايات الأساسية للمعركة: إبعاد الحرب، منع التصعيد، ردع العدو من مهاجمة إسرائيل وإبطاء تعاظم قوته من أجل عرقلة زيادة خطورة التهديد. لافتا إلى أن الظروف والجبهات الجديدة تستوجب توازنا معقدا أكثر بين مخاطر المعركة وفرصها قياسا بالسنوات الأخيرة في سوريا. لقد بدأت مرحلة جديدة و«المعركة بين حربين» هي وصف إسرائيل للعمليات العسكرية التي نفذتها ضد سوريا، وموجهة في الأساس ضد إيران وحزب الله، بادعاء أن وجودهما ومحاولة إيران التموضع وإحضار مليشيات موالية لها إلى سوريا، يشكل خطرا على إسرائيل.

العقيدة العسكرية

ووسعت إسرائيل هذه العقيدة العسكرية لتمتد إلى العراق، من خلال التفجيرات التي وقعت، في الأسابيع الأخيرة، في معسكرات، بادعاء أن ميليشيات «الحشد الشعبي» الموالية لإيران، تخزن أسلحة وصواريخ فيها ويمكن أن تستخدم ضد إسرائيل. كذلك شملت العقيدة الإسرائيلية تفجير طائرتين مسيرتين في الضاحية الجنوبية لبيروت، استهدفتا آلة لتحسين دقة الصواريخ، حسب تسريبات إسرائيلية، وغارة على موقع لحزب الله في قرية عقربا في سوريا أسفرت عن مقتل عنصرين من الحزب وآخر إيراني. ورافق كل ذلك تصريحات أطلقها نتنياهو، بأن إسرائيل ستستهدف إيران وأذرعها في كل مكان، بما في ذلك العراق. ووصف تقرير المعهد هذا التطور بأنه «تغيير هام» وأضاف أنه على الرغم من أن هذا التطور لم يلق اهتماما في إسرائيل، بسبب عدم وجود تبعات سياسية وملموسة للقرار الإسرائيلي بهذا الخصوص، إلا أن المعهد حذر من أن هذا الوضع سيتغير. واعتبر يدلين وأوريون أن الهجوم في الضاحية الجنوبية لبيروت أهم بكثير من الهجمات في سوريا والعراق، لأن الرئيس ورئيس الحكومة اللبنانيين وصفا الهجوم بأنه «إعلان حرب» إلى جانب خطاب أمين عام حزب الله، الذي شدد على خطورة الهجوم في الضاحية، كونه يخرق «قواعد اللعبة» بعد حرب لبنان الثانية، بأن تمتنع إسرائيل عن شن هجمات ضد الحزب، وقتل عنصرين من الحزب في سوريا في الليلة نفسها. ولفت المعهد إلى أن المبدأ الأساسي في «المعركة بين حربين» منذ وضعها، هو الامتناع عن التصعيد وإدارة العمليات من دون أن تؤدي إلى حرب «وذلك بواسطة تقليص الشعور بوجود حاجة ملحة لدى العدو بالقيام برد فعل تصعيدي».

لكن تواصل الأحداث في العراق (أربعة تفجيرات) حرك رد فعل شعبي وسياسي، زاد التوتر بين الحكومة العراقية والقوات الأمريكية في العراق. ولأن تفاصيل المعلومات الاستخبارية والعسكرية التي كانت في أساس القرار الإسرائيلي لم تُنشر، فإن بالإمكان التكهن فقط أن القرار بتنفيذ جميع العمليات في الشهر الأخير، يعبر عن تفضيل ضربات متراكمة بوتيرة عالية، حتى بوجود خطورة أعلى بالتصعيد وهذا تجاوز في تاريخ المعركة بين حربين حتى الآن. وتماثل مع هذه الانتقادات وزيرا الأمن السابقان إيهود براك موشيه يعلون اللذين اتهما نتنياهو بالمقامرة بأمن إسرائيل لإنقاذ نفسه من السقوط السياسي ومن السجن على خلفية فضائح فساد. بين هذه وتلك من التحليلات تتواصل عملية حالة الترقب والتوتر في الجبهة الشمالية.

الجدار الحدودي الفاصل بين لبنان واسرائيل

ترامب ونتنياهو: فارق «الحشد الشعبي» عن «حزب الله»

صبحي حديدي

التسريبات التي تصل من الإدارة الأمريكية إلى صحيفة مثل «نيويورك تايمز» ليست بريئة بصفة عامة، في المقام الأوّل؛ ولكنها، في مستوى سياق الرسالة التي يسعى التسريب إلى تبليغها، تذهب أبعد في المقام الثاني، لأنها قد تعكس خلافاً في التقدير تارة، أو اعتراضاً على سلوك ما، أو حتى اتخاذ خطوة ردع تمهيدية إزاء تكتيك يراه البيت الأبيض ضارّاً، على نحو أو آخر.

هذه، على سبيل المثال الراهن، حال التقرير (أي: التسريب، في نهاية المطاف) الذي نشرته الصحيفة قبل أيام، ونسبت فيه إلى مصدر رفيع في الإدارة معلومة لا يُكشف النقاب عنها عادة، وبهذه الخفة: أنّ أيدٍ إسرائيلية، الجيش والأجهزة الأمنية المختلفة، تقف وراء سلسلة الانفجارات الغامضة التي طالت مؤخراً مستودعات سلاح «الحشد الشعبي» في العراق؛ وكذلك هجوم 19 تموز (يوليو) الذي استهدف قاعدة يستخدمها «الحرس الثوري» الإيراني، شمال بغداد. وبذلك فإنّ التسريب كان ينقل عدم رضا الإدارة، والبنتاغون استطراداً، عن خطوة إسرائيلية قد تُفسد بعض عناصر الوجود العسكري والأمني الأمريكي في العراق؛ وتصنع، في أقلّ تقدير، تلك المفارقة المضحكة: أنّ حليف أمريكا الإسرائيلي يقصف حليف أمريكا العراقي!

ذلك لأنه، في المقابل، كان في وسع البنتاغون أن يترك للإعلام العالمي استنتاج المسؤولية الإسرائيلية من تلميحات بنيامين نتنياهو، رئيس حكومة الاحتلال نفسه، وخاصة تصريحه «الحربجي» تماماً في لقاء مع القناة التاسعة الإسرائيلية، الناطقة بالروسية. ولقد سُئل إذا كان سيعطي الأوامر باستهداف قواعد إيرانية في العراق، فقال بوضوح: «نحن نعمل في مناطق عديدة ضدّ دولة تسعى إلى إبادتنا. وبالطبع أطلقتُ يد القوى الأمنية وأعطيتها تعليمات بالقيام بكلّ ما هو ضروري لإحباط مخططات إيران».

وليس الأمر أنّ موقف الإدارة العلني يسير على اتساق مع الموقف الضمني الذي تتبناه التسريبات، فالعكس هو الصحيح بالطبع؛ بدليل تصريحات وزير الخارجية مايك بومبيو التي أعادت عزف الأسطوانة المتكررة إياها، أي شرعية الردّ الإسرائيلي دفاعاً عن النفس. ولكنّ حسابات الإدارة لواقع النفوذ الإيراني في العراق، في مستوياته المذهبية والسياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية، يختلف في كثير من المعطيات الجوهرية عن النفوذ ذاته في سوريا؛ الأمر الذي يجعل «الحشد الشعبي» شيء، و«حزب الله» أو الميليشيات الشيعية المقاتلة مع النظام السوري شيء آخر.

لا نردع نتنياهو عن القيام بأيّ إجراء يدعم حظوظه في انتخابات الكنيست المقبلة، تقول الرسالة طيّ التسريبات إلى «نيويورك تايمز»، ولكن لا نُفسد جميع قواعد اللعبة مع إيران (النووية، أو التي قد توشك على ذلك!) من جانب آخر؛ سواء تلك التي تجري على الملأ، وأخذت ترعاها فرنسا مثلاً، أو تلك التي تشهدها الأروقة المغلقة وطاولات التفاوض السرّية. والقياس هنا هو التعاون على أرض عراقية، في أشكال شتى مختلفة، بين القوات الأمريكية و«الحشد الشعبي»، أو حتى «الحرس الثوري» الإيراني وقاسم سليماني شخصياً؛ في مواجهة «داعش»، سابقاً وفي أيّ وقت لاحق أيضاً. كذلك فإنّ إحراج حليف للإدارة في رئاسة الحكومة العراقية، مثل عادل عبد المهدي؛ يختلف تماماً عن عقاب جندي عند الوليّ الفقيه، مثل حسن نصر الله؛ أو إذلال تابع لإيران في دمشق، مثل بشار الأسد.

والحال أنّ معادلات التفاهم القصوى بين الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ونتنياهو هي التي أجبرت الأخير على ابتلاع تصريحات الأوّل حول الطعن في ولاء يهود أمريكا، والتي تداني العداء للسامية في عرف منظمة الـ**AIPAC** ذاتها؛ وهي التي يسّرت على سيد البيت الأبيض منح رئيس حكومة الاحتلال ضوءاً أخضر مكتوماً لقصف مقرات «الحشد الشعبي». وهذا توازن غير طارئ في الواقع، حتى إذا اختلفت معدّلات المعادلة، في العصور الراهنة، بين رؤساء مثل بيل كلنتون أو جورج بوش الابن أو باراك أوباما، وبين ترامب... «ملك إسرائيل»!.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9651 الأحد 1 أيلول (سبتمبر) 2019 – 2 محرم 1441 هـ

تريّث إلى ما بعد ذكرى تغييب الصدر وربما بعد عاشوراء

سيناريوهات حزب الله للرد: طائرات مسيّرة أو استهداف دورية إسرائيلية أو اعتراض طيران حربي

بيروت ـ «القدس العربي»:: سعد الياس

أيام مرّت على خطاب الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله الذي توعّد إسرائيل بالرد على إرسالها طائرتين مسيّرتين إلى معقله الأساسي، وعلى غارتها على شقة سكنية في سوريا سقط نتيجتها عنصران من الحزب.

وإذا كانت نبرة السيد نصر الله تميّزت بأنها عالية ومنفعلة وأوحت برد قاس وسريع ولاسيما عندما دعا الجيش الإسرائيلي على الحدود إلى الوقوف على الحائط على «إجر ونص» وانتظار الرد، فإن ما حملته الأيام التالية أعطت انطباعاً بأن حزب الله يتجه إلى رد متناسق ومدروس لا يؤدي إلى حرب كي لا يعود السيّد نصر الله إلى استخدام عبارته الشهيرة في حرب تموز «لو كنت أعلم».

وبات واضحاً أن الحزب يريد من ردّه المحتّم بعث رسالة أنه يرفض تغيير قواعد الاشتباك المعمول بها منذ عام 2006 حيث كانت إسرائيل تمتنع عن شنّ الأحوال بعد ذكرى عاشوراء حيث اتخذ الحزب إجراءات مشدّدة لحماية مجالس عاشوراء من أي استهداف محتمل وخصوصاً بالطائرات المسيّرة.

أما شكل الرد من قبل حزب الله فهو يحتمل عدة سيناريوهات أكثرها شيوعاً والتي ترغب ربما بها إسرائيل فهي إسقاط طائرة مسيّرة أو أكثر في سماء لبنان، وهذا ما فسّره البعض من خلال لجوء الدولة العبرية في الأيام التي تلت عملية الضاحية إلى ارسال العديد من هذه الطائرات فوق الجنوب وبعلبك حتى يقوم الحزب بإسقاطها وتنتهي المعادلة عند هذا الحد.

غير أن الحزب يبدو أنه يود الذهاب أبعد من هذا الأمر، وهو ترك أمر اعتراض الطائرات المسيّرة لعناصر الجيش اللبناني الذين أطلقوا النار من بنادقهم الحربية على طائرتين اخترقتا الحدود في منطقة العديسة.

ما هي السيناريوهات المحتملة إذاً لردّ حزب الله؟

السيناريو الأول هو أن يرسل الحزب طائرة مسيّرة أو أكثر إلى داخل فلسطين المحتلة لاستهداف أحد الأهداف تماماً كما فعلت إسرائيل بإرسال طائرتين إلى الضاحية الجنوبية. وقد سبق له أن أرسل طائرة استطلاع قبل سنوات حلّقت لبعض الوقت فوق فلسطين المحتلة قبل أن تعود أدراجها بسلام إلى داخل الأراضي اللبنانية.

السيناريو الثاني هو زرع عبوة ناسفة بآلية عسكرية إسرائيلية أو استهداف إحداها بصاروخ موجّه ينتج عنه وقوع إصابات في صفوف الدورية الإسرائيلية كرد على مقتل عنصري الحزب في الشقة قرب دمشق. ومن هنا يُفهَم لماذا خفّف جيش العدو الإسرائيلي تحركاته على طول الحدود لعدم اتاحة أي فرصة لحزب الله للنيل من جنوده، حتى أنه لوحظ في اليومين الماضيين أن الجيش الإسرائيلي لجأ إلى خدعة وضع دمى داخل بعض آلياته كي لا يسقط له ضحايا عند استهدافها.

السيناريو الثالث هو استهداف إحدى الطائرات الحربية الإسرائيلية لإبراز قدرات الحزب وامتلاكه أنظمة مضادة للطائرات كتلك التي زوّدت بها طهران الحوثيين أو حتى إبراز قدرات الحزب وامتلاكه منظومة صواريخ موجّهة قادرة على مواجهة سلاح الجو الإسرائيلي.

يبقى أن طبيعة ردّ حزب الله ستحدّد كيفية تعامل إسرائيل بحيث تمتنع عن التصعيد كما فعلت بعد عدم الرد على اغتيال جهاد مغنية في عملية في مزارع شبعا، أو تستغل طبيعة هذا الرد لتوجيه رسالة قوية ليس فقط إلى حزب الله من خلال قصف عدد من مواقعه بل إلى الدولة اللبنانية برمّتها عشية انتخابات بنيامين نتنياهو ولاسيما بعد المواقف الأخيرة لرئيس الجمهورية العماد ميشال عون والمجلس الأعلى للدفاع التي شكّلت غطاء سياسيا لرد حزب الله من خلال التأكيد على حق اللبنانيين بالرد على العدوان الإسرائيلي.

وهذا الخلط في المواقف بين الدولة والمقاومة يتعارض مع سياسة ربط النزاع التي حاولت قوى 14 آذار تكريسها منذ ما بعد العام 2005 بين مشروع الدولة ومشروع دويلة حزب الله والقول للمجتمع الدولي إن موقف لبنان الرسمي متمسك بالقرارات الدولية ويختلف عن موقف حزب الله المدعوم من إيران. وهذا ما سعى منسّق الأمانة العامة السابق لقوى 14 آذار فارس سعيد إلى انتقاده من خلال قوله إن موقف رئيس الجمهورية «سيعرّض لبنان للدمار وبدلاً من إبقاء الدولة في موقع يخوّلها التفاوض مع الخارج في حال تطوّرت الأحداث وضعت المؤسسات والمباني الرسميّة والأهم لبنان كل لبنان في دائرة واحدة».

التحام الدولة بـ«حزب الله» يرفع مخاطر الاستهداف الواسع للبنان

بيروت ـ «القدس العربي»: رلى موفّق

الضربات الإسرائيلية في سوريا والعراق ولبنان مترابطة الهدف، والجهة المستهدفة واحدة في مشروعها السياسي وقراراتها وغرفة عملياتها المركزية. إيران وأذرعها العسكرية المنتشرة والمؤثرة في هذه الساحات وفي الساحة اليمنية وغيرها أمام مفصل دقيق سيرسم معالم مستقبلها ونفوذها في المنطقة وفي أماكن تمددها، من الشرق الأوسط إلى أفريقيا إلى أمريكا اللاتينية. الحرب الدائرة بين إيران وأمريكا على أشدها. إدارة دونالد ترامب تذهب إلى استخدام سلاح العقوبات الاقتصادية والمالية كسلاح فعّال وفتّاك دون إطلاق رصاصة، وطهران لا ترى في سُبل الرد سوى تحريك أذرعها العسكرية.

في الكباش الدائر، يؤكد الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصرالله دوماً على وحدة الجبهات، وأنه إذا شُنّت الحرب الأمريكية على إيران، فإن إسرائيل ستكون في مرمى الاستهداف حتى لو عملت على تحييد نفسها. إسرائيل هي مفتاح البيت الأمريكي. وكما يُشكّل الجنوب اللبناني جبهة جاهزة للاشتعال رغم تدويل جنوب الليطاني، فإن السعي متواصل من قبل «حزب الله» لاستنساخ التجربة ذاتها في الجولان في الجنوب السوري، وللتزوّد بأسلحة صاروخية متطوّرة كاسرة للتوازن، سواء في الأراضي اللبنانية أو الأراضي السورية. والأهم العمل على تطوير سلاح «الدرون» الذي دخل إلى المعادلة العسكرية بقوة، بحيث تُشكّل حرب التحالف مع الحوثيين في اليمن مسرح اختبار لقدرة الطائرات من دون طيار وللصواريخ البالستية التي تستهدف المملكة العربية السعودية.

في القمة الثلاثية لمستشاري الأمن القومي الأمريكي والروسي والإسرائيلي التي عُقدت في يونيو/حزيران الماضي في القدس المحتلة، تحدّث رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو عن أن إسرائيل تحركت مئات المرات من أجل حرمان إيران من التموضع عسكرياً في سوريا، ومنعها من تزويد «حزب الله» بأسلحة متطورة أكثر وأكثر، ومن فتح جبهة أخرى في الجولان، واستخدام أراضي الدول المجاورة كمنصات لشن اعتداءات عليها.

ولا يُخفي محللون لصيقون بـ«حزب الله» أن إسرائيل كانت تضرب في سوريا حين تُخرق قواعد الاشتباك، وإلا كيف يَأتمن «حزب الله» على الانتشار العسكري في سوريا المكشوف بشكل كلي، لولا أن ثمة تفاهمات ضامنة هنا وهناك، حتى أنه حين يتم توجيه ضربات جوية لمخازن وناقلات أسلحة وما شابه، يتم إرسال تحذير أولاً لإخلاء العناصر. هذا في وقت يعتبر متابعون أمريكيون للأوضاع في المنطقة أن الضربات الإسرائيلية هي جزء من التفاهم الأمريكي - الإسرائيلي - الروسي الأخير، وهي تالياً مغطاة دولياً لجهة أنها تأتي في سياق حماية أمن إسرائيل من التهديدات الصاروخية من الجماعات المسلحة في دول الجوار التي تُقلق تل أبيب.

ففي زيارة نتنياهو إلى سلطنة عُمان، كان ملف الصواريخ الدقيقة هو المحور الرئيسي. يومها اعتبر نتنياهو أن الملف النووي الإيراني هو من مسؤولية الولايات المتحدة، وأن ما يهمه هو صواريخ «حزب الله» الموجهة إلى إسرائيل. سلاح «الدرون» أصبح تحدّياً آخر بعد النتائج التي يُحققها في الحرب بين الحوثيين والسعودية. فالاستهداف لعناصر من «الحزب» في عقربا السورية يتعلق بهذا الملف، والمعلومات المتوافرة حول اختراق الضاحية الجنوبية لبيروت تشي بأن الهدف يرتبط بتدمير أجهزة تقنية، تذهب التكهنات إلى أن لها وظيفة ضمن منظومة الطائرات المسيّرة.

تكمن المعضلة في لبنان، أن هناك تماهياً غير مسبوق بين الدولة و«حزب الله». هو تماه إلى حد الالتحام والالتصاق. تقف الدولة وراء «حزب الله» وتؤمّن له الغطاء السياسي للرد. أمين عام «حزب الله» الذي وصف ما جرى من استهداف لعناصره في سوريا وفي الضاحية الجنوبية بأنه أمر خطير، جزم بأن الرد آتٍ. والخطورة بالنسبة له، أنه جرى كسر قواعد الاشتباك، وعدم الردّ يعني تمادي إسرائيل. هذا الموقف أدخل لبنان الرسمي والشعبي في حال من الانتظار القاتل والمخاوف من انزلاق نحو حرب مدمرة.

ما يزيد من المخاوف تبدّل الظروف بين 2006 و2019. في حرب تموز 2006، كان لبنان منقسماً بين فريقي «8 آذار» و«14 آذار». صحيح أن قرار السلم والحرب كان بيد نصرالله، لكن القوى الأخرى كانت تُشكّل نوعاً من التوازن، نظراً إلى موقعها المناهض لمحور إيران، وانفتاحها على الغرب. وكانت حكومة فؤاد السنيورة يومها تتعامل برؤية الفصل بين الدولة و«الحزب». الصورة راهناً مختلفة، حتى أن رئيس الحكومة سعد الحريري لم يُظهر تمايزاً أو انحيازاً للدولة يمكن من خلاله تجيير علاقاته مع العرب والغرب في خدمة حماية لبنان، في وقت يتم اعتبار أن رئيس الجمهورية ميشال عون يدور استراتيجياً في الفلك الإيراني، ويُعاني إلى حد كبير عزلتين عربية ودولية.

من الطبيعي أن يقف لبنان الرسمي والشعبي ضد أي اعتداء إسرائيلي، ولكن من واجب لبنان أن يحرص بمؤسساته السياسية والعسكرية على احترام القرارات الدولية التي تُشكّل مظلة حماية له، ومن ضمنها القرار 1701 الذي أوقف الحرب الإسرائيلية وزاد من عديد القوة الدولية وأمّن انتشار الجيش اللبناني في جنوب الليطاني، وأكد على بسط سيادته على كل الأراضي اللبنانية.

الصورة اليوم مختلفة، فموازين القوى مختلّة في لبنان. «حزب الله» لا يُمسك بقرار السلم والحرب الخارج عن نطاق الدولة فحسب، بل هو حاصل على تغطية سياسية شبه كاملة بفعل تأثيره الواسع على الغالبية السياسية حكومياً وبرلمانياً. ثمّة أصوات قليلة ارتفعت لتقول أن حماية لبنان مسؤولية الدولة فقط، ولكن هذه الأصوات لم تعد مؤثرة في المعادلة اللبنانية، ما دامت لا تُعبّر عن ثقل سياسي في إطار التسوية المرتكزة على أضلع ثلاثة هي: رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة و«الثنائي الشيعي» المؤلّف من «حزب الله» وحركة أمل التي يحتل زعيمها نبيه بري موقع رئاسة السلطة التشريعية في البلاد.

ما هو أكيد، أن لبنان يمرّ راهناً بأدق مرحلة من تاريخه السياسي، وسط خواء فاضح على مستوى قياداته السياسية، ووسط اهتزاز في قناعات بعض مكوناته حول طبيعة الحكم والدستور و«اتفاق الطائف» ومفهوم العيش المشترك، ورغبة هؤلاء في الالتحاق بمشروع «تحالف الأقليات» في وجه مفهوم الانتماء العربي والحاضنة العربية.

والمُقلق أن التحوّلات الكبرى تحصل، بينما مخاطر الإفلاس تُحيق بلبنان الغارق في أزمة اقتصادية خانقة والواقع تحت سيف العقوبات الأمريكية التي أدرجت بالأمس القريب أحد البنوك اللبنانية، «جمّال ترست بنك»، على لائحة العقوبات، والذي ضرب بعمق البيئة الشيعية كون أن هذا المصرف يمتلكه رجل أعمال شيعي وغالبية مُوْدعيه هُم من هذه البيئة، فيما يجري الحديث بقوة بأن الدفعة الثانية من العقوبات سوف تطال حلفاء «حزب الله» من بيئات مختلفة، الأمر الذي سيؤدي إلى مزيد من إرباك الساحة الداخلية شعبياً وسياسياً، ذلك أن دوائر القرار الرسمي تبدو في حالة من الغيبوبة رغم تبلّغها أن الرهان على مقولة «الرد المدروس» محفوف بكثير من المجازفة ويمكن أن يؤدي إلى انفلات الأمور في لحظة احتدام المواجهة في المنطقة وفي الحسابات الإسرائيلية على أبواب الانتخابات!

Volume 31 - Issue 9651 Sunday 1 September 2019

الضربات الإسرائيلية ضد فيلق القدس وحزب الله إعادة لتوازن الرعب وتثبيت «الخطوط الحمراء»

حسام محمد

شهدت العاصمة السورية في خاصرتها الجنوبية في 24 آب/أغسطس الحالي، هجمات إسرائيلية استهدفت معملا إيرانيا مخصصاً لصناعة طائرات الدرونز «المسيرة» ضمن منطقة تابعة للنظام، حيث نجحت الصواريخ الإسرائيلية في الوصول إلى أهدافها وتكبيد فيلق القدس الإيراني وحزب الله اللبناني خسائر عسكرية فادحة، إضافة إلى خسائر في الأرواح، حيث اعترف حزب الله بمقتل 3 من عناصره.

الضربات الإسرائيلية، تبدو أنها بدأت تأخذ طابعا جديدا، يتمحور في انتقاء الأهداف بدقة عالية، وعملية مراقبة لحظية لأي تحرك إيراني أو لحزب الله في سوريا، إضافة إلى توقيتها وتواليها، في حين أن الجانب الإيراني وحزب الله، لا يزالون يحتفظون بحق الرد، في إشارة منهم بتقبل الضربات رغم مرارتها عليهم، مقابل دفع عجلة التصعيد وعدم الإنجرار إليها.

الباحث السياسي عرابي عرابي، يرى أن غالبية الضربات الإسرائيلية السابقة كانت تتعامل مع أهداف رابضة في المطارات أو القواعد العسكرية الإيرانية المنتشرة في سوريا، وكان آخرها ضرب معمل كبير لصناعة الصواريخ بعيدة المدى في مصياف، الأمر الذي سبّب خسارة كبيرة لإيران ودفعها لسلوك تكتيك جديد في هجماتها ضد إسرائيل وهو الطائرات الانتحارية المسيّرة.

هذا السياق الزماني المتتالي يوضّح مغزى الاهتمام الإسرائيلي الكبير بهذه الغارة وما تلاها من ردود أفعال متبادلة بين الإسرائيليين والطرف الإيراني وحزب الله، ولعل أبرزها إسقاط طائرتين إسرائيليتين مسيرتين في قلب الضاحية الجنوبية في بيروت، إحداها سقطت بسبب عطل فني بينما فُجّرت الأخرى في إحدى مكاتب الحزب للعلاقات والإعلام. وبالنظر إلى الحجم الكبير للغارة التي نفذتها إسرائيل جنوب دمشق في منطقة عقربات، وراح ضحيتها حسن يوسف زبيب، وياسر أحمد ظاهر، وهما من كوادر حزب الله الخاصة والتي سافرت إلى إيران عدة مرات حسب بيان الجيش الإسرائيلي، ومكثا فيها لإجراء تدريبات خاصة في فيلق القدس على تشغيل الطائرات المسيّرة الانتحاريّة المتفجّرة.

ويقول عرابي لـ «القدس العربي»: هذا يوضّح لنا أن الكيان الصهيوني انتقل من ضرب القوات البرية الإيرانية وإمدادات الصواريخ إلى استنزاف وجود إيران للمليشيات الشيعية في العراق وسوريا ولبنان. فلم تعد حماية الحدود القريبة هي الهدف، وإنما منع ميلان موازين القوى الاستراتيجية لصالحها إضافة إلى الحفاظ على قواعد اللعبة السابقة والتي تتضمن منع نقل أسلحة إستراتيجية إلى الحزب في لبنان أو تهديد الحدود الإسرائيلية عبر سوريا».

صراع نفوذ

ويستبعد عرابي أن يكون الصراع الإسرائيلي الإيراني وهميًا، وفي الوقت ذاته ليس صراعًا على الوجود كما تروّج الأدبيّات الإيرانيّة، التي تبالغ بوصف الكيان الإسرائيلي بـ «الكيان السرطاني» وتساند ذلك الوصف الشعارات الحماسية مثل «الموت لأمريكا» و«الموت لإسرائيل».

وقال: جُلّ ما يمكن وصف الصراع بين الطرفين بأنه صراع على استحواذ النفوذ وامتلاك القوة المطلقة في الإقليم، وبطبيعة الحال فإن انقلاب مجريات الثورة السوريّة إلى ما نراه منح إيران فرصة قويّة لبسط أذرعها في سوريّا وتمكين حليفها حزب الله منها دون إيلاء اهتمام كبير للنظام السوري وحساباته، أي انتقاله من وضع الحليف الذي يستند إليه إلى عنصر ضعيف تملى الشروط عليه.

تدرك الطبقة الحاكمة في إيران أن وجودها مهم للغرب وأن الغرب ينظر إلى تحركاتها بشكل مترابط ولذلك فإنها تستثمر أوراق اللعب التي تملكها لخدمة ملفاتها المتعددة كتصرفاتها في مضيق هرمز ودعمها للمليشيات الشيعية في العراق وسوريا واليمن لتحصيل مكاسب عدة في ملفات متوازية كملف المفاوضات النووية، وهذا يوحي لنا بوجود قنوات متبادلة بين الإيرانيين والغرب بما فيه أمريكا التي سمحت لإسرائيل بإيصال قطع غيار الطائرات المقاتلة إلى 4 أثناء حرب السنوات الثماني واستمر تطور التعاون الأمريكي الإسرائيلي الإيراني على النحو الذي كشفت أسراره فضيحة إيران كونترا».

تؤسس هذه الغارات لأمر واضح إلا أنه سيستهلك الكثير من الغارات والتوتر في الأيام المقبلة في مناطق مختلفة من العراق وسوريا ولبنان، وهو نزع أوراق التوازن والردع في وجه إسرائيل من يد إيران والجماعات الوظيفية المرتبطة بها.

هذا الأمر، من وجهة نظره، مرتبط بشكل وثيق بقدرة كل فريق على تثبيت خطوطه الحمراء أمام الطرف الآخر، ويبدو أن الإسرائيليين أدركوا حجم التهديدات الإيرانية على المدى البعيد ولذلك وسّعوا شبكة القصف وأماكنه ونوعية الأهداف، فباتت قواعد الحشد الشعبي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على قائمة الأهداف في سبيل منع أي خلل محتمل لتوازن الردع لصالح إيران أمامها.

ومما يعزّز هذه الفرضية الضربات الاستباقية التي تنفذها إسرائيل إضافة إلى حجم الاستنفار الذي تعدّه إيران عبر حزب الله في لبنان حيث أشعلت تهديدات حسن نصر الله مواقع التواصل الاجتماعي خاصة مع تعهده بالرد ومنع الاعتداءات على لبنان مرة أخرى مهما كلف الأمر، وقابله في الطرف الآخر تجهيزات إسرائيلية على طول الحدود اللبنانية بهدف منع أي خرق جوي عبر الطائرات المسيّرة أو أي تغلغل بري للحزب في شمال فلسطين المحتل، مما قد يدفع إلى اندلاع مواجهات محدودة بين الجيش الإسرائيلي وحزب الله، وهنا ستكون العديد من السيناريوهات مفتوحة، وليست الحرب الشاملة. ويبدو أن عدم ردّ إيران على إسرائيل مرتبط بسعيها لعدم حدوث مواجهة شاملة في سوريا بينها وبين القوى الغربية والإسرائيلية. لذلك فإنها تبحث عن السيطرة على مفاصل سوريا ودعم النظام لاستعادة ما يمكن استعادته بهدف التمركز فيه والاستفادة منه مستقبلاً في مختلف الملفّات المفتوحة.

وفيما تتلاقى مصالح طهران والأسد، ينحو بعض المحللين إلى ربط مصير الأسد بالوجود الإيراني في سوريا، وذلك استناداً على حجم التوغل الإيراني في سوريا، إضافة إلى ضخامة المبالغ الائتمانية التي قدمتها للنظام حيث وصلت إلى ما يزيد عن ستة مليارات دولار، وفي الوقت الذي تعاني إيران من ضغط اقتصادي خانق، نراها قد أنشأت مليشيات داخل النظام تتبع لها.

وهنا ثمة تناقض ظاهري، إذ إن الأسد على الرغم من استفادته من إيران وميليشياتها، إلا أن الغارات الإسرائيلية تقدم له خدمة ثمينة بإضعافها للوجود الإيراني وميليشياتها التي ستنقلب عليه بالتأكيد حين تتمكّن من إحكام سيطرتها على سوريا بالكامل، حيث تؤخر هذه الغارات ذلك التمكّن الحتمي.

أين روسيا؟

ويرى عرابي، إن موسكو تستفيد من الغارات الإسرائيلية على نحو تكتيكي واستراتيجي في الوقت ذاته، ويميل إلى قراءة أوجه استفادة روسيا من الغارات الإسرائيلية على إيران من خلال المحددات الآتية:

– انتفاء حاجة روسيا الاستراتيجية لإيران في ميدان المعارك في سوريا، وذلك يعني أن التحالف الاستراتيجي بينهما قد وصل إلى نهايته، كما أن كُلًا منهما ينظر إلى الآخر على أنّه منافس يستهدف تحصيل المكاسب كاملةً، ولذلك تبني روسيا جيشًا موازيًا مواليًا لها بينما تتوغل إيران في مفاصل الجيش السوري عبر الشخصيات الموالية لها.

– صمت روسيا عن الغارات دليل رضاها ومساهمتها الفاعلة فيها، حيث يعمل مركز التنسيق الإسرائيلي الروسي على ضبط الغارات وتنظيمها، مما يعني وجود يد واضحة لموسكو في استراتيجية إسرائيل الهادفة لردع إيران في سوريا.

– إقصاء إيران عن سوريا إثر الحل المتوقّع هدف استراتيجي لروسيا، ولذا فإن إضعافها تسهيل لمهمّة روسيا المستقبلية، وهو ما تدركه إسرائيل.

أهداف إيران

عند الحديث عن إيران وتدخلاتها في الدول العربية، نجد انها تهدف إلى مشاريع مستقبلية كبيرة سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية.

وفي هذا الإطار يقول الخبير في العلاقات الدولية حسن الشاغل لـ «القدس العربي»: لدى إيران عدة مشاريع تسعى إلى تحقيقها في المنطقة العربية، منها ما هو ديني، واقتصادي، جغرافي وسياسي، مستغلة الفوضى السياسية التي خلفتها ثورات الربيع العربي، إضافة، إلى إيجاد الميليشيات وأنظمة حكم مساندة لها نقطة انطلاق لتحقيق أطماعها في المنطقة العربية».

وتسعى إيران، وفق الخبير الدولي، إلى تحقيق ثلاثة مكاسب استراتيجية في المنطقة العربية أولها، هدف ديني حيث تسعى منذ 2003 لنشر التشيع وخاصة في سوريا، وقد بنَت الزوايا في مناطق كثيرة من سوريا وصرفت مبالغ كبيرة لتحقيق قاعدة شعبية لها في المنطقة. بالإضافة إلى تحقيق حلم قديم جديد لإعادة الإمبراطورية الفارسية.

أما الهدف الثاني، فهو جغرافي، إذ تريد إيران أن تصل موانئ في كل من سوريا ولبنان لتكون نقطة انطلاق لها الى أوروبا، في اليمن تسعى للسيطرة على الموانئ عبر مليشيات الحوثي كي لا تصبح بيد دول الخليج وتكون بديلا عن المرور من مضيق هرمز الذي يشكل أداة ضغط بيد إيران أثناء تعرضها لضغوطات دولية بشأن برنامجها النووي.

ثالث أهدافها، اقتصادي حيت تعمل على تصدير احتياطاتها من الغاز والبترول عن طريق خط أنابيب الإسلامي الذي سوف يمر من العراق وسوريا ولبنان إلى أوروبا، عن طريق جزيرة قبرص، ولأجل تحقيق هذا المشروع يجب أن يكون لديها تواجد في سوريا لحماية مصالحها الاستراتيجية.

وبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية العدو الصريح لإيران، لا ترغب وفق ما قاله الشاغل، في القضاء عليها بشكل نهائي، بل تريد تحجيمها واضعافها بقدر معين، من خلال العقوبات الاقتصادية والضغوطات السياسية. الإدارة الأمريكية السابقة أطلقت يد إيران في الساحة العربية من أجل تبرير تواجدها المستمر في المنطقة العربية، وللضغط على دول الخليج لشراء الأسلحة من الأسواق الأمريكية، ومن أجل ان تبقى دول المنطقة تشعر أنها بحاجة إلى الحليف الأمريكي.

وتعمل إسرائيل وأمريكا على شن ضربات جوية على مواقع إيرانية والميليشيات المساندة لها في سوريا والعراق ولبنان من أجل تدمير قوات وأسلحة إيرانية ممكن ان تنقل الى مواقع قريبة من إسرائيل وتكون بذلك أداة ضغط عليها، فهذه الضربات المتكررة هدفها ضرب القوات والأسلحة الإيرانية وتقليص الخطر الإيراني.

كما تكون هذه الضربات على مواقع يفترض انها للجيش السوري، ولكن هي لميليشيات إيرانية، تمركزت في هذه الأماكن لتشتيت النظر عنها، لكن روسيا أصبحت رجل مخابرات لإسرائيل وهي التي تزودها بكافة مواقع القوات الإيرانية.

وهو يرى أن هناك توافقا دوليا على انهاء التدخل الإيراني في المنطقة العربية عامة وفي سوريا خاصة، لان إيران أصبحت تسعى إلى تحقيق مصالح تضر بمصالح القوى الدولية.

مركز حزب الله الاعلامي

السنة الحادية والثلاثون العدد 9651 الأحد 1 أيلول (سبتمبر) 2019 – 2 محرم 1441 هـ

لماذا تقصف إيران أسلحتها «المخبأة» في العراق؟

نجاح محمد علي

قد يبدو من غير المعقول طرح هذا السؤال عن الاعتداءات المتكررة التي تتعرض لها مقار تابعة للحشد الشعبي في العراق وتوجيه الاتهام لإيران بحجة أن ذلك سيدفع باتجاه أن تزود إيران العراق بمنظومة دفاع جوي، بالرغم من أن الكيان الصهيوني نفسه يلمح إلى حد التصريح أنه هو من يستهدف الصواريخ الإيرانية في أي مكان تخبأها فيه إيران.

ليس هذا وحسب وإنما هناك تقارير لدى الحكومة العراقية وتتكتم عليها، تشير إلى مشاركة سعودية وكردية لتسهيل إسرائيل قصف مواقع في العراق من المناطق التي يسيطر عليها الأمريكيون، وبعلم الأمريكيين الذين يسيطرون على الأجواء العراقية.

كان واضحاً أن قصف مخازن سلاح الحشد الشعبي وأخرى تابعة للشرطة الاتحادية، والحشد الشعبي نفسه تكررت كثيراً وحتى في عهد رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي، لكن الحكومة تفادت الاعتراف بها وتفادت بالتالي توجيه الاتهام للجهة أو الجهات المتورطة.

ورغم أن الحكومة وتحديداً رئيس الوزراء، تعرف بالقصة الكاملة حتى قبل فتح تحقيق هذه الحوادث، إلا أنها أثرت ترحيل الحديث عن توجيه الاتهام لأن ذلك يعني أنها مطالبة في مرحلة تالية تحديد طبيعة الرد، وهذا ما لا تريده لأسباب كثيرة منها بالطبع الخشية من تداعيات ذلك على العملية السياسية الهشة في العراق، واحتمال دخول البلاد مرة أخرى في مرحلة ربما ستكون أخطر من مرحلة «داعش» وقبلها في تفجير مرقدي الإمامين العسكريين عام 2006.

في كل المرحلتين كان العراق يُدفع دفعاً للانزلاق في أتون حرب طائفية لا تبقي ولا تذر لتدميره وتقسيمه، لكن تدخل المرجعية العليا أحبط ذلك، إن في فتوى الجهاد الكفائي التي لم تكن تخص طائفة معينة وكانت للدفاع عن مقدّسات جميع العراقيين بلا اختلاف بين أديانهم ومذاهبهم، أو قبلها في وأد فتنة «المرقدين في سامراء» بقوله المشهور «لا تقولوا السنّة أخواننا بل قولوا أنفسنا».

وفي هذا الواقع تدرك الدولة العراقية متمثلة في الرئاسات الثلاث حجم الخطر المحدق بالعراق، وعمد رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس البرلمان إلى الاجتماع وإصدار بيان واضح في استخدام العراق منصة للاعتداء على جيرانه (في إشارة إلى إيران) ليمهد بذلك إلى اجتماع هام ومفصلي ضم قادة الحشد الشعبي غاب عنه بعضهم، وآخر مع القادة السياسيين.

جاء اجتماع الرئاسات مع قادة الحشد لضبط إيقاع القادة الذين يُخشى أن تكون لهم ردود فعل خارج إطار الدولة، وما يمكن أن يورط ذلك العراق في حرب مباشرة مع الطرف المعتدي.

وتم الاتفاق على أن تتولى الحكومة برئاسة عادل عبد المهدي التحرك الدبلوماسي لمنع تكرار الاعتداءات من خلال الذهاب إلى مجلس الأمن الدولي وأيضا إجراء اتصالات بالدول المعنية وعلى رأسها الولايات المتحدة لتأمين حماية الأجواء العراقية.

ورغم أن الحكومة لم توجه الاتهام رسمياً لأي طرف إلا أنها حملت الولايات المتحدة المسؤولية لأن الأجواء العراقية هي تحت حماية طيران التحالف الدولي الذي تقوده.

وقد يبدو هذا الإجراء «شكلياً» إذ ليس بمقدور الحكومة، ولا هي راغبة، في الدخول في مواجهة سياسية مع واشنطن في الوقت الحاضر على الأقل وهي تنجح في الظهور كوسيط أو مشارك في إطفاء نيران حرب يمكن تندلع على خلفية الأزمة بين إيران والولايات المتحدة، لكن الحاجة إلى «ضبط» الفصائل المسلحة خارج الحشد الشعبي، والحشد الشعبي نفسه ومنعه من تنفيذ تهديدات نائب رئيسه أبو مهدي المهندس في الرد على أمريكا وإسرائيل بعد أن اتهمهما بتلك الاعتداءات، يحتاج إلى أن يظهر عادل عبد المهدي الحزم مع الولايات المتحدة مستنداً في الوقت نفسه إلى الاتفاقية الأمنية واتفاقية الإطار التي تلزم الولايات المتحدة بالدفاع عن العراق ولا تعارض توجهه نحو دول أخرى كإيران وروسيا للحصول على منظومة دفاع جوي تحمي سماءه.

إلى إيران سر

صحيح أن واحداً من أعداء إيران أو كارهيها من العراقيين أو من باتوا يتحالفون معهم من خارج الحدود وعلى رأسهم الولايات المتحدة والسعودية وإسرائيل، لم يوجه لإيران تهمة أن تكون هي من استهدف مخازن الحشد الشعبي، لأن مثل هذا الاتهام لم يفكر به أحد ليس لأن الحشد في رأي هؤلاء متحالف مع إيران أو موالي لها فلماذا تستهدفه إيران، بل لأنهم وجدوا طريقة أخرى لاتهام إيران بالقول إن الغارات استهدفت صواريخ وأسلحة إيرانية (بعدما قالوا دفع العراق ثمنها فصارت إذا عراقية) يمكن أن تستخدم ضد السعودية واسرائيل والمصالح الأمريكية.

ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى تحضيرات نفسية سابقة في الاتهامات التي روجها هذا المحور إلى أن الطائرات المسيرة التي أغارت يوم 14 أيار/مايو الفائت على مضخات نفط في ينبع بالسعودية انطلقت من داخل العراق (قبل الاعتداءات الأخيرة على الحشد).

وإذ يعتقد هؤلاء بأنهم من خلال تلك الاتهامات واستهداف الحشد الشعبي سيضيقون على النفوذ الإيراني داخل العراق، لكنهم يدفعون بالحكومة نحو إيران للحصول منها على منظومة دفاع جوي خصوصاً وأن الحكومة التي تشكلت بتفاهم إيراني بريطاني شمل تفاهماً مع دول إقليمية أخرى انعكس بالتوافق بين تحالفي «فتح _ سائرون» لم تحصل على هذه المنظومة من الولايات المتحدة.

وعلم في هذا الصعيد إن قائد فيلق القدس الجنرال قاسم سليماني، زار العراق بعد آخر قصف للحشد الشعبي لبحث موضوع حماية الأجواء العراقية، كما زار سوريا في نفس الليلة التي أعلنت إسرائيل قيامها بشن غارات عليها، وإسقاط مسيرتين لها في الضاحية الجنوبية في لبنان!

ومن المقرر أن يطلب أعضاء من كتلة الفتح برئاسة هادي العامري من مجلس النواب في الفصل التشريعي المقبل بحث تواجد القوات الأمريكية وفق اتفاقية الإطار التي تعتبر مثل هذا التواجد «مؤقتا» جاء ويخرج بطلب من الحكومة العراقية، لكن الانقسام الحاد بين العراقيين حول تفسير ما حصل وأن نرد أو نصمت، قد يحول دون خروج جميع الأطراف بموقف موحد ينسجم مع بيان الرئاسات الثلاث الذي يسعى إلى أن يجعل هذه الأطراف ملزمة بدعم وحدة القرار العراقي. ولتفادي حصول هذه الوحدة في الموقف من هذه التطورات ارتفع الحديث مجدداً حول «أداء الحكومة» الضعيف في الداخل وضرورة إسقاطها أو إحداث تغيير وزاري كبير ما جعل الرافضين يعتقدون أن تكون لها قواعد دائمة أو وجود عسكري دائم في العراق.

وبين المطالبين بإخراج القوات الأمريكية أو استخدام هذه المطالبة للضغط لكي تمنع الولايات المتحدة تكرار الاعتداء على الحشد الشعبي، والمطالبين بتغيير الحكومة، يتحرك المطالبون بحكومة إنقاذ وطني تطيح بالعملية السياسية، وتدخل العراق في نفق مرحلة ما بعد تنظيم الدولة.

استهداف الحشد الشعبي بين الأهداف والرد العراقي المتوقع

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

يوما بعد يوم، تتبلور ملامح صورة اتفاق وتصميم بين الولايات المتحدة وإسرائيل حول كيفية التحرك وتوزيع الأدوار، لتحجيم دور فصائل الحشد الشعبي في العراق والمنطقة، باعتباره أحد فصول سيناريو تقليم أظافر النفوذ الإيراني.

وفي خضم اتساع أشكال المنازلة بين إيران وإسرائيل والولايات المتحدة، يبدو أن للعراق مساحة كبيرة في المواجهة تبلورت باستهداف معسكرات ومخازن أسلحة الحشد الشعبي فيه، مع استمرار وعود قادة إسرائيل بتوجيه الضربات إلى أدوات إيران في كل المنطقة. وفي الوقت الذي أعلن البيت الأبيض أن الولايات المتحدة ستتخذ إجراءات لتقليص النفوذ الإيراني في العراق، من خلال خطوات إضافية ضد «التشكيلات المسلحة الموالية لإيران» حسبما ورد في اتصال مايك بينس، نائب الرئيس الأمريكي، مع رئيس إقليم كردستان العراق، نيجرفان بارزاني، مبديا « قلقه إزاء مواصلة التشكيلات المسلحة الموالية لإيران تقويض أمن وسيادة العراق» فإن نائب القائد العام لقوات التحالف الدولي الجنرال كريستوفر غيكا ، أكد أن قواته جاهزة للرد على أي هجوم من الفصائل المسلحة في العراق، وأضاف «نحن موجودون بطلب من الحكومة العراقية وسنلتزم بقراراتها، وننتظر تطبيق الحشد الشعبي للأمر الديواني الصادر من رئيس الوزراء» في إشارة إلى تذبذب انضمام الفصائل للقوات الرسمية.

وازاء الضغوط والتهديدات التي بدرت من فصائل وقوى شيعية بالرد على قصف معسكراتها، فان الرد الرسمي العراقي أخذ توجهات متعددة غلب عليها السعي للتهدئة وتجنب التصعيد العسكري.

وفي هذا السياق، عقدت الرئاسات الثلاث (الجمهورية والوزراء والنواب) سلسلة اجتماعات مع قيادات في فصائل الحشد والأحزاب السياسية، أكدت خلالها على التهدئة وافساح المجال للحكومة لاتخاذ الإجراءات المناسبة ورفض التصرفات الفردية، مع التشديد أن العراق لن يكون منطلقاً للاعتداء على أي من دول الجوار والمنطقة، مع رفضه سياسة المحاور وتصفية الحسابات، إضافة إلى متابعة الاتفاقيات والتفاهمات مع التحالف الدولي وبما يخدم مصلحة العراق.

وفي تأكيد على خيار التهدئة أعلنت وزارة الخارجية، إنها «ستتخذ كافة الإجراءات الدبلوماسية والقانونية اللازمة من خلال الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي والاتصالات مع الدول الشقيقة والصديقة للتصدي لأي عمل يخرق سيادة العراق وسلامة أراضيه».

وأكد مجلس الأمن الوطني، على حق العراق باتخاذ الإجراءات اللازمة قانونيا ودبلوماسيا من خلال المؤسسات الإقليمية ومجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة دفاعا عن سيادته وأمنه ووحدة أراضيه وبكل الوسائل المشروعة، كما أعطى المجلس الضوء الأخضر لوزارة الدفاع العراقية «للرفع من مستوى تسليح قيادة الدفاع الجوي».

وفي المقابل، عبرت الأحزاب والفصائل المقربة من طهران، عن تصورها للرد على استهداف معسكرات الحشد عبر مواقف استندت إلى فتوى أصدرها المرجع الشيعي كاظم الحائري، المقيم في قم، بحرمة بقاء القوات الأمريكية في العراق، أو من خلال توجه نائب قائد الحشد أبو مهدي المهندس إلى طهران مختلفا عن اجتماع الرئاسات الثلاث بقادة الفصائل والأحزاب، ليعطي رسالة بعدم انصياعه للقرارات العراقية الرسمية. إلا أن أبرز موقف للفصائل الموالية لإيران تمثل في تنافسها بتوجيه التهديدات للقوات والمصالح الأمريكية في العراق.

فقد كشف قائد كتائب سيد الشهداء، أبو ولاء الولائي، في لقاء تلفزيوني، عن آلية الرد على الاعتداءات على مقرات الحشد، مؤكدا إن «أمريكا لا ترى غير لغة القوة، وامكانية الرد تتم عبر مصالحهم الموجودة داخل البلاد» متهماً واشنطن بالمساهمة في ضرب معسكرات الحشد بالتعاون مع إسرائيل. وهدد قائلا: «لدينا الامكانية بإطلاق طائرات مسيرة وضرب سفارات الدول المسؤولة عن استهداف المعسكرات التابعة لنا» مشيرا إلى أن «الأمريكان في العراق كلهم رهائن لدى المقاومة في حال حدثت الحرب بين واشنطن وطهران».

وبينما أعلنت ميليشيا عصائب أهل الحق ان المصالح الأمريكية في العراق أصبحت أهدافا مشروعة بعد فتوى كاظم الحائري، وأن السفارة الأمريكية تضم خلية أمنية إسرائيلية تخطط لضرب مقرات الحشد الشعبي عبر طائرات مسيرة، مشيرة إلى أن فرضية التعرض للسفارة الأمريكية ليست مستبعدة، فقد تناقلت المواقع الإخبارية المحلية، وصفحات التواصل الاجتماعي، مقطع فيديو لمجموعة تطلق على نفسها اسم «جند الإمام الحجّة» في إشارة إلى الإمام المهدي، وهي تستعرض صواريخها، وتحذيرها من إن «القواعد العسكرية والمدنية الأمريكية باتت أهدافا مشروعة لنا».

ولوحظ ان بعض القوى الشيعية أيدت خيار التهدئة وتجنب التصعيد، ومنها ائتلاف النصر بقيادة حيدر العبادي الذي انتقد لجوء بعض الفصائل لأسلوب المزايدات والمجازفة بمصالح الوطن، فيما دعا مقتدى الصدر إلى تجنب أي «تصرف أهوج» يجر الوطن إلى الحروب، وضرورة ان يكون القرار عراقيا بعيدا عن تدخل دول المقاومة (إيران وسوريا) في الأزمة.

وفي محاولة لإسكات الأصوات التي تتصاعد في توجيه الانتقادات إلى بعض قادة الحشد الشعبي وسعيهم لجر العراق إلى حرب بالوكالة عن إيران مع الولايات المتحدة، حذرت هيئة الحشد الشعبي، مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي والإعلام، من مهاجمتها أو انتقاد قادتها، ما جعل ناشطين يحذرون من ان بيان الحشد هو ضوء أخضر لبدء حملة ملاحقات وتصفيات جسدية ضد المناوئين لنفوذ طهران وأذرعها داخل العراق.

وفي كل الأحوال، فان مواقف العراق ازاء الرد على الاعتداءات على معسكرات الحشد، تتباين بين الحكومة والفصائل المسلحة، وتعتمد على مدى تطورات المواجهة والضغوط المتبادلة بين إيران وفصائلها من جهة وبين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة أخرى، وعلى محصلة النتائج التي يحققها الطرفان في المنازلة، دون اغفال محاولات طهران وواشنطن للتوصل إلى اتفاق سياسي يحقق أهدافها بأقل الخسائر ويحفظ ماء الوجه لهما.

Volume 31 - Issue 9651 Sunday 1 September 2019

حرب لن تنتصر فيها إسرائيل

إبراهيم نوار

عندما تتقاعد الدول من حرب عادلة، تنهض المنظمات. وقد فرغت إسرائيل من حروب الدول، وتفرغت لحروب المنظمات. وبينما كانت لسنوات طويلة تنتقي حروبها مع المنظمات واحدة بواحدة، فإنها، هذه المرة، قررت أن تعلن الحرب عليها جميعا في وقت واحد! ولماذا لا. وقد جربت ذلك مع الدول وكسبتها مرتين متتاليتين عندما حاربت على ثلاث جبهات في وقت واحد. علاقات إسرائيل مع الدول العربية الآن، تتراوح بين «سلام دائم» بقوة اتفاقيات ثنائية، في حالتي مصر وإسرائيل، وبين ما يمكن وصفه بأنه عقود عرفية غير مكتوبة، خصوصا مع دول الخليج الغنية بالنفط. وبين هذا وذاك تخضع العلاقات لاتفاقيات هدنة عملية يحرسها مراقبون دوليون، كما في حالتي سوريا ولبنان. في غير ذلك وعلى كل الجبهات المحيطة بإسرائيل وبالبعيدة عنها من شرق البحر المتوسط إلى باب المندب، تعمل في ساحة صراع مكشوف ضد منظمات مسلحة غير حكومية لها بأس شديد، مثل حزب الله في لبنان وسوريا وأنصار الله (الحوثيون) في اليمن (من خلال السعودية وباستخدام وجودها العسكري في باب المندب) وحماس والجهاد في غزة وفتح في الضفة.

في الأيام الماضية اشتعلت كل الجبهات فجأة، لأن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، الذي يواجه انتخابات عامة في 17 أيلول/سبتمبر، وجد نفسه ينزلق إلى ركن ضيق مع تشديد الخناق عليه قانونا في قضايا فساد، ومع فشل سياساته في تشديد الحصار على إيران، ومحاولة إقناع العالم بشن حرب ضدها. للخروج من مأزقه، يبدو أنه قرر استخدام الحرب سلاحا للتعبئة السياسية المحلية، وأداة لزيادة حدة التوتر الإقليمي.

وقد أرفق نتنياهو حربه على المنظمات هذه المرة، بإعلان غير مسبوق في السياسة الإسرائيلية، عندما كشف النقاب رسميا، عن أن إسرائيل تقوم وستواصل العمل ضد إيران في أي مكان في العالم. وحسب تصريحه: «ليس لإيران حصانة في أي مكان. قواتنا تشن عمليات ضد العدوان الإيراني، وسوف نستمر في العمل ضدها، وضد وكلائها بإصرار ومسؤولية من أجل حماية أمن إسرائيل». وكشف الغطاء عن أن إسرائيل تقوم بعمليات عسكرية كثيرة غير معلنة قائلا: «نعمل دائما، ليس فقط لنا لزم الأمر، في مناطق كثيرة، ضد دولة تريد إبادتنا. ولقد أطلقت أذرع الأجهزة الأمنية، وأصدرت توجيهاتي لها بفعل أي شيء ضروري لإحباط خطط إيران». ومن أجل أن يمنح لتصريحه قدرا من القداسة الدينية ختم نتنياهو بنص من التلمود يقول: «إذا نهض أحد ليقتلك، فاقتله أولا». في حربه الأخيرة لم ينتهك نتنياهو سيادة إيران، ولم يشن عملية عسكرية ضدها، لكنه انتهك سيادة لبنان وسوريا والعراق. نتنياهو لم يوجه خطابه بإعلان الحرب إلى خامنئي أو روحاني، أو الأسد أو عون، وإنما وجهه إلى قاسم سليماني وإلى حسن نصر الله.

إسرائيل لم تكف عن توجيه ضربات إلى سوريا على مدى السنوات السبع الماضية، ولم تكف عن اختراق المجال الجوي اللبناني، وشن عمليات محدودة ضد قواعد حزب الله بالقرب من مزارع شبعا وفي الجنوب، كما استخدمت المجال الجوي اللبناني في شن غاراتها داخل العمق السوري والعراقي. وهي تستعين على المنظمات بثلاثة أسلحة، الأول هو سكوت حكومات عربية عن انتهاك سيادة أراضيها وأجوائها ومياهها الإقليمية، والثاني هو التفوق الساحق لسلاح الطيران الإسرائيلي، والثالث هو ضعف الدفاعات المضادة للطائرات في الدول المحيطة بها ولدى المنظمات.

غير أن الأشهر الأخيرة شهدت تطورا نوعيا في العمليات القتالية على الجانبين. إسرائيل تتوسع في استخدام الطائرات المسيرة (الدرون) سواء في أعمال التجسس وجمع المعلومات، أو في شن هجمات مسلحة. لكن الأخطر هو استخدام طائرات إف– 35 المعدلة إسرائيليا في شن هجمات قاتلة. وقد ساعد استخدام إسرائيل هذه الطائرات على التوغل في عمق العراق وسوريا، وشن هجمات بسهولة على مواقع عسكرية قرب حمص والقائم والوصل، بدون أن تسقط منها طائرة واحدة.

في مقابل تفوق إسرائيل الجوي الكاسح، فإن المنظمات المسلحة غير الحكومية، التي تواجهها في حروبها داخل المنطقة، منذ استقالت الدول العربية من المواجهة، استطاعت تطوير أسلحة قاتلة، بإمكانات محدودة جدا، أهمها الطائرات المسيرة والصواريخ. فالطائرات المسيرة (الدرونز) يتم تصنيعها بسهولة في ورش بسيطة أو حتى داخل البيوت، وفق تكنولوجيا تم اكتسابها من دراسة حطام طائرة مسيرة أمريكية أسقطتها الدفاعات الجوية داخل إيران عام 2011. ويمكن إرسال هذه الطائرات لاختراق الدفاعات الجوية الإسرائيلية، بكفاءة عالية. وقد أثبتت هذه الطائرات أيضا كفاءة عالية في حرب اليمن حتى الآن. كما اعترفت إسرائيل بخطورتها، وبصعوبة مواجهتها، إلى جانب ارتفاع تكلفة تصميم أنظمة دفاعية لتدميرها. ويتفق خبراء الدفاع في العالم على أن شن حملات متزامنة بالطائرات المسيرة، يعرض المناطق المستهدفة لأخطار بالغة، حيث يصعب مواجهة عدد كبير من الدرونز في الوقت نفسه، وهو ما يتضح من ضربات الحوثيين لأهداف في السعودية. ويعتقد بعض الخبراء أن الضربة التي وجهتها إسرائيل، في الأسبوع الماضي، إلى موقع عسكري في (تل الحارة) جنوب درعا بالقرب من الجولان، كانت بمثابة استجابة لإنذار استخباراتي مبكر، يفيد بأنه يتم تجهيز عدد من الطائرات المسيرة في هذا الموقع، بغرض إطلاقها في وقت واحد إلى داخل إسرائيل. لكن التنظيمات المسلحة العاملة في جنوب سوريا نفت تماما الرواية الإسرائيلية في هذا الخصوص.

القدرات العسكرية للمنظمات تشمل أيضا أنواعا من الصواريخ، يتراوح مداها بين عدة كيلومترات إلى أكثر من 100 كيلومتر، يتم تطويرها محليا بتكلفة بسيطة جدا، تستطيع اختراق الأجواء الإسرائيلية، والنفاذ إلى الداخل خلال دقائق قليلة، بما لا يكفي لأنظمة الدفاع المضادة، لتدميرها قبل الوصول إلى أهدافها. ويتم في العادة استخدام الكثير من هذه الصواريخ، من جانب حماس والجهاد الإسلامي في غزة، بينما يستخدم أنصار الله في اليمن صواريخ أبعد مدى. وتخشى إسرائيل أن يلجأ حزب الله إلى استخدام الصواريخ لتهديد مستوطناتها في الجليل، أو حتى الوصول إلى المدن والقواعد العسكرية والمنشآت الحيوية مثل محطات الكهرباء وخزانات النفط.

الخطر الرئيسي من وجهة نظر إسرائيل الآن هو أن المنظمات، وفي مقدمتها حزب الله، تقوم بتطوير صواريخ موجهة، دقيقة الإصابة عظيمة الكفاءة، اعتمادا على تكنولوجيا الـ «جي بي إس» وأجهزة «الريموت كنترول» العادية الرخيصة. هذه التكنولوجيا التي تتكلف حوالي 5000 دولار للصاروخ الواحد، تستخدم في تحويل صاروخ زلزال– 2 الإيراني إلى قوة صاعقة، يمكن أن تهدد قواعد الطيران والمراكز العسكرية في قلب إسرائيل. أيضا فإن القدرات العسكرية الصاروخية للمنظمات تتضمن صواريخ مضادة للدروع من طراز كورنيت الروسية، أثبتت فاعليتها في مواجهات سابقة في شل عمليات التوغل البري الإسرائيلي. وليس من المستبعد أيضا أن يكون لدى بعض المنظمات قوة بحرية تتألف من زوارق خفيفة سريعة مسلحة، وطوربيدات وألغام وغيرها، وقد ظهر ذلك بوضوح في حرب اليمن.

وعلى الرغم من التباين الشديد في مقومات القوة بين إسرائيل والمنظمات، إلا أن الحروب بين الطرفين مرشحة لأن تطول إلى سنوات مقبلة، بل ربما إلى عقود، ولن تنتصر فيها إسرائيل. هذه النوعية من الحروب، تختلف عن تلك التي تقوم بين الدول؛ فهي حروب بين وحدات سياسية لا يعترف بها القانون الدولي، على عكس الحروب بين الدول، وغير متساوية الإمكانيات. ومع ذلك فإن مثل هذه الحروب، تأسيسا على تجارب بريطانيا مع الجيش الجمهوري الإيرلندي، والولايات المتحدة مع القاعدة، وإسرائيل مع حزب الله ومع فتح وحماس، تثبت أن الدولة لا تنتصر ورجحان كفة المنظمات المسلحة غير الحكومية عليها.

وتحاول إسرائيل التغلب على مشكلة المكانة القانونية باستدعاء دول أو حكومات إلى المشهد، كما في حال المواجهة مع حماس، حيث تم استعادة مصر كطرف يلعب دور الوسيط والضامن والمراقب لتنفيذ اتفاقات هدنة بين الطرفين الأصليين. وعلى الرغم من النجاح الذي أحرزته مصر حتى الآن، فإن استدعاءها لم يمنع وقوع مواجهات متكررة شديدة الحدة.

مرة أخرى، حرب إسرائيل ضد المنظمات لا نهاية لها، ولن تنتصر هي فيها. لكنها إذا أرادت وضع حد لها، فلابد من استدعاء قوى أخرى، دولية أو إقليمية، لكي تتوسط وتضمن وتراقب اتفاقات (طويلة أو قصيرة الأمد) لوقف الإشتباكات. ونظرا لأن الأطراف التي تواجهها إسرائيل ترتبط بإيران، فليس أمامها إلا البحث عن طريق آمن إلى طهران! لكن الطريق إلى طهران يمر عبر بوابتين، الأولى هي بوابة حقوق الشعب الفلسطيني، والثانية هي بوابة إقامة سلام عادل ومتوازن بين شعوب المنطقة.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9651 الأحد 1 أيلول (سبتمبر) 2019 – 2 محرم 1441 هـ

إسرائيل تتبع سياسة تقوم على تكييف الحصار وليس رفعه: غزة تعيش على الحافة

محمد أحمد

اجتاز أهالي قطاع غزة، الأسبوع الأخير، امتحانا آخر من امتحانات الموت والحياة التي تحيط بهم في هذا القطاع الصغير المحاصر من البر والبحر والسماء، ونجوا من حرب أخرى تتهدد حياتهم ووجودهم منذ سنين طويلة.

فبعد أن أطلقت عدة صواريخ من قطاع غزة على التجمعات الإسرائيلية المجاورة، في أجواء الانتخابات بالغة الحساسية في الدولة العبرية، ظهرت إشارات قوية على حرب أخرى، جديدة، على القطاع، منها قيام رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بعقد اجتماع عاجل مع زعيم المعارضة البرلمانية بني غانتس و «اطلاعه على الأوضاع» وهو التعبير الذي عادة ما يستخدم في حالات الطوارئ القصوى التي تعقد فيها مثل هذه الاجتماعات النادرة.

وسارعت مصر إلى دعوة ممثلين عن حركة «حماس» التي تدير قطاع غزة، وحركة «الجهاد الإسلامي» وهي الحركة الثانية من حيث القوة العسكرية في القطاع، إلى القاهرة حيث عقدت معهم اجتماعات طارئة جرى فيها بحث حيثيات إطلاق الصواريخ وفرص تثبيت التهدئة في القطاع.

وفي ذروة البحث عن تثبيت هذه التهدئة الهشة في القطاع، قامت جماعات، يبدو انها تكفيرية، بهجمات انتحارية على رجال شرطة «حماس» أسفرت عن سقوط ثلاث ضحايا بينهم، ما صب كثيرا من الزيت على نيران القلق الحارقة التي تأكل أهل غزة المحاصرة منذ 12 عاما متواصلة.

وجاءت هذه التطورات في ذروة توتر إقليمي أعقب قيام إسرائيل بعمليات عسكرية في سوريا ولبنان والعراق، أثارت مخاوف بوقوع مواجهة شاملة في المنطقة يكون قطاع غزة جزءا منها.

وقالت مصادر مطلعة لـ«القدس العربي» إن التحرك المصري العاجل جاء على خلفية الخشية من وقوع مثل هذه المواجهة التي تطال حدود أمنها الإقليمي.

وقالت المصادر إن مصر أبلغت وفدي حركتي «حماس» و«الجهاد الإسلامي» ان لديها قلقا بالغا من احتمال وقوع حرب على حدودها ستكون تداعياتها على الوضع الأمني بالغ الهشاشة في شبه جزيرة سيناء المصرية الحدودية مع غزة.

وقالت المصادر إن مصر استخدمت في هذه الاجتماعات أدواتها التي أظهرت في الفترات السابقة تأثيرا لافتا في التعامل مع الحركتين الإسلاميتين اللتين تقعان في المعسكر الخصم لمصر، وفي المقدمة منها معبر رفح الحدودي الذي يعد شريان الحياة الوحيد لقطاع غزة مع العالم الخارجي، بعد إغلاق المعابر الأخرى التي تسيطر عليها إسرائيل منذ الأيام الأولى للحصار.

وشنت إسرائيل ثلاثة حروب على قطاع غزة منذ سيطرة «حماس» على القطاع في العام 2007 آخرها كانت في العام 2014، وسقط فيها أكثر من خمسة آلاف فلسطيني، غالبيتهم العظمى من المدنيين، ودمر فيها أكثر من 130 ألف بيت ومنشأة، إضافة إلى معظم البنية التحية.

ولعبت مصر دورا مركزيا في التوصل إلى تفاهمات التهدئة بين «حماس» وإسرائيل في معظم جولات التوتر اللاحقة والتي وصلت إلى حافة حرب جديدة كبيرة على القطاع. ووافقت مصر على فتح معبر رفح مع قطاع غزة في أواخر العام 2017 كجزء من صفقة تفاهمات مع إسرائيل هدفت إلى نزع فتيل الحرب.

وأبلغت مصر السلطة الفلسطينية انها وافقت على فتح معبر رفح لتجنب حرب في القطاع سيكون لها كثير من التداعيات على مصر، وخاصة في الجانبين الأمني والإنساني.

غزة

لكن جميع تفاهمات التهدئة ووقف إطلاق النار في غزة كانت هشة وسرعان ما تدهورت الأوضاع من جديد منذرة بوقوع حرب إسرائيلية جديدة على القطاع الذي يضم أكثر من مليوني فلسطيني في بقعة صغيرة تبلغ مساحتها 360 كيلومترا مربعا.

ويقول مسؤولون في «حماس» والجهاد الإسلامي إن إسرائيل تتبع سياسة تقوم على تكييف الحصار على القطاع وليس رفعه.

ويعترف مسؤولون في الحركتين بأنهم يغضون الطرف، وأحيانا يستخدمون الهجمات الصاروخية من أجل الضغط على إسرائيل لرفع الحصار.

ويعترف المسؤولون في الجانبين، في إسرائيل وفي قطاع غزة، بانه لا يوجد لديهم مصلحة في حرب شاملة.

فمن جانبهم، يعترف قادة «حماس» بأن حربا إسرائيلية جديدة على قطاع غزة ستؤدي إلى نتائج كارثية، سياسية وإنسانية. لكنهم يعتبرون استمرار الحصار على ما هو عليه لا يقل كارثية عن الحرب، مطالبين برفع هذا الحصار، أو تخفيفه بدرجة كافية على أقل تقدير.

وفي الجانب الإسرائيلي، لا يخفي رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو رغبته في عدم اللجوء إلى حرب مفتوحة مع غزة لأسباب أعلنها بلسانه، في مقدمتها إبقاء قطاع غزة منفصلا عن الضفة الغربية، وإبقاء «حماس» في حالة من القوة الداخلية تكفي لحفظ الأمن، وفي حالة من الضعف تحول دون قيامها بمحاربة إسرائيل.

وحافظت إسرائيل في الأعوام الأخيرة على سياسة تقوم على إبقاء قطاع غزة على الحافة، أو كما وصفها أحد المسؤولين في منظمات الإغاثة الدولية العاملة في القطاع «نظام الدايت» أي الحمية الغذائية.

وقال هذا المسؤول: «إسرائيل تبقي غزة في حالة دايت، لذلك فهي دائما في حالة جوع».

وتشمل سياسة «الدايت» الإسرائيلية في غزة وضع قيود شديدة على كافة قطاعات الحياة من استيراد وتصدير وسفر وتنقل، وما يرتبط في ذلك من عمل وتعليم في الخارج وغيره.

وعملت إسرائيل على تكييف سياسة الحصار هذه في السنوات الماضية، في محاولة يبدو انها تهدف إلى منع حدوث حرب شاملة. ومن ذلك السماح بدخول المساعدات الخارجية مثل المنحة القطرية التي أدت إلى رفع ساعات الكهرباء في قطاع غزة من أربع إلى حوالي 15 ساعة يوميا، وتقديم دعم مالي شهري للعائلات الفقيرة قيمته مئة دولار لكل عائلة.

وقال مسؤولون في «حماس» إن دولة قطر تبدي استعدادا لزيادة الدعم الإنساني لقطاع غزة غير أن إسرائيل ترفض ذلك وتبقي على هذا الدعم في حدوده الدنيا التي تمنع المجاعة والانفجار.

لكن سياسة إسرائيل الرامية على إبقاء قطاع غزة على الحافة، تقابل من قبل حركتي «حماس» والجهاد الإسلامي بسياسة تهدف إلى كسر هذه الحالة ورفع الحصار، أو على الأقل تخفيفه بشكل مقبول، فتبادران إلى إطلاق الصواريخ، أو يغض أمن حركة «حماس» الطرف عن قيام مقاتلي حركة الجهاد أو غيرها من القوى بإطلاق الصواريخ، من أجل دفع الأطراف المهتمة إلى التحرك العاجل لمنع التدهور ووقوع الحرب.

ووصل التدهور الناجم عن ذلك في كثير من الحالات إلى حافة الحرب الشاملة.

ويعترف قادة «حماس» في اللقاءات الخاصة، بأن احتمالات التدهور والانزلاق إلى حرب جديدة (لا تبقي ولا تذر) أمر وارد. ومن ذلك احتمال وقوع أحد الصواريخ المطلقة من القطاع على تجمع سكاني إسرائيلي، ووقوع خسائر بشرية كبيرة، تصبح معها الحرب الشاملة أمرا لا مفر منه أمام المنافسة السياسية وضغط الرأي العام. لكنهم يقولون إن البديل عن ذلك هو قبول استمرار العيش على الحافة، أو حالة الـ«ستاتسكو» وهي حالة استنزاف شديدة على مواطن في قطاع غزة.

وإلى أن يتحقق رفع الحصار عن غزة، بأي شكل من الأشكال، فان أهالي القطاع يواصلون العيش على الحافة، حافة الحرب، حافة الجوع، حافة العطش، حافة العتمة، حافة السفر، حافة العمل، حافة الأمل وحافة الحياة، في انتظار وقوع الحرب التي ستكون الأكثر تدميرا والأكثر فتكا.

Volume 31 - Issue 9651 Sunday 1 September 2019

من حروب الظل إلى المواجهة المفتوحة: نتنياهو يوسع جبهة المواجهة مع إيران والمنطقة تنتظر رد جماعاتها الوكيلة

إبراهيم درويش

كان عنوان الأخبار في الأيام الماضية عن حرب الظل التي تخوضها إسرائيل مع إيران وكيف خرجت للعلن، وكان الحرب التي تخوضها تل أبيب ليست سرا معروفا.

والجديد فيها هي أنها جاءت متناسقة وضربت ثلاث دول عربية في وقت واحد، وكلها جاءت لمنع إيران من إطلاق طائرات مسيرة قاتلة ونقل أسلحة إلى حزب الله وتصنيع صواريخ. وأعلنت إسرائيل عن واحد من عدة غارات، وكما هو معروف الهدف في سوريا، أما الهجمات على لبنان والعراق فلم تعلق حكومة بنيامين نتنياهو عليها وتركتها معلقة أو كما وصفتها الصحافة بـ«الهجمات الغامضة».

نعرف أن إسرائيل تغير على سوريا منذ عام 2012 وقامت كما قال رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي المتقاعد غادي إيزنكوت بداية هذا العام إن إسرائيل شنت آلاف الغارات ضد ميليشيات إيرانية وضد أهداف لحزب الله في سوريا ولم تعلن مسؤوليتها عنها في العادة. في ذلك الوقت قال البعض إن تصريحات إيزنكوت هي محاولة لإظهار سجله العسكري وانتصاره على رجل إيران في الشرق الأوسط «رجل الظل» وإن لم يعد بالظل الجنرال قاسم سليماني، قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني. والفرق بين حديث مسؤول عسكري وآخر سياسي مرتبط بحسابات الأخير، فعندما يعلن نتنياهو مهددا إيران أنها ليست محصنة وأن إسرائيل ستضربها في أي مكان وأي وقت، نفهم أن هناك رسائل سياسية من وراء ذلك. وعندما يسخر من حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله ويدعوه للتأني في تهديداته وأن إسرائيل قادرة على رد الصاع بالصاعين له ولحزبه، نعرف أنه لا يتوقع ردا من حزب الله قويا وأنه سيتلقى الضربة تماما كما ابتلع اغتيال قائده العسكري عماد مغنية في عام 2008 بدمشق وعشرات الكوادر في سوريا، أما بالنسبة لقادة الميليشيات العراقية الذين هددوا إسرائيل، فإسرائيل تعرف أنهم بعيدون عنها حتى يهددونها بعمليات انتقامية. تماما كما يهتف عناصر الحوثيين وهم يطلقون صواريخهم على العمق السعودي «الله أكبر الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل والنصر للإسلام». ولم ترد سوريا بشار الأسد على أي من الغارات التي وصلت في الفترة ما بين 2017–2018 إلى ما يزيد عن 200 غارة، كل هذا رغم أن نظام دمشق ردد اللازمة المعروفة أنه يحتفظ بحق الرد في المكان والزمان المناسبين.

ثقة أم تهور؟

فنتنياهو واثق من نفسه عندما يخرج للعلن رغم انتقاد معارضيه وعدم ارتياح البعض في المؤسسة العسكرية أن تصريحاته تحرم إسرائيل من قوة الردع والإنكار حالة سقط ضحايا مدنيون. ولعل السبب وراء كل هذا هي معضلة نتنياهو المقبلة في 17 أيلول (سبتمبر) فهو يريد انتصارا انتخابيا بعدما فشل في تشكيل حكومة ائتلاف عقب انتخابات نيسان (إبريل) مما اضطره لحل الكنيست والإعلان عن انتخابات جديدة. ولأن رئيس الولايات المتحدة دونالد ترامب ليست له هدايا جديدة لمساعدته، فقد أعطاه القدس ومرتفعات الجولان وغض الطرف عن الاستيطان في الضفة الغربية وضم أجزاء منها. وربما ظن نتنياهو أن تقديم نفسه كحام لإسرائيل من التهديد الإيراني لعبة قد تنطلي على الناخب الإسرائيلي وتقنع حلفاءه في معسكر اليمين للتعاون معه، فيما يواصل هوسه في الموضوع الإيراني، خاصة أن ترامب لم ينس أن يخرج من الاتفاقية النووية التي وقعتها إدارة باراك أوباما عام 2015. وكانت هدية أخرى من هدايا ترامب لصديقه نتنياهو. كل هذا معروف والبعد الانتخابي مهم خاصة أن رئيس الوزراء الإسرائيلي يواجه حملة صعبة فهو في موقع متساو مع منافسه المعارض بني غانتز في استطلاعات الرأي وتلاحقه قضايا فساد قد تقضي على مستقبله السياسي وهو الذي احتفل في الأشهر الاخيرة بأنه أطول زعيم إسرائيلي يحكم منذ بن غوريون.

قواعد الاشتباك

لو عدنا إلى موجه الهجمات التي نفذت على دول عربية ثلاث وعلى مدى 18 ساعة، فقد قام الطيران الإسرائيلي بقتل عنصرين في ميليشيا تدعمها إيران في سوريا وتفجير طائرة بدون طيار قرب مكتب لحزب الله بالضاحية الجنوبية ببيروت وقتل قائد في ميليشيا عراقية قرب القائم غرب العراق، فنرى أن اللجوء إلى التصعيد من إسرائيل محمل برسائل. وكما نقلت صحيفة «نيويورك تايمز» (2019/8/28) عن مسؤولة إسرائيلية سابقة قالت إن التركيز الأخير في العمليات ضد إيران جاء نظرا لمواصلة الأخيرة نشاطاتها في سوريا والعراق بدرجة لم يعد هناك مجال أمام إسرائيل إلا التحرك. وتقول الصحيفة إن كل الأطراف لا تبحث عن حرب إلا أن زيادة وتيرة العنف والغارات من خلال الطائرات المسيرة والتكنولوجيا السرية زادت من إمكانية تحول حادث هامشي إلى نزاع كبير. فيما تسهم عمليات السخرية والتلويح بالحرب والسياسة الداخلية في خلق أجواء من الحرب. وما يهم في حوادث الأيام الأخيرة هو أن التصعيد الإسرائيلي ضد إيران لم يعد منحصرا في سوريا بل بات متعلقا بشبكة إيران في المنطقة. وهي التي بنتها بهدوء خلال العقود الماضية ومنحها الربيع العربي الذي أضعف عددا من الدول العربية فرصة للاستفادة من الوضع وإقامة علاقات رعاية مع الجماعات المحلية. ورعت إيران ولادة حزب الله ودربته ومولته حيث بات يملك أكثر من 100.000 صاروخ موجهة على إسرائيل. وفي الفترة الأخيرة قوت إيران من شبكتها من خلال تقديم الخبرات العسكرية إلى الجماعة الحوثية في اليمن والميليشيات العراقية والقوات الموالية للنظام في دمشق. وقوت إيران التعاون بين الجماعات الوكيلة نفسها. فعناصر حزب الله دربوا مقاتلين في العراق واليمن وأرسل المساعدات لجماعات الجهاد الفلسطينية. ونقلت إيران آلاف المقاتلين من العراق ومناطق أخرى للقتال مع قوات الحكومة السورية. وترى إيران في شبكة الوكلاء والحلفاء في الشرق الأوسط ردعا لإسرائيل وأمريكا ومنعهما من ضرب إيران. والملاحظ إن إسرائيل في ضرب لبنان واستهداف عناصر حزب الله ومؤسساته هناك كسرت قواعد الاشتباك القائمة منذ نهاية حرب تموز 2006 وبهذا سيضطر حسن نصر الله الرد بطريقة لا تؤثر على مكاسبه السياسية في البلد ولا تعرض بنيته التحتية للخطر، وإن لم يرد فستكون تهديداته بميزان تهديدات بشار الأسد او الميليشيات الشيعية، بلا معنى وستضعف صورة الحزب «المقاوم» لإسرائيل.

إصرار

في لعبة التهديد والوعيد بدت السخرية واضحة من الجنرال قاسم سليماني قائد عمليات إيران في المنطقة ومنفذ استراتيجيتها. وكما قال بن كاسبيت في موقع «المونيتور» (2019/8/27) نقلا عن مصدر إسرائيلي بارز «الأمر كله عن سليماني» و «سليماني هو الشخص الرئيسي الذي يقود الحرب ضد إسرائيل بتصميم عظيم والذي لم يفهم بالإشارة، ولا يفهم أن إسرائيل ستلاحق فيلق القدس وستعثر عليه في أي وقت ومكان ومراقبة قدراته على التطوير والتهديد المحتمل» فهو الشخص الذي يقود الجهود لمحاصرة إسرائيل من الخليج إلى البحر المتوسط والأحمر ووزع المنطقة بينها بالعملاء التابعين لإيران. ويعبر قادة إسرائيل العسكريين عن إعجابهم حتى بعد تلقيه ضربات مهينة من الإسرائيليين. ويرى عاموس يالدين، الجنرال الإسرائيلي المتقاعد وأري هيستين، الباحث في معهد الأمن القومي بإسرائيل في تحليل بمجلة «فورين بوليسي» (2019/8/27) أن الجهة الجديدة في النزاع الإسرائيلي مع إيران في العراق، ربما كانت جزءا من «عقيدة بيغن» المنسوبة لرئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن. وتقوم على منع أي دولة معادية لإسرائيل من الحصول على أسلحة نووية. وجاءت هذه بعد ضرب المفاعل النووي في العراق عام 1981. وها هي إسرائيل تكرر الغارات على العراق بعد 38 عاما حيث استهدفت شحنات صواريخ الغارات الأخيرة بشبه ردها على الغارة التي نفذت عام 1981 أي تسريب معلومات عن الجهة المسؤولة عنها وشحب ضمني لها، مع أن ترامب لم يشجبها علانية، وربما لم يكن مندهشا منها وتم تنسيقها مع القادة الكبار في إدارته. إلا أن العناصر الأخرى في الحكومة الأمريكية لم تكن راضية عن النشاطات الإسرائيلية المزعومة في العراق. وقد يدفع الموقف الأمريكي إسرائيل إعادة النظر في المدى الذي ستذهب فيه لمواجهة السلاح الإيراني الدقيق. وفيما إن كانت هذه الاسلحة داخلة في «عقيدة بيغن» التي غطت في السابق السلاح النووي. ورغم هزيمة سليماني في سوريا نظرا لقرب المسرح العسكري من إسرائيل إلا أن طهران أظهرت صبرا وإصرارا. وستحاول التعلم من الدروس المتعلقة بقدرات إسرائيل ومحدوديتها ومشاركتها في المستقبل. وستحاول البحث عن مناطق أخرى غير ملائمة لإسرائيل لنقل أسلحتها الدقيقة. ونقلت معظم برامجها الصاروخية إلى لبنان حيث تبدو إسرائيل أقل ترددا في توجيه ضربات لتجنب مواجهة مع حزب الله. وتحصل إيران على منافع للعمل في العراق أكثر من سوريا، لأنه أولا بعيد عن إسرائيل ولأنه لم يحدد كمنطقة رئيسية لنشاطات الجيش الإسرائيلي منذ سقوط صدام حسين عام 2003. ولهذا تفترض إيران أن قدرات إسرائيل الاستخباراتية ليست قوية. وأكثر من هذا ففي العراق لا تستطيع إسرائيل رسم قواعد اللعبة مثلما فعلت في سوريا. فالطبيعة هناك تعمل فيها سلسلة من الحركات المعادية بالإضافة للقوات الأمريكية والإيرانية. فيما يمنح وجود القوات الأمريكية في العراق بديلا للجماعات الشيعية التي تهدف للانتقام من العمليات الأخيرة، مما سيؤثر بالضرورة على العلاقات الأمريكية–الإسرائيلية.

مصالح أمريكا

وهو ما أشارت إليه صحيفة «واشنطن بوست» (2019/8/28) حيث عبرت عن قلقها من توسيع العملية الإسرائيلية في سوريا إلى العراق بشكل يعرض المصالح الأمريكية هناك للخطر. فهناك كما تقول خمسة آلاف جندي في العراق وقد يصبحون أهدافا لعمليات انتقامية من الجماعات الشيعية. وفي الوقت نفسه تعرض الحكومة العراقية الموالية لأمريكا للخطر، خاصة أن الجماعات الموالية لإيران تسيطر على كتل كبيرة في البرلمان. وهي التي ردت بغضب يوم الأحد واتهمت إسرائيل والولايات المتحدة بتنفيذ الهجمات وطالبت بإجلاء القوات الأمريكية من العراق. إلا أن نتنياهو يعول على رد صديقه ترامب، وهو مهتم أكثر بالانتخابات. وحسب ضابط إسرائيلي متقاعد نقلت عنه «فاينانشال تايمز» (2019/8/28) فقد أظهرت الهجمات أن نتنياهو يتعرض لضغوط كبيرة كي يقدم نجاحا ضد إيران وتأثيرها الإقليمي المتزايد «فعندما وصل نتنياهو إلى السلطة عام 2009 كانت طهران معزولة. أما الآن فهي لا تبعد سوى 100 متر عن الحدود مع إسرائيل» و «لم ينجح أي شيء فعلته إسرائيل ضدها». وفي المواجهة الحالية تجد إسرائيل نفسها أمام عدة جبهات وهي ترتكب على ما يبدو نفس خطأ إيران التي حاولت بناء وجود لها في كل أنحاء المنطقة. والأمر متعلق في النهاية بخطأ يرتكبه طرف من الأطراف المتصارعة. ولهذا السبب تتعامل على ما يبدو مع تهديدات نصر الله بجدية كما تقول مجلة «إيكونوميست» (2019/8/29).

حوار

أمين حزب التجمُّع الوحدوي اليمنيّ عبدالله عوبَل:

إذا لم نتدارك خطورة التفتيت فإننا مقبلون على أوضاع صعبة للغاية

حاوره: أحمد الأغبري

حذّر أمين عام حزب التجمُّع الوحدوي اليمنيّ عبدالله عوبل من مآلات الحرب المستعرة في بلاده منذ أكثر من أربع سنوات، لاسيما بعد أن أتضحت أهدافها باعتبارها حرباً بالوكالة وتخدم أجندة خاصة وتستهدف تفتيت البلاد، وقال «إذا لم نتدارك خطورة التفتيت فإننا مقبلون على أوضاع صعبة للغاية»، متهماً ما يُعرف بتحالف استعادة الشرعية الذي تقوده السعودية بالوقوف وراء إنشاء الميليشيات التي تشن حرباً على قوات الحكومة في الجنوب، وقال إن «الجنوب يتشظى ببركات التحالف الذي باشر بتنفيذ أجندته قبل توقف الحرب»، مؤكداً أن مخرجات مؤتمر الحوار والمصالحة الوطنية هي الضمان لتجاوز الحرب. وهنا نص الحوار:

○ هل كانت اللحظة اليمنيّة الراهنة متوقعة؟

● كان واضحاً أن ثمة مسارين: الأول هو السير في طريق تنفيذ مخرجات الحوار الوطني الشامل التي توافق عليها اليمنيون لأول مرة في التاريخ الحديث، والمسار الآخر هو طريق الحرب والعودة إلى سلطة قوى المجتمع التقليدية التي ترفض مخرجات مؤتمر الحوار، التي هي السبيل لتأسيس دولة مدنية حديثة. القوى المدنية الحديثة من تجار وطبقة وسطى ومحامين وقضاة وأساتذة جامعات وصحافيين وأطباء وشباب ونساء...الخ هم مَن انتصروا لمشروع الدولة المدنية، لكن القوة والنفوذ، للأسف، كانت لدى الطرف الآخر الحوثيون والرئيس السابق صالح مدعومون بقوى المجتمع التقليدي الذي يخشى التغيير. لذلك إجابة على سؤالك، فما يحدث الآن من حرب كان متوقعاً، وما لم يكن متوقعاً هو نطاقها الإقليمي وطول أمدها والوصول إلى حافة انهيار الدولة ومؤسساتها اقتصادياً في هذه اللحظة.

○ماذا تعني بأن نطاقها الإقليمي وطول أمدها لم يكن متوقعاً؟

● لم نتوقع تدخلاً إقليمياً واتجاه بوصلة الحرب للدفاع عن مصالح غير يمنية، فالحرب شهدت تدخلاً إقليمياً وصارت حرباً بالوكالة، وهذه الأطراف لديها أجندتها الخاصة التي اتضحت لاحقاً. هؤلاء لا يقاتلون من أجل اليمن. ومن هنا طال أمد الحرب وانعكست على وضع الدولة واقتصادها ومعاناة الناس.

انقلابات وحروب

○ وما علاقة مراحل الحكم السابقة بهذه اللحظة؟

● لم تكن اللحظة اليمنيّة الراهنة مقطوعة الصلة بما سبقها من مراحل الحكم في اليمن منذ عام 1962. إن أهداف الثورة اليمنيّة ومهامها منذ ستينيات القرن الماضي، قد مرت بمنعطفات كثيرة ابتداءً بالحرب الجمهورية–الملكية 1962–1970 وما تلاها من انقلابات وحروب بين الشطرين، كلها كانت في نهاية المطاف تؤدي لتقوية القوى القبلية والدينية التقليدية ومنظومة قيمها السلبية، على حساب قوى التغيير المدني وبناء مؤسسات الدولة المدنية الحديثة وتحديث ثقافة المجتمع. كانت الدولة هي الطرف الأضعف بينما كانت القوة في مكان آخر، باستثناء فترة حكم الرئيس الشهيد ابراهيم الحمدي (1974–1977) التي أجهضت من قِبل ذات القوى التقليدية وبدعم إقليمي لا تخطاه العين.

إن ضعف الدولة اليمنيّة من خلال تقوية قوى النفوذ التقليدية على حساب القوى المدنية الحديثة قد ساهم بالوصول إلى هذه النتيجة التي دمرت ما تبقى من صورة الدولة التي جرى تكوينها ببطء على مدى نصف قرن رغم تسلل النظم التقليدية خلال تلك الفترة إلى كل مفاصل المؤسسة الحكومية، ومع ذلك كانت لدينا دولة، وإن كانت بمؤسسات هشة وتعاني من ضعف في تطبيق القانون وفساد، إلى أن جاءت هذه الحرب لتُعيد اليمن إلى عصر ما قبل الدولة. إن ما يجري الآن في الوطن من حرب ودمار ما هي إلا نتيجة تراكمات التخلف والفساد في النظم السابقة التي حكمت اليمن شمالاً وجنوباً.

غياب التنمية

○ هل أفهم أن الدولة ارتكبت خطأ جسيماً في علاقتها بمسؤولياتها تجاه الوطن والمستقبل في الشمال وفي الجنوب وفي عهد الوحدة؟

● الدولة اليمنيّة لم ترتكب خطأً، بل القيادات والنُخب، جميعاً، هي مَن ارتكبت الخطيئة في عدم الاتفاق الصادق والتوافق المسؤول على دولة مدنية حديثة ومشروع تنموي شامل ونظام مؤسسي متطور ينبثق من مشروع وطني جمهوري حقيقي، حيث ظلت الفرقة والفردية والمرحلية والمصالح الضيقة تعزز من الضبابية في الرؤية للمستقبل وتعيق ميلاد المشروع الوطني للدولة ككيان مؤسسي والتهيئة له من خلال التنازل والتسامح والقبول بالوطن بيتاً للجميع وتجاوز العصبية والتنافس من خلال مراكز النفوذ التقليدية. في الجنوب كان النظام اليساري قد أضاع البوصلة بعد انهيار المنظومة الاشتراكية، فبقي من غير مشروع يتجاوز الانهيار الاقتصادي، وكان التفكير الأفضل هو الاتجاه لتوحيد اليمن والاستفادة من إمكانيات الدولتين في بناء مشروع وطني يؤسس لدولة مدنية حديثة، وفي الشمال توقف مشروع الرئيس ابراهيم الحمدي بعد اغتياله ليعود واقع السلطة إلى ترسيخ مواقع النفوذ والقوة التقليدية على حساب مؤسسات الدولة. كما كان للرئيس السابق صالح حساباته في تقوية سلطته على حساب المشروع الوطني لذلك شهدنا حرب 1994 وما تبعها من نهب وتسريح لضباط الجيش والأمن من الجنوبيين، وتلك كانت الضربة القاضية في ظهر المشروع الوطني والوحدة الوطنية المنشودة كمشروع وفرصة كنا نتطلع الا تضيع.

كما أن الحرب المستعرة منذ 2015 قد فاقمت من مشكلات الجنوب، وأصبحنا أمام مشروع تفكيكي يعمّق التخلف ويزيد من بؤر الصراع. ما زال الجنوب متضرراً كثيراً من الحرب حتى بعد خروج الحوثيين. لقد تكاثرت فيه الميليشيات خارج سلطة الدولة وانتشرت الاغتيالات وتراجعت الخدمات بشكل أسوأ وظهرت مشاريع الانفصال وغيرها من المشاريع التي لا علاقة لها بوحدة اليمن وسيادة أراضيه كما أن ما هو موجود في مناطق الجنوب من تشكيلات مسلحة خارج سلطة الدولة يدل على أن الجنوب يتعرض لمرحلة من التفتيت قد تؤدي إلى واقع أسوأ مما كان عليه قبل الاستقلال.

الأحزاب

○ من مفاجآت هذه الحرب كانت الأحزاب. كيف تقرأ انقسام معظم الأحزاب اليمنية المؤثرة بين أطراف الحرب وصمتها حتى الآن عن اتخاذ موقف وطني جريء لإيقاف الحرب وإنقاذ البلاد؟

● هذا الأمر ليس مفاجئاً، بعض الأحزاب السياسية اليمنيّة هي جزء من النظام السياسي، وهي الأخرى تعتمد في تمويلها على خزانة الدولة، وهي أيضا موزعة الولاء على مستوى الأقاليم، وهي في سلوكها هذا لا يمكن أن تكون مستقلة وقادرة على التأثير في مسار الأحداث، والواقع أن التأثير في هذه الحرب أمر يتعلق بالإقليم والقوى الدولية الكبرى.

انقسام معظم الأحزاب بين أطراف الصراع هو واقع ناتج عن انتشار الثقافة التقليدية بمنطق مصالحها وغياب الثقافة الوطنية بمنظومتها المدنية الحديثة، بدليل أن مفهوم الوطن ما زال مجزءًا في الوعي العام. التقاليد الحزبية لا تكون فاعلة إلا في مجتمع ديمقراطي فيه حد أدنى من التنمية.

○ وأين ذهب مشروع الدولة الوطنية المدنية الحديثة؟

● مشروع الدولة المدنية الحديثة ما زال مطروحاً على جدول أعمال السياسة في هذا البلد، لكن لكي يتحقق هذا المشروع يجب أن تتوفر شروط، أهمها أن تكون القوى الحاملة لهذا المشروع هي الحديثة، ولهذا فإن الأحزاب التقليدية ليست المؤهلة لقيادة هذا المشروع. يجب أن تتوقف هذه الحرب ويُعاد طرح مخرجات الحوار الوطني على جدول الأعمال، وتحقيق مصالحة وطنية والاتفاق على دولة اتحادية من أقاليم يتحقق حول تقسيمها إجماع وطني، وتجاوز آثار الحرب وما سببته من أحقاد وكراهية والعمل بروح وطنية والتعافي من جراح هذه الحرب. أما الأحزاب التي انقسمت على قوى الحرب فليست مؤهلة لقيادة مشروع الدولة المدنية. لقد صارت هذه الأحزاب ميليشياوية وأصبحت جزءاً من قوى الحرب وفقدت صفتها المدنية.

○ هناك مَن يقول إن تماهي هذه الأحزاب في حسابات الحرب هو دليل على تآخر نضوج بيئتها. كيف تقرأ هذا المشكل؟

● وظيفة الأحزاب هي التنافس على مشاريع وطنية تخدم الناس، لذلك تضع الوصول إلى السلطة هدفا حيوياً وليس في

إلى الصراعات المسلحة. الدولة الاتحادية بالاتفاق على عدد الأقاليم هي الحل الأمثل لمشكلاتنا المعقدة. تقدم الدول الاتحادية نموذجاً في الحفاظ على وحدة الدولة.

○ وأين تقفون في حزبكم من الحرب؟

● نحن وقفنا ضد الحرب منذ اليوم الأول وأصدرنا بيانات تندد بالحرب والانقلاب على مخرجات الحوار من قبل جماعة «أنصار الله» (الحوثيين) وما زال موقفنا أن هذه الحرب عبثية ويجب العمل على إيقافها، وما زلنا ضد أي محاولات للانتقاص من السيادة الوطنية والتدخلات التي خرجت عن مسار استعادة الشرعية إلى إرباك الإدارات المحلية ووجود أجندة أخرى تزيد من الانقسام الداخلي وتؤدي إلى مزيد من التوترات. نحن مع حل سياسي لا يمس بوحدة البلاد ويحافظ على سيادتها، نحن مع المرجعيات الثلاث؛ وهي مخرجات الحوار والمبادرة الخليجية وقرارات مجلس الأمن، ولكننا نشدد على المصالحة الوطنية وإنهاء آثار الحرب والتوجه لتنفيذ مخرجات الحوار الوطني... ما لم فالبديل هو المشاريع الصغيرة.

الحرب الحالية كما نراها هي حرب في سياق مشروع يُعاد فيه تقسيم مناطق النفوذ في المنطقة والسيطرة على الثروات وطرق الملاحة الدولية واليمن دولة غنية بالثروات وموقعها الاستراتيجي مهم جداً. هذه الحرب ستتوقف فقط عندما يدرك اليمنيون المخاطر التي تحيق بهم، وأن الحرب الراهنة تستهدفهم جميعاً. الحرب تمضي إلى تفتيت البلاد ولن يكون الشمال كما كان ولا الجنوب. لدينا حكومة في صنعاء وحكومة في عدن وحكومة في مأرب وحكومة في المهرة وحكومة في حضرموت، إذا لم نتدارك خطورة التفتيت فإننا مقبلون على أوضاع صعبة للغاية.

○ وماذا عما يجرى في عدن والجنوب في تقديرك إلى أين تسير الأوضاع هناك؟

● الجنوب ليس بأحسن حال من الشمال. الجنوب يتفكك أمام أعيننا ولن تقوم له قائمة إذا أصرّ البعض على الانفصال في وضع كهذا يهدد كياننا الاجتماعي.

المجلس الانتقالي

○ وهل ما شهدته عدن منذ السابع من آب/أغسطس من أحداث سيطر خلالها ما يسمى ما يُعرف بالمجلس الانتقالي الجنوبي على عدن ومن ثم أبين، هي خطوة فيما تشير إليه بتفكيك الجنوب، وقبل ذلك كيف تقرأ ما يجري من قِبل ما يُعرف بقوات الأحزمة والنخب بهدف اخراج محافظات الجنوب من سيطرة قوات الحكومة الشرعية؟

● ما شهدته عدن منذ 7آب/أغسطس من سيطرة لقوات موالية للإمارات على عدن ثم أبين، هو استباق إماراتي لتأمين مصالحها في الاستيلاء على مناطق الثروة النفطية وتقاسم الكعكة الجنوبية لا علاقة للمجلس الانتقالي بقوات الأحزمة والنُخب، فهذه ميليشيات انشأتها الإمارات وتتلقى أوامرها من ضباط إماراتيين، وتصرف هي رواتبهم مباشرة، وليس عبر البنك المركزي اليمني أو عبر وزارة الدفاع أو وزارة الداخلية، من هنا فالمجلس الانتقالي هو فقط عبارة عن واجهة وغطاء حينما تريد الإمارات استخدام القوة ضد قوات الشرعية.

إن استغلال قضية الجنوب ما هو إلا تغطية لتحقيق مصالح التحالف باستخدام شعارات عاطفية تدغدغ مشاعر الناس البسطاء وتوظف هذه المشاعر ضد الشمال وضد الشرعية. كما أن فساد الشرعية عامل إضافي لتزايد مناصري «الانتقالي».

نعم؛ الجنوب يتفكك في ظل غياب مشروع وطني يجمع كل القوى السياسية اليمنية... لقد رأينا كيف نأت حضرموت بنفسها عن مغامرات مراهقي «الانتقالي»، وكذلك فعلت المهرة. إذاً فالجنوب يتشظى ببركات التحالف الذي باشر في تنفيذ أجندته قبل أن تتوقف الحرب. منذ أربع سنوات قلنا نحن في التجمع الوحدوي إن زراعة الميليشيات خارج القانون وفي مواجهة الأجهزة الرسمية أمر ينبئ بحروب لا تنتهي، وها هي النتيجة.

○ لكن صدرت قرارات جمهورية بتعيين قيادات ما تُعرف بقوات الأحزمة والنُخب، كما كانت هذه القوات قبل الأحداث تمارس بعض المهام الرسمية في المدن الجنوبية؟

● صحيح تم تعيين قياداتها بقرارات رئاسية، لكن تحولوا لاحقاً إلى رأس حربة إماراتية ضد الشرعية. أما عن كونها كانت تتولى مهام رسمية فهذا غير صحيح. لقد استولت على النقاط العسكرية بالقوة وبمساعدة طيران التحالف.

الحكومة الشرعية فاسدة في كل مفاصلها، وتحتاج إلى إجراءات صارمة لوقف العبث بالمال العام والوظائف. لكن جنون «الانتقالي» وهوسه بالاستيلاء على السلطة يدفعه لارتكاب حماقات والتهور باستخدام القوة لتحقيق أجندة تتعلق بالسيطرة الإماراتية على المناطق البترولية لتعويض خسائرها في الحرب مع الحوثيين. إن المجلس الانتقالي يذهب بالناس إلى طريق معبد بالوهم. فليست دول التحالف هي المعنية بانفصال الجنوب، وهي التي لم تستطع أن تقنع مجلس الأمن في حرب 1994 بانفصال الجنوب، وهي اليوم غير قادرة على ذلك.

الإمارات تستخدم شعارات الانفصال لدغدغة مشاعر الناس في الجنوب والذين بسبب الفقر وممارسات النظام السابق أصبحوا يرون في الوحدة سبباً لتعاستهم. لكن الأجندة التي دفعت المجلس الانتقالي إلى الحرب لا علاقة لها بالقضية الجنوبية، بل يتم استخدام هذه القضية لأجندة تخص التحالف وحده. نحن ضد هذه الحرب العبثية التي يتقاتل فيها الجنوبيون، وكلهم ضحايا مكر ودسائس التحالف الذي يقاتل بأبنائنا ويخوض حربا بالوكالة ربما بين دولتي التحالف الإمارات والسعودية.

ما يحدث في جنوب اليمن هو استباق إماراتي لتأمين مصالحها

عدن

الجنوبيون ضحايا مكر ودسائس التحالف الذي يقاتل بأبنائنا

حريات

هل هو ظاهرة استعمارية أم لإنقاذ طفل مشرد؟

زينة علّوش: التبني متواصل في لبنان رغم القرارات الأممية بمنعه

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

ورد في وثائق المؤتمر الأخير الذي عقدته جمعية «بدائل» حول التبني أن «ماريلين نجت من مجزرة مخيم تل الزعتر عام 1976 وجدها أحدهم على شجرة تناضل من أجل الحياة. حملها معه وسلمها لدير في الأشرفية. بعدها تبنتها عائلة فرنسية وهي في عمر أربع سنوات بعد تزوير وثائقها. عادت إلى لبنان سنة 2011 بحثاً عن جذورها، ما من أحد قدم لها معلومات، فالسجلات غير موجودة».

وورد في كتيب المؤتمر أيضاً تحت عنوان عمليات التبني المسجلة في بيروت: أشرفية 30 في المئة، رميل 50 في المئة، رأس بيروت 19 في المئة. وفي المتن: دكوانة 60 في المئة، عين سعادة 8 في المئة، منصورية 31 في المئة. وأن 95 في المئة من المتبنين في هولندا تم تسجيلهم بأسماء التبني وبأرقام تسجيل مدنية عائلية، و5 في المئة حملوا اسماءهم التي جرى تزييفها في السجلات المدنية للملجأ الذي كانوا فيه.

ومعروف أن التبني في لبنان ليس وليد الحرب أو نتيجة لها فهو متواصل ونشط حتى اللحظة. فبين 1995 و2018 سُجلت 144 حالة تبني إلى فرنسا. وبين 1999 و2017 سُجلت 133 حالة إلى الولايات المتحدة. وبين 1999 و2017 سُجلت 10 حالات إلى السويد، حالة واحدة إلى كل من استراليا وإيطاليا، تسع إلى كندا و24 إلى هولندا.

بالعودة إلى جمعية «بدائل» فهي تأسست عام 2014 بهدف إصلاح قطاع الرعاية البديلة في لبنان. وفي طليعة الأهداف الحق بالمعرفة للأشخاص الذين جرى تبنيهم بطريقة غير شرعية خلال فترة الحرب في لبنان، فكثير منهم يأتون بحثاً عن جذورهم. وتعمل الجمعية على مواكبتهم بحثاً عن شغف الإلتئام البيولوجي المعقد بسبب التزوير.

التبني متواصل ومزدهر في لبنان خاصة مع اللجوء السوري. حوله هذا الحوار مع رئيسة جمعية «بدائل» زينة علّوش:

○»لا أتمنى تجربة التبني حتى على لألد أعدائي»؟ كيف تقرأين في هذه العبارة التي وردت في مؤتمركم الأخير؟

● هي عبارة وردت على مدونة دانييل درنن الأعور للدلالة على مدى قسوة تجربة التبني على الأشخاص المتبنين، وبالرغم من العلاقة الجيدة التي قد ينسجونها مع العائلة المتبنية. دانييل جرى تبنيه من لبنان في بداية الستينيات وفي مرحلة سابقة بكثير للحرب الأهلية. وهو يعتبر من أشد المناضلين على الصعيد العالمي منادياً بحق المتبنين بالمعرفة. ومنادياً أيضا بمكافحة ظاهرة التبني الذي يعتبره ومعه الكثير من المتبنين، ظاهرة استعمارية أكثر منها ممارسة تخدم مصلحة الطفل العليا كما نصت عليها المواثيق الحقوقية. إنها عبارة تدحض فكرة أن التبني عبر البلاد هو عمل خيري، ينقذ طفلاً مشرداً أو يتيماً بمنحه عائلة جديدة وبيتا جديدا وجنسية جديدة. دانييل، وهو حاليا أستاذ محاضر في إحدى جامعات فانكوفر جرى تبنيه من لبنان إلى الولايات المتحدة وهو في سنته الأولى. أمضى سنوات من البحث في لبنان الذي عاد إليه لكي يستعيد هوية سُلبت منه. سنوات البحث أفضت أخيراً إلى اللقاء مع أمه على عتبة قبرها.

○لماذا مؤتمر جديد حول التبني؟

● بعد المؤتمر الأول الذي نظمته «بدائل» عام 2014 بمشاركة حوالي 15 شخصا جرى تبنيهم من لبنان إلى بلدان العالم كفرنسا، سويسرا، أمريكا وهولندا، عملت الجمعية على بناء قاعدة بيانات توثق حالات التبني من لبنان. ومنذ تاريخه وثقنا 3471 حالة تبني من لبنان، تُظهر جميعها أن المتبنين لم يكونوا أيتاماً بالمطلق، وأن هناك أماً ما زالت ربما تنتظر في العتمة لقاء طفلها بعد طول سنين. شكّل المؤتمر الأخير مناسبة لعرض نتائج تحليل التوثيق، ودعوة لوضع هذه المشكلة على الأجندة العالمية لضبط هذه الممارسة خاصة في البلدان التي لا تملك قوانين مدنية ناظمة للتبني كما لبنان. وهنا لا بد من الإشارة إلى معاهدة هاغ عام 1993 والتي تُحظر عملية التبني عبر البلاد لأنها لا تصب في مصلحة الطفل. فهناك العديد من الدراسات التي تؤكد على أن أثر وضرر التبني عبر البلاد على الطفل، ليس أقل من ضرر الإيداع في المؤسسات الرعائية. لقد تطور علم الرعاية البديلة في العالم ويجب علينا أن نواكب هذا التطور، خاصة وأن التبني عبر البلاد كان أولاً بهدف تأمين طفل لعائلة تشتهي طفلا، وليس النظر في حاجة الطفل لعائلة بديلة، وهنا يكمن الإشكال الأكبر. الاتجاه العالمي الآن يصب كل الإهتمام على مكافحة العنف المؤسساتي الذي يجبر الأم (خاصة المنفردة) على التخلي عن طفلها لصالح التبني الدولي. وأيضاً مكافحة الفقر الذي يكون في أغلب الأحيان السبب في التخلي عن الطفل. فإن تمّ استثمار كل الأموال التي تنفق على تسهيل التبني عبر البلاد من أجل مكافحة الفقر ودعم الأم المنفردة، يتبقى عدد قليل من الأطفال الذين هم فعلاً بحاجة على عائلة بديلة. وهنا على التبني أن يتم في البيئة المحلية. وان لا يصار لتزوير الوثائق، والسماح بإعادة الوصل مع الأم البيولوجية، وعدم إخفاء الحقيقة عن الطفل ومنذ اللحظة الأولى. هكذا يكون التبني إنسانياً وليس تملكاً أو تعويضاً عن نقص عدم الإنجاب.

○لماذا يستمر التبني أو تهريب الأطفال من لبنان رغم انكفاء الحرب الأهلية؟

● هناك نظرة عامة إلى التبني كعمل خيري، ولذلك يتم تسهيل عبور الأطفال عبر الحدود من أجل التبني الدولي، علما أن التوثيق يؤكد أن كافة تلك المسارات يتخللها إنفاق أموال، وبالتالي هي تجارة مربحة ولكنها تحصل تحت غطاء العمل الخيري. لذلك لا بد من إيجاد قانون مدني، خارج سلطة المحاكم الروحية، يرعى عملية الفصل، ويحدد الأشكال البديلة والأنسب لمصلحة الطفل.

○ما هو الهدف من إحصاء يحدد نسبة التبني في مناطق متفرقة من لبنان؟

● لم نتعمد التركيز على مناطق معينة دون أخرى، ولكنه تحليل وصفي لمناطق الاستحصال على شهادات الميلاد وهي مزورة في معظم الأحيان. أظن أن تمركز عملية استصدار الأوراق في العاصمة هو الطريقة الأضمن لعدم قدرة الأم البيولوجية على اقتفاء أثر طفلها.

○لماذا أقرت كندا تعويضات مالية للمتبنين سنة 2018؟ وهل الهدف راحة ضمير القائمين بالتبني؟

● جاء هذا الإقرار نتيجة سنوات طويلة من نضال المتضررين من التبني خاصة من السكّان الأصليين في كندا في عائلة أوروبية. جاء هذا التعويض كتأكيد على الأثر السلبي الذي خلفته هذه الممارسة على ضحاياها. هو إقرار حكومي بأن التبني لم يكن في مصلحة الطفل وأنّ أثره عميق. وتؤكد الدراسات في كندا أن أثر التبني قد يصل إلى الجيل الثاني والثالث.

○هل يمكن تحديد شكل وأطر تبني بضرر أقل على المُتبنى وعلى المتبنين معاً؟

● كما ورد سابقا، التبني عبر البلاد هو ممارسة محظورة بحسب معاهدة هاغ 1993. ويجب التركيز على الوقاية عبر دعم الأسر الفقيرة والأم المنفردة. عندها يصبح عدد الأطفال الذين هم فعلا بحاجة إلى أسرة بديلة أقل. وكما نصت المعايير الدولية للرعاية البديلة الصادرة عن الأمم المتحدة عام 2009 على أن يتم التبني ضمن البيئة المحلية للطفل، من دون تزوير الوثائق، وإخفاء الحقائق، والسماح للطفل بالتواصل مع أمه عندما يكون الأمر متاحاً. وهذا ما يسمى بالتبني المفتوح.

○من ضمن توصياتكم «توفير حماية

95 في المئة من المتبنين في هولندا تم تسجيلهم بأسماء التبني وبأرقام تسجيل مدنية عائلية

لقرار آمن ومستنير للأم المنفردة». هل لهذا القرار أن يصبح حقيقة في عالمنا العربي؟

● نعلم مدى صعوبة هذا الموضوع، ولكنه ليس مستحيلا وعلينا المثابرة. بتضافر الجهود من قبل الجمعيات المعنية يمكننا أن نخطو إلى الأمام. المثابرة واجب.

○أوصيتم بالحق في الحصول على المعلومات. من يضمن هذا الحق؟

● تضمنه المعاهدات الدولية كإعلان حقوق الإنسان واتفاقية حقوق الطفل. وعلى القانون المحلي أن يضمن هذا الحق، والأهم أن يسعى إلى تطبيقه عبر إلزام المؤسسات التي تملك هذه المعلومات بفتح ملفاتها كما حصل في صيف 2019 في كندا. فقد تمّ إجبار كل المعنيين بعمليات التبني بفتح الملفات وضمان حق الشخص المعني بالمعرفة، وبالتالي الوصول إلى معرفة الجذور واللقاء مع الأم البيولوجية.

○هل توجد في لبنان أو العالم العربي تشريعات خاصة بالتبني؟

● في لبنان ليس هناك قانون مدني يرعى عملية التبني، بل هو متروك للمحاكم الروحية في أغلب الأحيان. على المستوى العربي تونس هي الدولة الوحيدة التي أقرت قانونا مدنيا للتبني.

○هل من خريطة واضحة يعتمدها الباحثون عن جذورهم؟ هل يبدأون من الصفر نتيجة تزوير اسمائهم وتلف مستندات ولادتهم؟

● هم دائما ينطلقون من الوثائق التي وصلت إليهم عبر العائلة المتبنية. وهي وثائق مزورة في أغلب الأحيان، وفي أحيان أخرى تكون المعلومات مغلوطة عن قصد. مؤخرا جرى تسريع عملية اللقاء عبر فحوص «دي أن أيه». لكنها عملية تتطلب دقة ومثابرة والأهم ضمان سلامة الأم البيولوجية، فهي في الأغلب قد أخفت سرها ولا نعرف ظروفها الحالية.

○هل من شرح لسطر ورد في مقرراتكم «ممارسات مخيفة نتيجة اللجوء السوري»؟

● في أزمات اللجوء والحروب والكوارث تنشط شبكات التهريب ولا سيما تهريب الأطفال بغرض التبني. لقد سمعنا كثيراً عن ظاهرة تزويج القاصرات. ألم ينتج عن تلك الزيجات أطفال؟ أين هم؟ وما هو مصيرهم؟

○بعد الحروب المتواصلة منذ سنوات في سوريا، اليمن، ليبيا والعراق هل يحتاج التبني إلى مؤتمر عربي عام؟

● هناك حاجة ملحة لعقد مؤتمر أممي للتداول في أوضاع الأطفال غير المصاحبين ومصيرهم. ما زالت ترددات ممارسات فصل الأطفال على الحدود الأمريكية تصلنا. هناك حاجة لخطة طوارئ عالمية. وعلينا في لبنان والعالم العربي أن نعي خطورة هذا الموضوع.

كتب

تزفيتان تودوروف في «بصمة الإنسان»: بورتريهات فكرية لوجوه أدبية عالمية بينها إدوارد سعيد

هاشم شفيق

خَلق المجتمع التوتاليتاري أفكاراً ونظريات ومعارف سعى إلى أن يُلبسها للجميع، قسراً، أو من خلال الديالكتيك الذي يرتئيه، كحل مناسب لكل الطبقات، والمراتب الاجتماعية التي ينحو إلى تغييرها، لتكون سائدة ضمن شكل واحد، وعاملة تحت أفق شمولي واحد لا غير، هذا ما سوف يراه الناقد المعروف والمثقف البلغاري تزفيتان تودوروف، وهو مفكر وباحث وأستاذ فلسفة وأدب وفكر، في الجامعات الفرنسية والأمريكية، وهو إضافة إلى ذلك ناقد قلّ نظيره، ومثقف علماني، ليبرالي النزعة، ومضاد للفكر الشمولي، ولأنظمتها التوتاليتارية التي حكمت وفق أفق بطريركي، دولاً في كل من أوروبا الشرقية، والاتحاد السوفييتي سابقاً، هذا فضلاً على أنه رجل مواقف، وناقد علمي، ومُنظر لأفكاره الشخصية والفلسفية، تلك التي يصوغها في كتب ومحاضرات ومناهج علمية وأدبية، لطلبة شباب يتلقون أفكاره ويناقشونها بطريقة ديمقراطية، فكرية وعبر آرائهم الحرة، في جامعات باريس ونيويورك، وفي الدعوات والمناظرات التلفزيونية، والتدريسية، والانتدابات المنهجية، والمنح التعليمية، والإشراف على الهيئات الثقافية للدول المُضيفة التي تستضيفه كمستشار، ومفكر، وناقد زائر لمناهجها في الجامعات العليا والشهيرة.

الكتاب الذي بين أيدينا هو «بصمة الإنسان» وهو شبيه بالسير الذاتية لأساتذة أصدقاء عرفهم تودوروف، خلال مسيرته الثقافية والأدبية. كتاب يرسم فيه تودوروف، الهارب من نظامه الشمولي في بلغاريا أيام الشيوعية إلى باريس، لاجئاً، وعاملاً كأستاذ في جامعاتها العلمية، بورتريهات شخصية، لخمسة علماء، ونقاد، وكتاب، ومفكرين كبار، وهم الأمريكي من أصل فلسطيني إدوارد سعيد، والروسيان رومان يوكوبسن، وميخائيل باختين، أما الاثنان الآخران فهما الفرنسيان رومون آرون وجيرمين تييون.

يبدأ الكتاب برسم صورة نادرة، عن صديق حياته المفكر الفلسطيني الكبير إدوارد سعيد، مسلطاً الضوء على مسيرته الحياتية أولاً، وثانياً متناولاً شخصية سعيد اللامعة، كأستاذ قدير، ومتمكن، ومنافس بارع، للأساتذة الآخرين، وثالثاً يستعيد معه الأيام الأولى للتدريس، مستكنهاً عبر قلمه الباهر، تجربته خلال مزاملته له في التدريس المشترك، في إحدى الجامعات الأمريكية، ومتوقفاً عند أسلوبه الأدبي والفكري والعلمي، ومستشرفاً خصوصياته اليومية، في طريقته لتناول الموضوعة التدريسية، وناحياً أيضاً في المضي تجاه رونقه الحياتي، في رسم ملامحه الوسيمة، وجاذبيته المتركزة في شخصيته، وطريقة حديثه، ولبسه الأنيق، وألمعيته في شرح الثيمات، وكرمه الشخصي خلال مسيرته اليومية.

ارتبط تودوروف مع سعيد بعلاقة قوية، امتدت لثلاثين عاماً، بدأت في جامعة كولومبيا في نيويورك عام 1974 واستمرت حتى وفاته، بعد إصابته بمرض سرطان الدم المفاجئ الذي شغل جزءاً من تفكيره وكيانه، ولكنه واصل بجهد ومثابرة وعزيمة لا تضاهى، مسابقة الزمن، وتقديم ما كان يحلم بكتابته، فسارع حينذاك لكتابة مذكراته الشخصية التي كانت حسب تودوروف من أجمل الكتب الأدبية العالمية التي كتبت في السنوات الأخيرة، فهو يعزو، سبب علاقته بسعيد، إلى ذلك التناغم الحياتي في ما بينهما، فهما، والكلام لتودوروف، مهاجران من بلدين متقاربين، فوالد سعيد هاجر إلى أمريكا في بدء القرن التاسع عشر، حين حاول الأتراك تجنيده لمحاربة البلغار، فرفض القتال، وترك القدس، بلدته ومسقط رأسه في فلسطين، فضمنها بلدان البلقان قبل تحررها، من الهيمنة العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر وبالأخص بلغاريا «إن انتساب كل منا إلى دولة تعتبر درجة ثانية، كان بلا شك أحد الأسباب المسؤولة عن التعاطف الذي شعرت به نحو صديقي الجديد، كان يحب المزاح، وكان لا يخجل من إيماءاته الغردية، ولا يعتبرها خروجاً عن الوقار، كان مثالاً للبساطة والتواضع، وهو من أكثر الناس الذين قابلتهم دفئاً في هذا الوسط، كنا نذهب إليه وإلى زوجته مريم، من دون حرج عندما كنا نصطحب أطفالنا».

يمضي تودوروف في كشف كل مزايا إدوارد سعيد، ثمة تفاصيل جميلة، لا ينساها تلك التي جمعته بصديقه، إنه يسرد بطريقة متقشفة، ومشوّقة كل ما يتعلق بحياة سعيد المهنية، والعائلية، والجذور الفلسطينية، ونضاله الحقيقي عبر انتسابه لمنظمة التحرير الفلسطينية، ويرسم ملامح دقيقة لتيرّم سعيد من الاحتلال الإسرائيلي، والتمادي الكبير في قضم ما تبقى من بلده من خلال بناء المستوطنات، وتبرّمه من الإعلام الغربي، المتماهي مع المحتلين، بتنزيه صورة المحتل، والغازي، حكم ستالين، ومعسكرات الاعتقال تشهد على تلك الفترة المظلمة، والقاسية، من الحكم الستاليني الدامي والبشع، وكان هذان الكاتبان، يتجنّبان قد الإمكان المواجهة الستالينية، فهما كاتبان معروفان، وشهيران، وترجمتْ جلّ أعمالهما للغات عالمية شتى .

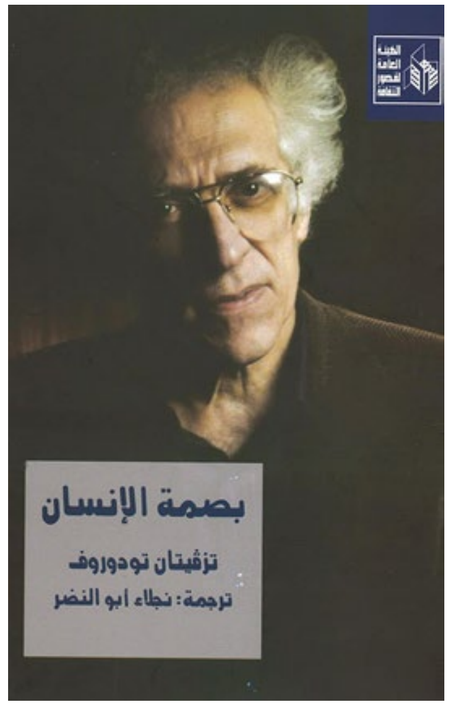

يتحدث المؤلف عن حياة كليهما، فميخائيل باختين درس وتعلم في موسكو، وياكوبسون في سان بطرسبورغ، وكلاهما لهما أتباع وتلاميذ ومريدون، وكلاهما نالا الشهرة الذائعة، بين الجامعات العالمية، ومعاهد النقد العلمي، والفكري في دول كثيرة، وبالأخص الدول الاشتراكية المجاورة، للاتحاد السوفييتي سابقاً، فتودوروف كان في بلغاريا حين تتلمذ على نتاجاتهما الفكرية والنقدية، وقد التقى في عام 1964 بياكوبسن في صوفيا، يوم كان المؤلف يَدرس ويَحضر محاضرات كتاب عالميين، ومن ضمنهم رومان ياكوبسون، وقد أمسى أحد أصدقائه فيما بعد، وبذا سعى تودوروف في باريس إلى نشر كتب ياكوبسون عبر نقلها إلى الفرنسية، حتى أخذ هذا العالم مكانته اللائقة، في عالم الفكر والأدب، والنقد الفرنسي، ونال الشهرة ذاتها التي نالها باختين عالمياً، باختين المنطوي والمتحسّس من اللقاء بالآخرين، ومن ضمهم ياكوبسون نفسه، فلقد تجنّب اللقاء به، والكلام لتودوروف، تجنب أن يرد باختين حتى على تلفون يطلب فيه ياكوبسون من سكرتيرته ومُضيفته عازفة البيانو، أن يكلمه حين علم أنه عندها في البيت، فتعلل باختين بالمرض، ومرة أخرى اتصل به، وكانت النتيجة مخيّبة أيضاً، فباختين حسب المؤلف، والناقد، والمفكر، والعالم اللغوي تودوروف كان يتحسس من التلفون، ولا يستخدمه أبداً، وثمة سبب آخر يعزوه تودوروف، إلى عدم ميل باختين إلى جيل الشكلانيين، الروس الذي كان ياكوبسون واحداً منهم، وأحد المنظرين الكبار لهذا الحقل الفني والإبداعي .

يستفيض الكاتب في هذا المبحث في تبيان مزايا الاثنين، مسلطاً ضوء بصيرته إلى تناجهما الغزير، والغني، والحافل بالقضايا اللغوية والفكرية، والإنسانية، وهو هنا يضيف معرفة أخرى، وهامة حول دور باختين في النقد، والأدب، واللغة الروسية، ويعدُه أحد أهم الشخصيات التي تأثر بها، وتركتْ في نفسه ونفس تلامذته، ومحبّيه، وعشاق أدبه الأثر الجمالي الباقي، بالرغم من أنه لم يلتق به أبداً، ولكنه كان أحد الرموز الفاعلة والكبيرة التي تعلم منها، هذا فضلاً عن دور ياكوبسون الذي لا يقل أهمية، عن دور باختين في عالم النقد والأدب والفكر في العالم .

في تلك الحقبة الستالينية، سيزج بباختين، العالم الكبير في معسكرات الاعتقال، وقد صدر الحكم ضده بخمس سنوات، ولكنه احتج على ذلك بسبب مرضه بداء شديد في عظامه، فهو رجل شبه مشلول، ولذا سيخفف الحكم عنه عبر وساطات أصدقائه، وسينفى إلى إحدى القرى الروسية، تلك التي سيجد فيها عملاً بإلقاء محاضرات في إحدى جامعاتها، ليعيش معزولاً، وبعيداً عن العين الرقيبة .

والمستوطن في الميديا الغربية، ويحاول عبر هذا البورتريه المغرق بالصدق، والجمال الفني، من الناحية الأسلوبية الكتابية لتودوروف، حين يوضّح دفق السيرة التدريسية، والفكرية، والحياتية اليومية لسعيد، في الجامعة، والبيت، والميادين، والمرافق، الحياتية الأخرى، كإدوارد سعيد الذي ألف خلال حياته أكثر من عشرين كتاباً، نادراً ومثيراً، بدءاً بكتابه عن الروائي جوزيف كونراد، وليس انتهاءً بسيرته الذاتية التي هزّت الوسط الثقافي العالمي لحظة صدورها: «كان يبدو وكأنه يعيش حيَوات عدة في نفس الوقت، كان لا يعرف معنى قلق الصفحة البيضاء، كان لا يأخذ عطلة أبداً، كانت السرعة عاملاً أساسياً من عوامل شخصيته، كان يعزف على البيانو بصورة باهرة، كان لاعب تنس جيداً... وكان سعيد يتميز عن زملائه الآخرين بجامعة كولومبيا، بمظهره المهيب، فقد كان إلى جانب وسامته صاحب ذوق رفيع في الملبس».

في المبحث الثاني يتناول تودوروف العالِمَين ميخائيل باختين ورومان ياكوبسون، وهما من رواد القضايا الفكريّة، والنقدية، والفلسفية التي اهتمت بالعلوم الإنسانية، ويعدّهما المؤلف أستاذين كبيرين له، ولغيره من النقاد والباحثين من جيله، فهما روسيان، وعاشا تجليات الثورة الروسية على القيصرية، وكلاهما ساهما بنشاط فعال في زمنهما، وأبدعا في مجالهما الفكري، التنويري، وحاولا قدر الإمكان الابتعاد عن الطابع السياسي الذي كان يسم جل الأعمال الإبداعية، والإنسانية في فترات الحكم الشيوعي، ولا سيما في عهد ستالين، عهد الفاشية المختلفة والجديدة، عهد أذاق الكتاب والفنانين والمبدعين الروس المرّ طوال فترة

ايميلي ميتليس في «رأس فارغ»: الفن المنقوص لصناعة الأخبار في الإعلام الغربي

سمير ناصيف

ما الذي قد يدفع قراء صحف أو متابعي محطات تلفزيونية في العالم العربي للاهتمام بآراء ومواقف مسؤولة بث تلفزيوني في برنامج «نيوز نايت» السياسي عموماً الذي يبثه تلفزيون «هيئة الإذاعة البريطانية» (القناة الثانية) مساء كل يوم علماً ان معظم المستمعين إليه من البريطانيين وبعض الناطقين باللغة الإنكليزية في العالم؟

هذا سؤال سيتضح الرد عليه لدى قراءة هذه المراجعة لكتاب صدر مؤخراً لايميلي ميتليس يتطرق لموضوع صعوبة قيادة البث الهوائي التلفزيوني من «رأس فارغ» أي من دون التزام.

ميتليس هي صحافية تلفزيونية كندية المولد، ولكنها عاشت معظم سنوات عملها في المملكة المتحدة.

ما يهم القارئ العربي في هذا الكتاب كونه يشمل مقابلات مع عدد من كبار الشخصيات السياسية والفنية والإعلامية في العالم الغربي بالإضافة إلى تغطية الكاتبة لأحداث تاريخية هامة وقعت في السنوات الماضية وشؤون أخرى.

تقول المؤلفة في العادة يبذل الصحافي مجهوداً كبيراً للتوصل إلى حصوله على مقابلة رؤساء جمهورية أو حكومات سابقين أو حاليين، ولكنها، هي والمشرفون على عملها في «بي.بي.سي» فوجئوا برسالة من مكتب رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير (رئيس الحكومة والزعيم السابق لحزب العمال 1997 ـ 2007) يطلب فيها ان يجري تلفزيون «هيئة الإذاعة البريطانية» لقاء معه بمناسبة يوبيل ذكرى استفتاء بريكست (أي ان اللقاء جرى آذار/مارس عام 2018). وشددت الأسئلة على ان بإمكان الذين سيجرون المقابلة سؤال بلير عن موضوع العداء للسامية في بريطانيا وفي حزب العمال البريطاني! أي أن مكتب بلير شجع مثل هذا السؤال مسبقاً في وقت كان فيه زعيم حزب العمال البريطاني الحالي جيريمي كوربن يواجه معارضة داخل حزبه من نواب يتهمونه بمعاداة السامية.

والمعروف عن ميتليس أنها من الصحافيين البريطانيين القليلين الذين يعتمدون الموضوعية في عملهم.

وقالت تعليقاً على هذه المقابلة مع بلير قبل ان تجريها: «إن أكثرية وسائل الإعلام البريطانية التقليدية حاولت وتحاول في هذه المرحلة تسميم الحوار حول هذا الموضوع الحساس وتخلط (عن قصد) بين شجب سياسات دولة إسرائيل إزاء الفلسطينيين حالياً، والكره العنصري لليهود» (ص 215).

وتسأل نفسها في الكتاب: «ما الذي دفع توني بلير إلى استدعاء بي.بي.سي لمقابلته في هذه المرحلة؟». وقد استفسرت من المشرف على عملها عن الأسئلة المتوجب طرحها على بلير، علماً أنها كانت قد قابلت رئيس الحكومة السابق في مناسبات سابقة مدركة بأنه «محترف» في الرد على الأسئلة وقلّما يخطئ في الرد، وهو يُشعر محاوريه بأنهم أول من طرحوا عليه الأسئلة الهامة «ص 215». واحتارت إذا كان يجب عليها ان تسأله عن العداء للسامية أولاً، أو عن بريكست؟

وتشير إلى ان بلير هو من كبار مؤيدي بقاء بريطانيا في المجموعة الأوروبية ويسعى للعثور على توافق بين حزبي العمال والليبراليين الديمقراطيين لمواجهة كبار غلاة حزب المحافظين الذين يسعون للخروج من الاتحاد الأوروبي. وتقول الكاتبة إن بلير «يعاني من أن أكثرية البريطانيين لم يغفروا له دوره السلبي جدا في حرب أمريكا وبريطانيا الأحادية ضد العراق عام 2003 ولدعمه غير المتحفظ والمنحاز لحرب إسرائيل على لبنان عام 2006 ولتأييده للحروب عموماً في العالم الثالث بحجة سعيها للديمقراطية، بينما أهدافها قد تكون عكس ذلك».

وأبلغها بلير في المقابلة بوجود خيارات عديدة بالنسبة للخروج البريطاني من أوروبا وانه يجب توضيح حقيقة رغبة الشعب البريطاني بعد ان أدرك خطورة الخروج المتسرع من الاتحاد الأوروبي. الأهم (في رأيه) هو البقاء على علاقة عضوية قوية مع أوروبا ومعالجة قضية ايرلندا الشمالية بطريقة ذكية، وليس كما تفعل الحكومة البريطانية حالياً، وان على مجلس العموم البريطاني ان يلعب الدور الرئيسي في جميع القرارات.

ولدى سؤال ميتليس لبلير إذا كان هو شخصياً يعتبر الزعيم الحالي لحزب العمال جيريمي كوربن معادياً للسامية؟ أجابها: «لا أعتقد أن كوربن معاد للسامية. ولكن، هو والمحيطون به، لا يدركون أهمية هذه القضية. عليهم ان يستمعوا لما تقوله الجالية اليهودية في بريطانيا اليوم حول هذا الموضوع وان يقوموا باتخاذ الإجراءات اللازمة حيال هذا الأمر» (ص 221).

وعندما ذكّرته ميتليس بأن كوربن اعترف بوجود مثل هذه الجيوب في حزب العمال، قال بلير: «أقدّر ذلك، ولكن المطلوب هو العمل الواضح لوقفها، وإذا لم يتم ذلك فهذا أمر جدي لحزب العمال البريطاني ولعلاقته بالمجموعة اليهودية، وهذا أمر يؤسفني كزعيم سابق للحزب ويزعجني شخصياً، إنها مشكلة حقيقية وليست فقط مشكلة خصوم كوربن في حزب العمال».

وأضاف: «هذا الأمر سيخلق مشكلة لحزب العمال، والكلام وحده لا يكفي». (ص 222).

وتقول ميتليس أنها سألت نفسها وآخرين (بعد انتهاء اللقاء) إذا كان بلير مدفوعاً من جهة خارجية أو داخلية للإدلاء بمثل هذه التصريحات حول عداء كوربن للسامية، وبعد التأكد، أجابت انه بعد أسابيع مرت على إجرائها اللقاء وتحققها من هذا الأمر مع المعنيين والمتبرعين لهذا الحزب ومن الشخصيات اليهودية في بريطانيا تأكدت من وجود مثل هذه الضغوط والتحفيزات على بلير. ويُذكر ان توني بلير كان مدعوماً خلال رئاسته للوزارة البريطانية من شخصيات يهودية بارزة ثرية وفاعلة كاللورد مايكل ليفي وغيره، وانه، بعد تقاعده، صار مستشاراً لقادة خليجيين ولجمهوريات ذات أكثرية إسلامية يرغبون بفتح النوافذ السياسية العربية والإسلامية مع إسرائيل وقادتها. وهذا مؤشر على ذكاء ميتليس في إدراك هذا الأمر في كتابها.

والأمر نفسه ينطبق على لقائها (خلال زيارته للهند) مع الرئيس الأمريكي الاسبق بيل كلينتون حيث كان يدير مشروعاً خيرياً في كاليبور صيف عام 2014. كانت تود سؤاله عن علاقته الحميمة بمونيكا لوينسكي التي استخدمت للضغط على مبادراته الرئاسية لتحقيق السلام في الشرق الأوسط ولإفشالها. ولكن ميتليس تراجعت عن ذلك، عندما شعرت بانه يود إقفال الصفحة حول هذا الموضوع احتراماً لمصالح زوجته هيلاري. فقد أدرك (آنذاك) بان زوجته قد تترشح للرئاسة الأمريكية وتفوز بها، فامتنع عن التطرق والاشارة لقضية لوينسكي، ولكنه قال لها بصراحة إن: «الكونغرس الأمريكي ومواقفه يجعلان الأمور صعبة جداً على رئيس الجمهورية الأمريكي (مهما كانت هويته السياسية) للقيام بخيارات فاعلة، في السياسات الداخلية والخارجية نظراً لكون الكونغرس لا يتعاون مع الرئيس في كثير من الأحيان» (ص 46) ومن المعروف ان الكونغرس الأمريكي استخدم وما زال الفضائح الشخصية للرؤساء للضغط على أي رئيس يسعى لتحقيق خطوات فاعلة في قضية السلام في الشرق الأوسط.

وبيل كلينتون كان من الرؤساء الذين كادوا ان يتوصلوا إلى سلام بين إسرائيل والعرب لولا الضغوط التي تعرض لها بسبب الفضائح الشخصية.

أما مقابلة ميتليس مع دونالد ترامب الواردة في هذا الكتاب، فجرت في عام 2010 أي عندما كان ترامب مهتما بمشاريعه المالية والسياحية الخاصة وبينها الاشراف على انتخابات ملكة جمال الولايات المتحدة في مدينة لاس فيغاس الأمريكية. وتقول إن ترامب كان «اقتصادياً» في عرضه للحقيقة ومنحازاً في اختياره لمرشحة ولاية ميتشغن للفوز في اللقب (وفي المناسبة كانت الفائزة لبنانية الأصل ومن عائلة مسلمة، ولكنها اعتنقت المسيحية لاحقاً) ومن أهم ما فيها حسب الكاتبة بالإضافة إلى جمالها المتوسط ومديحها وتزلفها الواضح لترامب في تصريحاتها كان ان ترامب سأل ميتليس عن رأيها فيها فكان جوابها إيجابياً، وهذا يعني أنه نظم المسابقة واختار الفائزة مسبقاً مما يشير إلى طبيعة شخصيته الانفرادية حتى قبل انتخابه رئيساً، (برأي المؤلفة) وايمانه بان كل ما يفعله ويقوله يصبح صحيحا. (ص 23). وفي لقاء الكاتبة مع الممثلة البريطانية المعروفة إيما تومبسون حول التحرشات بالممثلات الجميلات في هوليوود من جانب المنتجين وبالتحديد المنتج هارفي وينستين، تحول الحديث بينهما عن دونالد ترامب في هذا المجال، علماً أن الرئيس الأمريكي اتهم في أكثر من مناسبة بالتحرش بالنساء. وقد جرى هذا اللقاء في تشرين الأول/أكتوبر 2017 في مناسبة نظمتها تومبسون في لندن لدعم اللاجئين السوريين في العالم حيث قالت: «عالمنا حاليا تحول إلى ساحة للذكورية بحيث يفرض رجال السلطة أنفسهم على العالم وعلى النساء خصوصا». (ص 171) وتضيف ميتليس قائلة: «لم أدرك في البداية انها تشير بشكل غير مباشر إلى دونالد ترامب، وإلى حركة «تايم إز آوت» النسوية المناهضة لاستغلال الرجال المتمتعين بالسلطة للنساء، وإلى البلطجية الذكورية في جميع الحقول، وإلى انه حان الوقت لعدم الصمت حول ما يجري للايين النساء من التحرش والاعتداء على حرياتهن وإنسانيتهن من قبل الطغاة المغتصبين لإنسانيتهن» (ص 175). وتضيف ثومبسون في اللقاء: «بسبب ترامب، تستمر مثل هذه الأمور. ولكننا لن نقبل بذلك. ولن تعود الأمور إلى مجاريها في فرض السلطة الذكورية والعنصرية علينا» (ص 178).

وفي لقاء ميتليس مع تريزا ماي عندما كانت رئيسة وزراء بريطانيا في حزيران/يونيو 2017 وبعد حريق غرينفيل الذي أودى بحياة عدد كبير من الفقراء المقيمين في إحدى بنايات الطبقة الاجتماعية التي من المفترض أن تدعمها الدولة في منطقة (نوتينغ هيل) في لندن، وبدلاً من أن تقول تيريزا ماي بأن خطأ حدث ونحن كحكومة بريطانيا مسؤولون عنه ونتحمل هذه المسؤولية، حاولت تغيير توجه ردودها على أسئلة ميتليس، كما فعلت مرارا في مجلس العموم البريطاني مما أدى إلى الإطاحة بها. «ربما خشية» من أن أسئلة ميتليس ستؤدي إلى اضطرارها للإجابة على خطورة وخطأ سياسة التقشف الاقتصادي التي اعتمدتها الحكومة بقيادتها (ص 139).

في الصفحة 114 من الكتاب حول تغطية ميتليس في أميركا لحملات المرشحين الأمريكيين الديمقراطيين للرئاسة في عام 2016 ربما تفصح المؤلفة عن حقيقة مواقفها ومشاعرها لما يجري في أميركا وبريطانيا والعالم حاليا.

تقول إنه في الانتخابات التمهيدية لولاية آيوا الأمريكية المحافظة تقليديا في عام 2016 كان الصراع محتدماً لترشيح الحزب الديمقراطي للرئاسة بين المرشح الليبرالي اليساري بيرني ساندرز ضد غريمته هيلاري كلينتون، ولم يتوقع أحد أن يفوز ساندرز على هيلاري، ولكنه فعل ذلك لكونه نجح في استقطاب الفقراء البيض وغير البيض والشباب عموماً الذين كانت كلينتون تعتقد أن أصواتهم ستذهب إليها.

والسؤال في رأيها: «مَنْ سيكون المرشح الديمقراطي الأقوى ليواجه دونالد ترامب في انتخابات عام 2020. ساندرز أو مرشح ضعيف يختاره يمين الحزب الديمقراطي؟».

Emily Maitlis: «Airhead: The Imperfect Art of «Making News
Michael Joseph - Penguin, 2019 London
Pages 335

المقال

زياد ماجد

عن نديم عبد الصمد وعن جانب من سيرة اليسار اللبناني

نديم عبد الصمد
(2019.1932)

رحل نديم عبد الصمد، أبو بشار، قبل أيام عن عمر ناهز التسعين عاماً قضى سبعين منها في ميادين الشأن العام والكفاح السياسي في لبنان، وانطلاقاً منه نحو مناصرة القضية الفلسطينية وتوطيد صلات التضامن العربي والأممي.

انتمى عبد الصمد مبكّراً، كما كثر من أبناء وبنات جيله إلى الحزب الشيوعي، ورافق تجاذبات الخمسينات والستينات حول شكل الولاء للاتحاد السوفييتي واستقلال الموقف عنه في الصراع مع إسرائيل والعلاقة بالناصرية وببعض التيارات القومية العربية وما تخلّل ذلك من نقاشات فكرية ومن قمع للشيوعيين (بلغ في حالة فرج الله الحلو حدّ التصفية). كما رافق تشكّل الروابط الحزبية وتوسّع قواعد الحزب في المناطق اللبنانية والنقابات العمّالية والمهنية. وبُعيد انتصاف الستينات وانطلاق المقاومة الفلسطينية ثم إنشاء قواعد للفدائيين في جنوب لبنان وما نتج عن ذلك من ديناميات سياسية جديدة في أوساط الشيوعيين وفي البلد، تواطأ أمين عام الحزب الجديد يومها، نقولا الشاوي، مع مجموعة من الحزبيين الناشطين الأصغر منه سنّاً وقرّر تدريجياً ترك الدفة القيادية لهم. هكذا برز نديم ومعه كريم مروة وجورج البطل وغسان الرفاعي وآخرون، وأحاطوا بجورج حاوي الذي انتُخب في مطلع السبعينات أميناً عاماً مساعداً (وقائداً فعلياً للحزب)، في وقت كانت مؤسسات ثقافية واجتماعية وصحية تنشأ رافدةً بحيويّتها مناخاً يسارياً يتوسّع انتشاره في الثانويات والجامعات وفي العديد من المدن والبلدات.

على أن الانقسامات اللبنانية تجاه نظام «الديمقراطية التوافقية» القائم منذ الاستقلال على مبدأ تقاسم السلطة وفق حصص طائفية ترجّح كفّة التمثيل الماروني، معطوفة على مركزية شديدة في بيروت وجبل لبنان الشمالي وتمركز للثروة لدى نخب ضئيلة الحجم وانهيار الزراعة وتزايد الهجرة الريفية، جعلت الاضطرابات الاجتماعية والسياسية تتصاعد باضطراد. وكان للموقف من التواجد العسكري الفلسطيني في لبنان، ولصدامات الجيش اللبناني مع المقاتلين الفلسطينيين وحصار مخيّماتهم أن جعل الأوضاع في منتصف السبعينات متفجّرة. وأدّى ذلك، مضافاً إلى مناخ إقليمي متوتّر، إلى اندلاع الحرب الأهلية بعد رفض اليمين المسيحي كل إصلاح سياسي واعتبار اليسار الذي انضوى في تحالفه الشيوعيون بقيادة زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي كمال جنبلاط الفرصة سانحة لفرض الإصلاح بالقوة في ظل التحالف مع المقاومة الفلسطينية، وانقسام الزعامات المسلمة بين منحازة لها ورافضة للحرب ومفضّلة اقتناص مشاركة أوسع وتغيير للكوتا الطائفية من دون الانقلاب على «صيغة الحكم» القديمة.

عبد الصمد العربي

شكّل تدخل النظام السوري في الحرب واجتياحه لبنان العام 1976 ثم اغتياله كمال جنبلاط، ضربة كبيرة لليسار وللشيوعيين والفلسطينيين، أكملها الاجتياح الإسرائيلي الأول للبنان العام 1978 ثم الثاني العام 1982. ورغم إطلاق الحزب الشيوعي ومنظمة العمل «جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية» التي قاتلت الإسرائيليين وساهمت في طردهم من بيروت وجبل لبنان وأجزاء واسعة من البقاع والجنوب، فإن تبدّلات الحرب اللبنانية وقواها وصعود حركة «أمل» الشيعية المدعومة سورياً ثم «حزب الله» المدعوم إيرانياً همّشت الشيوعيين وأخرجتهم من معادلتها. وفي كامل المرحلة تلك، انتُدب نديم عبد الصمد من الحزب مع آخرين لتوطيد الصلات العربية والدولية، فكانت زياراته العديدة لليمن الجنوبي (الاشتراكي) وحضوره المؤتمرات الشيوعية إطلاله له وعبره على «الخارج» ونسجاً أو تكريساً لتحالفات فيه. وهو أمر استمرّ حتى مطلع التسعينات التي شهدت دفعة واحدة انهيار الاتحاد السوفييتي وقيام الوحدة اليمنية واجتياح العراق للكويت ثم «عاصفة الصحراء» الأمريكية ضده، وبدء «مفاوضات السلام» العربي الإسرائيلي، ونهاية الحرب اللبنانية وإعادة تشكيل السلطة في البلد وفق معادلة طائفية جديدة وإصلاحات مؤجّلة وتفويض أمريكي – سعودي لدمشق بالوصاية السياسية والأمنية عليه، في وقت استمرّ احتلال إسرائيل لأجزاء من جنوبه.

وقد أدّت جميع هذه المعطيات إلى تبدّلات وخلافات داخل الحزب الشيوعي اللبناني وإلى خروج أمينه العام جورج حاوي من القيادة. وتمحورت الخلافات تلك حول العلاقة بالنظام السوري وبأطراف السلطة اللبنانية كما بالديناميات السياسية والاقتصادية المستجدة مع ظهور الحالة الحريرية ثم «الأمنية ـ المخابراتية» من جهة، وحول التنظيم والقبول بالتيارات وبالنسبية في التمثيل الداخلي من جهة ثانية. وهي خلافات تصاعدت وأدّت إلى تشكيل معارضة حزبية مال عبد الصمد إليها، قبل أن يصبح في نهاية التسعينات أحد أبرز وجوهها وأكثرهم خبرة واتّزاناً.

التحوّل الديمقراطي

مثّل العام 2000 تحوّلاً كبيراً في المسار السياسي اللبناني، كما في سيرة نديم عبد الصمد وبعض رفاقه اليساريين. ذلك أن اندحار إسرائيل عن جنوب لبنان أنهى كل ابتزاز داخلي مارسه نظام الوصاية السوري وحلفاؤه اللبنانيون، وأتاح إطلاق مبادرات وطنية جديدة. هكذا، صدر بيان المطارنة ووُلد لقاء «قرنة شهوان» المسيحي، ثم تجمّع ضمن إطار «المنبر الديمقراطي» العلماني أفرادٌ ومجموعات نشطوا في الحوارات واللقاءات على مدى التسعينات، ورأوا في المطالبة بانسحاب الجيش السوري ومخابراته وبإجراء انتخابات ديمقراطية تعيد تأسيس السلطة وتحقّق مصالحة وطنية أولويات المرحلة الجديدة، المكملة والمستحقّة التقديم على كل خلاف قديم أو مقيم. وترأس يساري من جيل عبد الصمد، ومن أبرز الوجوه الثقافية اللبنانية الجنوبية، حبيب صادق، «المنبر الديمقراطي» وانضمّ إليه عبد الصمد والياس عطا الله وباقي رموز المعارضة الشيوعية. وفي تجربته تبلورت لاحقاً فكرة تأسيس يسار ديمقراطي.

والفكرة تلك، التي تبنّاها عبد الصمد بقناعة وشجاعة، وتعرّض بسببها لاتّهامات وابتزاز وتخوين، هدفت إلى تشكيل حركة تتسّع للتنوّع اليساري، الشيوعي وغير الشيوعي، وتقيم التوازن بين الكفاح من أجل العدالة الاجتماعية والدفاع عن الحرّيات العامة والخاصة، وإنهاء التناقضات المقيمة بين مقاومة الاحتلال الإسرائيلي وبناء الديمقراطية، أو بين الانتماء العربي والاستقلال الكياني اللبناني. وتأسّست الحركة بالفعل في العام 2004، وترأسها عبد الصمد نفسه، وشارك في قيادتها خارجون من الحزب الشيوعي (أبرزهم عطا الله وزياد صعب) ومن «منظمة العمل» (حكمت العيد) ونقابيّون وممثّلون وممثّلات لمجموعات طلابية وناشطون في جمعيات أهلية ومثقّفون (من بينهم الياس خوري وسمير قصير). وتقرّب من الحركة الوليدة، من دون الانتساب لها، شيوعيون ظلّوا على صلتهم الوثيقة بجورج حاوي، الذي ظلّ بدوره راصداً دقيقاً للأوضاع اللبنانية، ولو من خارج المؤسسات الحزبية.

غير أن اغتيال النظام السوري وبعض حلفائه اللبنانيين لرئيس الوزراء رفيق الحريري في شباط/فبراير 2005، فرض تحدّيات كبرى على «اليسار الديمقراطي»، كما على اللبنانيين جميعاً. فهؤلاء انقسموا بين معارض وموالٍ لنظام الأسد، ثم إلى موالٍ ومعارض لحزب الله بعد خروج الجيش السوري، ثمّ اتّخذت قسمتهم بُعداً مذهبياً تقابل فيها أكثر السنّة وأكثر الشيعة وتوزّع القسم الأكبر من المسيحيين والعلمانيين على جانبيهم. بعد ذلك كانت حرب تموز/يوليو 2006 والسجالات حولها، وكان انهيار البلد على وقع

الخلافات والصدامات والمصالحات الصورية المفضية انتخابات وتقاسماً طائفياً زبائنياً جديداً للسلطة، أكثر فظاظة من كل تقاسم سبقه. الأخطر، أن اغتيالات عدة حدثت طيلة تلك الفترة، وكان أول من استهدفت سمير قصير ثم جورج حاوي، في عمليات بدت مزيجاً من انتقام من المعارضين للنظام السوري من منطلق يساري وتحذير لهم من العمل لتجميع أوسع طيف أو تشكيل قطب يساري مستقل مؤثّر في الساحة اللبنانية (وفي ما يتخطّاها).

ورغم محاولات الاستمرار بثبات وشجاعة، ورغم تفانٍ كثر داخل حركة «اليسار الديمقراطي» وإلى جانبه، ورغم جرأة الحركة ومشاركتها المشرّفة في معركة إخراج النظام السوري من البلد، فإن التجربة لم تعمّر كثيراً، وتراجعت مع الوقت حتى الانطفاء. مع ذلك، ظلّ نديم عبد الصمد مرافقاً لها حتى النهاية، وعاش سنواته الأخيرة على تواصل مع من كان فيها، ومع أصدقاء عمره ممّن ولّى وأكبوها، وتابع معهم الأمل الجديد في المنطقة الذي ولّدته الثورات العربية المنطلقة آخر العام 2010 في تونس، ثم البالغة سوريا في العام 2011، قبل أن تحوّلها الثورات المضادة والقمع والأوهان الذاتية والتدخلات العسكرية الخارجية إلى حروب وصراعات طاحنة ما زالت مستمرّة...

رحل نديم عبد الصمد إذاً، بعد حياة زاخرة بالعمل والكفاح والنشاط السياسي وشجاعة الموقف. رحل منسجماً مع نفسه ومع ما اعتقده من أفكار ومُثل تبدّل بعضها وتطوّر، وظلّ بعضها الآخر ثابتاً. رحل بعد أن مثّلت سيرته في الكثير من مناحيها جوانب من سيرة اليسار اللبناني بصعوده وتعرّجاته، ثم بتراجع دوره وضمور حضوره.

له، ولأمثاله ومثيلاته، سلام وورود، ولعائلته ورفاقه ورفيقاته، ولمن بقي من أصدقائه، كريم مروة وحبيب صادق وغسان الرفاعي بخاصة، العزاء وطول العمر.

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

كاريكاتير: اسامة حجاج

هاجس الجودة وواقع الرداءة

سعيد يقطين

يتحدث الجميع عن الجودة في التربية والتكوين، وقد صارت هاجسا يؤرق الدولة والحكومات المتعاقبة اليوم، وفي الوقت نفسه المجتمع ككل وهو يراهن على تعليم أبنائه ليكونوا خلفا أحسن من سلف! وكلما قدمت تصنيفات جديدة للجامعات على المستوى الدولي، رأينا ردود أفعال تسجل هذا الواقع من باب تنبيه من لا يريد أن يرى الأشياء على ما هي عليه. لكن من يكتفي بتبرير الواقع لا يني يتهم الآخرين بأنهم لا يرون من الكأس سوى جزئه الفارغ، في الوقت الذي لم تبق فيه كأس ولا صينية!

أزمة التعليم في المغرب ومعه كل الوطن العربي، وإن بنسب متفاوتة، بنيوية. وحين تكون الأزمة ذات طبيعة بنيوية لا ينفع الترقيع، ولا التجريب، ولا البحث عن الحلول الجزئية، ولا استنساخ بعض التجارب العالمية في إيجاد الحلول الملائمة لفك تلك الأزمة البنيوية. لعل التجريب: جربنا التعريب، واعتبرناه فاشلا، لنجرب الفرنسية، وحين يبدو أن لها نفس المصير، ندعو غدا إلى الإنكليزية، تماما كما فعلنا مع تناوب الفلسفة والدراسات الإسلامية حين اعتبرنا الفلسفة أخرجت لنا الاشتراكيين، والدراسات الإسلامية أفرزت الإسلاميين! فصرنا نتحدث عن «العلوم الإنسانية» في الثانوي وكأنها الحل السحري لتجاوز ما يمكن أن تخلقه لنا المواد المدرسة.

كانت مهمة المدرسة في البداية هي محاربة الأمية التي كانت متفشية في المجتمع. ثم صارت هي تكوين الأطر المغربية لتحل محل الأجنبية. بعد ستين عاما على الاستقلال ما تزال الأمية المتصلة بالقراءة والكتابة متفشية، ولا نتحدث عن الأمية الرقمية التي لا نتحدث عنها. وها مشكلة التوظيف مطروحة بشكل ملح، وتفرض نفسها باعتبارها مشكلة اجتماعية جوهرية. وحين تعلق كل المشاكل البنيوية بالتعليم على مشجب لغة التدريس، نكون في الحقيقة نهرب من المشاكل الحقيقية، وفي هذا الهرب، يتم قلب الصينية، وتكسير الكأس.

إنه بدون رؤية فكرية واجتماعية للمسألة التعليمية لا يمكننا الحديث عن الجودة. وبدون التعاطي معها باعتبارها قضية وطنية بالدرجة الأولى والأخيرة، وقت آخر، وحين يتم التصدي له بالكيفية نفسها، تضاف مشكلة العنصر الجديد إلى القديم فتتراكم المشاكل التي لم يتم الحسم فيها، ولا تزداد المشاكل إلا تفاقما. وفي المحصلة الأخيرة نجد أن عدم رؤية المشكل الأصل بنيويا لا يمكنه إلا أن يجعلنا ندور في متاهة. وهذا هو الواقع المتردي الذي يتخبط فيه التعليم منذ الاستقلال إلى الآن. وحين تطرح الآن مشكلة تدريس العلوم بالفرنسية على أنها مشكلة في ذاتها، بدعوى فشل التعريب، نكون نعزل العناصر عن بعضها، وكأن المشكل هو لغة التدريس، وليس في المنظومة التعليمية باعتبارها بنية كلية. فنكون أمام التجريب: جربنا التعريب، واعتبرناه فاشلا، لنجرب الفرنسية، وحين يبدو أن لها نفس المصير، ندعو غدا إلى الإنكليزية، تماما كما فعلنا مع تناوب الفلسفة والدراسات الإسلامية حين اعتبرنا الفلسفة أخرجت لنا الاشتراكيين، والدراسات الإسلامية أفرزت الإسلاميين! فصرنا نتحدث عن «العلوم الإنسانية» في الثانوي وكأنها الحل السحري لتجاوز ما يمكن أن تخلقه لنا المواد المدرسة.

كانت مهمة المدرسة في البداية هي محاربة الأمية التي كانت متفشية في المجتمع. ثم صارت هي تكوين الأطر المغربية لتحل محل الأجنبية. بعد ستين عاما على الاستقلال ما تزال الأمية المتصلة بالقراءة والكتابة متفشية، ولا نتحدث عن الأمية الرقمية التي لا نتحدث عنها. وها مشكلة التوظيف مطروحة بشكل ملح، وتفرض نفسها باعتبارها مشكلة اجتماعية جوهرية. وحين تعلق كل المشاكل البنيوية بالتعليم على مشجب لغة التدريس، نكون في الحقيقة نهرب من المشاكل الحقيقية، وفي هذا الهرب، يتم قلب الصينية، وتكسير الكأس.

إنه بدون رؤية فكرية واجتماعية للمسألة التعليمية لا يمكننا الحديث عن الجودة. وبدون التعاطي معها باعتبارها قضية وطنية بالدرجة الأولى والأخيرة، وليست مسألة تخضع للتجاذب السياسوي أو الانتخابوي لا يمكننا التفكير في كيفية تحديد الرؤية النسقية التي تمكننا من فهم المشاكل الجوهرية التي تحيط بواقع التعليم. إن الرؤية الأحادية الجانب لا يمكنها سوى عزل عناصر ومكونات البنية التعليمية عن بعضها البعض، ولا تؤدي العناية ببعضها على حساب الآخر إلا إلى اختزال الأزمة البنيوية في جانب دون التعرض للبعد الآخر للأزمة. لقد صارت الرؤية العامة مقيدة بثنائية تعطى فيها الأولوية لأحد طرفيها على حساب الآخر، دون مراعاة الترابط الحاصل بينهما باعتبارهما معا من مكونات البنية التعليمية.

سنكتفي بتقديم بعض عناصر تلك الثنائيات في مظهرها العام. وكل منها يخفي ثنائيات أخرى فرعية. هناك ثنائية: البحث العلمي/ التكوين المهني، والتوظيف/ التعاقد، / والتعليم العمومي/ التعليم الخاص، واللغة الوطنية / اللغات الأجنبية، وكليات الآداب والحقوق / كليات العلوم، والأمية والهدر المدرسي/ النجاح. هذا غيض من فيض الثنائيات التي يمكننا رصدها وتحليلها. إن الأطراف الثانية من كل هذه الثنائيات هي ما تلتفت إليها التوجهات الرسمية في مقاربة المسألة التعليمية معتبرة إياها المعنية بحل مشكلة التعليم، ولذلك توليها الأهمية المناسبة في التدبير والتجهيز والتخطيط.

كيف يمكننا مقاربة التكوين المهني بربط التعليم بسوق الشغل بدون إيلاء البحث العلمي ما يستحق من العناية؟ وكيف يكون الاهتمام بالتعاقد بدون ربطه بالتكوين الضروري واللازم لتكوين مهني ملائم؟ وكيف يمكن رؤية البديل في التعليم الخاص بدون تكوين أطر خاصة تتلاءم مع البيئة الخاصة لهذا التعليم، وأغلب الأطر الذي تشتغل فيه هي إما من أطر التعليم العمومي، أو من أطر ليس لهم تكوين بيداغوجي ملائم؟ هل يمكننا تأسيس علوم حقة بدون علوم اجتماعية وإنسانية ولغات؟ وهل يمكننا الانخراط في العصر بلغات الآخرين أم باللغة الوطنية؟ وأخيرا، وفي غياب بنيات تحتية ملائمة للمدرسة هل يمكننا الحديث عن النجاح، وعن محاربة الأمية، ومجابهة الهدر المدرسي والجامعي؟

إن إقامة الجسور بين أطراف الثنائيات المختلفة، بالصورة النسقية التي تنطلق من رؤية شمولية للمسألة التعليمية في أبعادها الاجتماعية والثقافية والتي تهتم أولا وقبل كل شيء بتكوين المواطن التكوين الذي يؤهله ليكون ابن هذا العصر هو ما نحتاج إليه لتجاوز الرؤية الضيقة والعابرة للمسألة التعليمية.

لقد تأخرنا كثيرا في معاينة المشاكل الجوهرية، ولم نمارس التفكير الجماعي لإيجاد الحلول الملائمة لها. إذا كان هذا التأخر واقعا تاريخيا فعلينا الإقرار به وتجاوزه، ولا يمكننا لعن التاريخ. إن المشكل هو أن نظل تستعبد التاريخ الذي أدى بنا إلى هذا الواقع المتردي والمتأخر. هذا هو المشكل الحقيقي الذي بدون التصدي له بالحزم والعزم والإرادة الوطنية والصلاح سنظل نجتر الواقع نفسه، وهو ما لا يلزم الاستمرار فيه. إن الثورة الرقمية أوجدت واقعا جديدا للتفكير في التعليم والتربية والتكوين. بدون التفكير في المسألة التعليمية في أفق العصر الرقمي، سنظل نفكر في التعليم المغربي بالرؤية التي تكرست منذ الستينيات من القرن الماضي.

إن تجديد الأسئلة وفق ما يفرضه علينا العصر الرقمي هو ما ينبغي أن يفكر فيه المسؤولون والمؤسسات الرسمية والشعبية والمربون والمختصون في العلوم والمعارف المختلفة، ورجال الأعمال برؤية مفتوحة على المستقبل. أما التفكير في التعليم من منظور أحادي فلا يمكن أن يؤدي إلا إلى استمرار واقع الرداءة، أما الجودة وقد صارت هاجسا، فلا يمكن الحلم بها أبدا.

كاتب مغربي

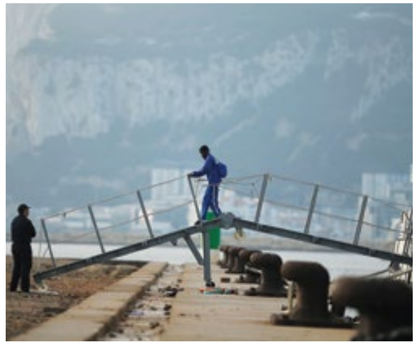

155 مهاجرا أفريقياً يعبرون حدود سبتة الإسبانية

تمكنت مجموعة من 155 مهاجراً أفريقياً من الدخول إلى جيب سبتة الإسباني في شمال المغرب عبر تجاوز سياج الأسلاك الشائكة، حسب ما أعلن متحدث باسم المحافظة المحلية.

وأوضح المتحدث أن «جميعهم متحدرون من أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، معظمهم من غينيا».

وهذه المرة الأولى منذ سنة التي يتمكن فيها مهاجرون ضمن مجموعة من اجتياز السياج العالي المجهّز بأسلاك شائكة والفاصل بين المدينة والمغرب، حسب المحافظة.

ومنذ مطلع العام، تمكن 3427 مهاجراً من الدخول إلى هاتين المدينتين عبر البرّ، أي 18,1 في المئة أقلّ من العام الماضي ودخل 671 من بينهم إلى سبتة خصوصاً عبر الاختباء في سيارات.

وتجاوز عدد المهاجرين الذين دخلوا اليونان هذا العام العدد الذي دخل إسبانيا، أول بوابة دخول للهجرة غير القانونية إلى أوروبا عام 2018 حسب المنظمة الدولية للهجرة.

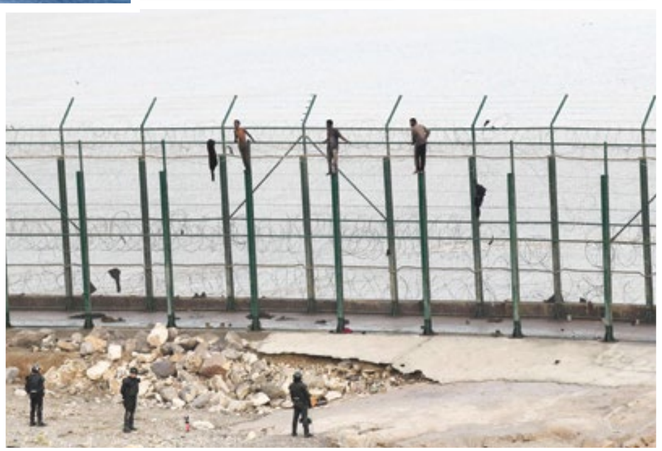

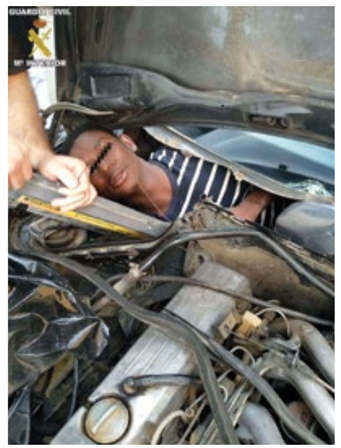

أداب وفنون

عمل مع قادة ثورة العشرين وعرف الهرب والسجن والمنفى:

الشاعر المنسيّ أحمد الصافي النجفي

أحمد الصافي النجفي

عبد الواحد لؤلؤة

كثرة الشعراء في مدينة النجف، بالعراق تستدعي كثيراً من العجب والتساؤل. وهذا ما يذكّرني بحادثة طريفة أستميح القارئ عذراً عن تكرارها في عدد من المناسبات السابقة. ففي أحد مؤتمرات المربد الشعرية ببغداد جاءني مصري أديب، صحافي معروف يطلب عوني في ترتيب سفرة له إلى النجف، قائلاً إنه سمع أن تلك المدينة فيها أكثر من «تلتميت» شاعر. وتمله ما أراد. فلمّا عاد مساء وجدته في غاية المرح، مكرراً «يا خواتي أنا حاتجنّن».

فلما سألناه قال: مرَرتُ بالسوق القديم في المدينة فوجدت رجلاً متقدما في السن وأمامه سلة من التمر ينادي عليها. فأحببت أن أكلمه سائلاً: «يا عم فين مقام سيدنا علي؟» فابتسم ساخراً فأدركتُ أن هذا سؤال لا يُسأل في النجف لأن المنائر والأضواء تدلّك على مقام الإمام علي. لكنه أجابني وهو يشير بيديه قائلاً:

أمامك فاختَر أي نهجيكَ تنهج/ طريقان شتى مستقيم وأعوجُ. ولا تسل عن دهشتي وذهولي من طريقة هذا الجواب. فقلتُ في نفسي: إذا كان هذا النجفي بائع التمر في السوق القديم يجيبك شعراً، فلا شك أن في هذه المدينة ألف شاعر وبزيد.

في مثل هذا المحيط ولد شاعر من بين ألف من شعراء النجف، اسمه أحمد الصافي، وبدا تعليمه في الكُتّاب مثل غيره، يقرأ كتب العلوم الدينية، ومثل غيره من طلبة العلم في النجف يبدأ ثقافته اللغوية الشعرية بكتاب «نهج البلاغة» المنسوب للإمام علي. لكن الفتى أحمد الصافي أرهقته كتب علوم الدين فأصابه الوهن قبيل الحرب العالمية الأولى، فكفّ عن دراسة علوم الأقدمين. وأدركته حرفة السياسة، ولم يلبث أن هاجر إلى إيران بما يشبه اللجوء السياسي. وهناك صار يكسب عيشه بتدريس اللغة العربية، ثم انكب على دراسة اللغة الفارسية حتى أتقنها واستطاع لاحقاً أن يترجم إلى شعر عربي رباعيات عمر الخيام، مما يعدّه العارفون أنها أدق وأفضل الترجمات العربية.

ومن سيرة هذا الشاعر يبدو أن التشرّد صار طبيعة لازمة له. فلم يلبث أن أدركته موهبة الشعر، فحمله حب التشرّد أن يقصد إلى دمشق في أوائل الثلاثينات من القرن الماضي، واستطاع ان يقيم في مدرسة، كما أقام في مسجد في إيران. كان في تلك المدرسة الدمشقية غرفة مظلمة فيها مصباح زيت ضئيل يعينه على القراءة ليلاً. أما تسجيل القصائد، وقد غلب عليه سلطان الشعر، فلا سبيل للكتابة سوى استعمال عيدان الكبريت المحترقة، يجمعها من أراضي غرف المدرسة ويكتب بها «أفضل شعره» كما قال. لكنه بعد فترة استطاع الحصول على قلم وورق يكتب بها ما يلحّ عليه من الشعر.

لكن مزاج هذا الشاعر وطبيعة التشرّد النابتة لديه جعلته يتنقل بين دمشق وبيروت وحماة والمصايف، لا يقيم من مكان إلا ليغادره إلى آخر. أما كيف يكسب قوته إذا كان سكنُه ميسوراً من جانب محبي الشعر والأدب فهو ما لا سبيل لمعرفته، لكن نُحول جسمه الشديد لا يدل على أن الرجل كان معنيًا بالطعام إلا القليل. فاذا سألته كيف ينفق على الفلافل، طعامه الوحيد، ومن أين له بالقروش القليلة لشرائها، أجاب:

يا حائر الفكر في معيشته
لا تضطرب، فالإله رازقكا
حتى الهوام الضعاف عائشةٌ
خالقُها كافلٌ وخالقكا

قابلتُ الشاعر مرة واحدة في دمشق في صيف 1965 بعد أن سمعتُ أنه في دمشق يقضي ساعات طويلة في «مقهى السلوان» أو قد ينتقل إلى مقهى «الكمال الصيفي» أو «مقهى الكمال الجديد». ففي هذه المقاهي روّاد من محبي الشعر والأدب، لا أحسب أنهم كانوا يسمحون له أن يدفع ثمن القهوة والشاي، إذ كانوا يجدون في صحبته وأحاديثه متعة تفوق ما يدفعون عنه من قروش. لكن الشاعر لم يكن سعيداً بهذا التشرد فهو يقول:

طال الثواء بأرض جلّق فاختفى
ما قد عهدتُ بها من الآثار
أنا في الشآم أحسّ غُربة أوجهٍ
ماذا أقول إذا رجعتُ لداري

فيمَ الرجوع لموطن منه اختفى
ما فيه من دارٍ ومن ديّار

يكثر الشاعر في الحديث عن ماضيه بما يوحي اليك أنه يحس بكثير من التميّز عن أبناء جيله. فهو قد عمل مع قادة ثورة العشرين في النجف، وعرف الهرب والسجن واللجوء السياسي. ومثلما أدركته حرفة السياسة في العشرينات أدركته حرفة الأدب في الثلاثينات في دمشق إذ وجد نفسه شاعراً «بالصدفة» كما قال لي وقرّر أن يبقى شاعراً. فمعرفته الواثقة باللغة الفارسية وتعمقه في دراسة الخيام ورباعياته جعلاه يزهو بأن ترجمته الرباعيات قد طبعت خمس مرات خلال ثلاث سنوات مع طبعة سادسة «مقرصَنة». وقد عرضت عليه دار نشر لبنانية في بيروت عشرة آلاف ليرة لبنانية (وهو مبلغ ضخم في تلك الأيام) عن حقوق طبع ونشر الرباعيات، لكنه رفض رغم حاجته الشديدة إلى المال. قال لي الشاعر في جلستنا في مقهى السلوان «الهافانا» ما نصه «إنني الآن أجد الرباعيات تدعو إلى الإلحاد والخمر والتشكيك والثورة، ورسالتي في شعري هي ضد رسالة الخيام».

ساقتنا أحاديث المقهى إلى مسألة ترجمة شعر الصافي إلى لغات أوروبية، اعترافاً بشاعريته. أخرج الصافي من جيبه بعيد الغور محفظة نقود مهترئة وأخرج منها رسالة من ناشر فرنسي يطلب موافقة الشاعر على ترجمة مختارات من شعره لكتاب بثلاثة أجزاء. فأرسل الصافي إلى الناشر «دواوينه العَشرة» ليختار منها ما يريد. ثم أراني الشاعر ورقة أخرى فيها ترجمة إلى الإنكليزية لقصيدة «يا ساعة أتعبَها النظام» من ديوانه الخامس «ألحان اللهيب» بقلم المستشرق الإنكليزي البروفسور آربري. كما أخبرني أن بعض شعره قد تُرجم إلى الألمانية. يكثر الصافي النجفي في الحديث عن تميزه في الشعر. فقد أراني رسالة من الشاعر القروي يقول فيها للصافي: «أنت أروع من نحتَ تماثيل الشعر من صخرة الواقع». كما أخبرني أن محمد مهدي الجواهري، النجفي الكبير الآخر، كان في دمشق مرّة وجمعه بالصافي مجلس صرّح فيه الجواهري للحضور بقوله «هذا يجول في ميادين لا يجرؤ أحدنا أن يجول فيها».

ومن تفاخر الصافي «المتواضع» بشعره يقول:

بإبداعي الاشعار لا أتكلّف
متى رمتُ إبداعاً من البحر أغرفُ
نأيتُ بشعري عن قديم ومُحدَثٍ
فشعري كروحي: جاءلِيّ مثقف

كانت بداية كتابة الشعر عند الصافي في ثلاثينات القرن الماضي بعيدان الكبريت المحترقة في غرفة مظلمة بمدرسة بدمشق، ما لبثت أن تطورت إلى الكتابة بقلم على ورق، سرعان ما برم بهما فأهدى القلم والورق إلى فرّاش المدرسة، وعاد للكتابة بعيدان الكبريت المحروقة، لأن الشعر انقطع بغياب العيدان المحروقة:

متى هيأتُ أوراقاً لشعري
لغير الشعر مصطحباً شعوري.
كأن ملاك شعري ربّ ذوق
فيهرب من مراسيم الحضورِ

كان ملاك الوحي عند الصافي مزاجياً، يزور إن شاء، فيتدفق الشعر دواوين عشراً، وينقطع إن شاء فتحل فترة يأس انتهت عام 1941. وهنا يعاود الشاعر حنينه إلى مراقي البطولة، فتدفعه رياح السياسة إلى السجن في بيروت ويكون شيطان الشعر بين زواره على مدى شهر ونصف خرج بعدها بديوان سابع هو «حصاد السجن» وفي عام 1958 أيام حوادث لبنان، وجد الصافي نفسه في ضيافة فندق في صيدا، يُحب صاحبُه الشعرَ، لكنه يخاف الحرب، فهرب إلى الجبل، تاركا الشاعر ليكون مدير الفندق وحارسه وضيفه الوحيد. وهنا تدفق الشعر بعد يأس، فجاء ديوانه العاشر «الشلال». وانقطع الشعر ليعود في صيف 1964 والشاعر قد بلغ السبعين، ليقدم الديوان الحادي عشر: غزل. نعم وفي السبعين وروح التحدّي للزمن مع علوّ الهمة والثقة بالنفس هي من مصاحبات الشباب. سألوه يوماً عن عمره إذ يتحدث عن الحب. قال:

سنّي بشعري، لا بعدٍّ سنين
فلأسخرنّ غداً من التسعين
عمري إلى السبعين يركض مسرعاً
والروح ثابتة على العشرين.

لكن الصافي لم يبلغ التسعين لكي يسخر منها، فقد توفي في الثمانين عام 1977.

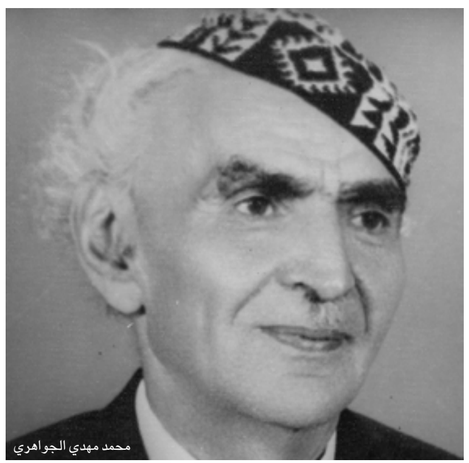
محمد مهدي الجواهري

حتى يتيح للمتلقي أن يكون ناقداً وشاهداً
فيلم «الغياب» وثائقي ينقل الواقع من دون تدخل

ميسلون فاخر

«الغياب» هو أول فيلم وثائقي طويل للمخرجة التونسية فاطمة الرياحي، التي درست السينما والتقنيات التلفزيونية في جامعة منوبة، وتخرجت فيها عام 2008. ومنذ ذلك الوقت أخرجت فيلما روائيا قصيرا وعددا من الأفلام الوثائقية القصيرة والمتوسطة ولعل من أهم أعمالها: «تونس... وتستمر الثورة». استغرق إنتاج فيلم «الغياب» خمس سنوات منها عامان ونصف العام للتصوير، وهو الأول الذي تنتجه «الجزيرة» الوثائقية عام 2018 حيث تم تصويره في مدينة سيدي بوزيد، تلك المدينة التي شهدت الشرارة الأولى للثورة التونسية باكورة ثورات الربيع العربي. رشح الفيلم لجائزة أفضل عمل أول في مهرجان «إدفا» العالمي ومهرجان «هوت دوك».

يتناول الفيلم قصة شاب تونسي «توفيق» شارك في القتال في حرب البوسنة ضد القوات الصربية. لكنه يدخل السجن لمدة 6 سنوات بعد عودته إلى تونس، لترحل زوجته إلى البوسنة وتتركه مع بنانه الثلاث، ليجد نفسه مسؤولا عنهن، وتتنازعه الرغبة بين رعايتهن وبين الانتقام من من دمر حياته ومن أجل ذلك يعاني صراعا يوميا.

يبتدئ الفيلم بأمنية طفلة في تحرير والدها من الاعتقال وينتهي بالنشيد الوطني الذي تنشده وهي شابة بحماس وألم وإحساس بأن هذا الوطن الذي نموت من أجله لا يمنحنا الحياة بل الموت بأشكال مختلفة.

هي ليست مجرد حكاية لا يتسع العمر لاستكمالها، ولا هي وجع خارج تحمل الاشتياق، بل حلم راود التونسي توفيق مشيعاً بالأمل فذهب مقاتلاً مع الجيش البوسني لينتهي به المطاف متهماً بالإرهاب ومهجراً بشكل قسري من لوكسمبورغ وعائلته إلى تونس ليقبع في سجون زين العابدين بن علي ست سنوات. حصد الوهم وحيداً حيث هجرته زوجته البوسنية وبقي مع بناته الثلاث ينتظر زمناً مقعراً لتعويض خسائره مشيعاً بحلم بلا تفاصيل لحياة أخرى تردّ له اعتبار الروح.

اقتنصت صانعة الفيلم فرصة ظرفية غير متوقعة عندما قامت عائلتها بتوفير ملاذ آمن لبوسنية مع بناتها الثلاث الهاربات، إثر اعتقال الوالد توفيق في لوكسمبورغ وترحيلهن جميعاً إلى تونس بسبب اتهامه بالمشاركة في القتال في حرب البوسنة ضد القوات الصربية.

في ذلك الوقت التقطت لهم صوراً وهي ما زالت طالبة في معهد السينما وكانت تلك الأفلام على شريط كاميرا «هاند كام» من هناك بدأت الحكاية، وحين اختفوا من حياة عائلة المخرجة ذهبت للبحث عنهم بعد سنوات طويلة لتشاركنا أسئلتها ونشاركها باستفهاماتنا واندهاشنا.

الشيطان يختبئ في التفاصيل

الفيلم مشحون بالتفاصيل، حيث الزمن يتمدد ويتكثف ليغدق علينا بصور تكشف المزيد من تعاريج الحكاية. تم الاشتغال على بعدين زمنيين يتمثل الأول بالزمن الماضي الذي عاشته الأسرة في البوسنة ولوكسمبورغ وظهر من خلال ألبومات الصور التي كانت تثير الأسى بين يدي توفيق الأب ويمينة البنت الكبرى، والتشبث بلحظة غير آتية لأنها من زمن مشكوك في مجيئه، والبعد الثاني هو الحاضر الذي كان يصرخ بقسوة في تعابير وجوه البنات والأب الكسير.

هنا اشتبكت الأزمان اشتباكا لافتاً خلال تسعين دقيقة بجرعات كبيرة من واقع يتصاعد درامياً في تعميق مأساة تلك الأسرة من خلال عرض الأحداث التي عاشتها.

حفل الفيلم بتعبيرات تنضح بها وجوههم والإشارات الجسدية والحالة المزاجية حيث كانت البنت الكبرى بمينة التي تميز أداؤها وانفعالاتها تجسيداً لتلك الانطباعات التي قادتنا من دون عناء كبير إلى الانحياز إلى فكرة تبناها المتلقي منذ الوهلة الأولى بأن الأطفال ضحية الآباء وإن خياراتهم هي التي ترسم خريطة حياة أبنائهم من دون أن يكون لهم دور في صنع أقدارهم ونادراً ما يفلت هؤلاء الصغار من ذلك المصير المحتوم.

تحت هذا السقف الزمني تم الاشتغال بمعايير تسمى في صناعة الفيلم الوثائقي «التلقائية» والتي يصر صنّاعها على العمل باسترخاء يشوبه الحذر وبأقل المعدات، على سبيل المثال تم توظيف الإضاءة الطبيعية حيث يحضر ضوء الشمس أكثر بريقاً من أي مصدر ضوء صناعي، أما الموسيقى فكانت هي الأخرى مستبعدة لأن هذا النوع من المدارس الوثائقية ترى أن الموسيقى يجب أن تكون أصواتاً حقيقية نابعة من المكان نفسه لأن أي تدخل يعتبر افساداً للواقعية، فكانت أصوات سكان القرية وحيواناتها وصوت الطبيعة التي ابتكرت طنيناً على خريطة مسامعنا واخترقت أرواحنا بانسيابية. فجيعة لغياب مترع بالحضور لأبطال يستصرخون، قضاة عادلين لم يولدوا بعد.

مشاهد كثيرة أخذتنا معها لنتجول مع القرويين حيث جمال الطبيعة وقسوة العوز.

كانت هناك جرأة واضحة في اقتحام مناطق غير معلومة وصعبة في شخصية سي توفيق كما باللهجة التونسية. نجحت فاطمة الرياحي في مشهد غضب سي توفيق وهو يحاول الإمساك بنفسه ليبدو هادئاً طوال اثنتين وأربعين دقيقة ولكنها نجحت حين ألقت به في نهاية المطاف في منطقة حرجة دفعته للاعتراف بانه شخص عنيف ومستعد للضرب من أجل الدفاع عما يؤمن به وأسترسل بالكلام حين أخبرها بأنه كان مستعداً للضرب بعصا حديدية رجلاً كان ينظر لزوجته بعين عنصرية في لوكسمبورغ ذات يوم.

لقد انتظرنا طويلاً مشهداً مهماً مثل هذا وكانت المخرجة متأكدة من أنها ستظفر بمشهد مفصلي في القصة وفرلنا إجابة على بعض الأسئلة، لأنه أعطى للشخصية بعدا نفسياً مركبا حين أفرطت بحشره في زاوية فحاول التلويح بقوته حين يتعدى أحدهم على أمنه الشخصي.

بصمة المتلقي

وبالرغم من أنه فيلمها الطويل الأول لكنه لم يحمل كبوات براءة العمل الأول بسبب الدعم الذي حظي به من قبل إدارة القناة وامكانياتها.

يؤمن الكثيرون من رواد هذه الصناعة بأن الفيلم الوثائقي «يشبه الكائن الحي» يولد كفكرة وينمو بين السطور ويتطور على يد مخرج ليحدد أسلوبه في العمل والإحساس بالمكان وثقافته الشخصية وولاءه لذلك المحيط وامكانياته بالبحث عن الحقيقة وإيمانه بقضية يتناول فيلمه معالجتها وتمتعه بدقة الملاحظة وبذلك تحول التوثيق على يد تلك الصانعة إلى شيء ينتمي إليها ويحمل كل ذاكرة وروح الموجودين في العمل ويصبح أخيراً هذا الكائن بين يدي المتلقي آخر قنوات العمل ليضع بصمته هو الآخر كما يشاء.

رأينا المخرجة في مشاهد عديدة تحاور أبطالها رغم ان ظهورا من هذا النوع يحمل مقتله معه، لكنها نجحت في التحكم بزمام الأمور حين طرحت أسئلة دارت في مخيلتنا ولم نجد لها جواباً. على سبيل المثال لماذا لم نر الأم البوسنية مرسيدا رغم أن شهادتها كانت ستثري مصداقية العمل؟

جاءنا الجواب بكل هدوء حين علمنا بأنها هربت من البلد بعد أن تعرضت لمضايقات الشرطة وإيذائها نفسياً لتعتكف في بلدها البوسنة وترفض أي حوار معها.

أشعرتنا المخرجة بالتوتر تارةً وبالتعاطف تارةً أخرى وأثارت فينا أسئلة لم يجب الفيلم عنها ليترك لنا حرية تصور الإجابات التي تناسبنا كمتلقين بعيدا عن الاملاءات التي اعتادت عليها الأفلام المؤدلجة.

يقول الناقد المصري سامي السلاموني «إن الأفلام العظيمة ليست هي ما تبهرك عندما تشاهدها لأول مرة وإنما هي التي تظل حية حتى لو شاهدتها ألف مرة. وهذا ما يحصل حين تكون متورطاً بشغف مشاهدة أفلام تتسم بالواقعية وتوصف بسينما الواقع».

أصر صنّاع فيلم «الغياب» على نقل الواقع كما هو من دون تدخل ليتسنى للمتلقي العادي أن يكون ناقداً وشاهداً ومشاركاً في صناعة الحدث. إن ما تفعله الدكتاتوريات من تجهيل وتجريف للعقل وامتهان لكرامة الإنسان يحملها مسؤولية ما يفعله هؤلاء الناس مستقبلاً وحين يحملون سلاحهم في أماكن أخرى هو جزء من التنفيس عن همّ كبير يجثم على صدورهم ويؤدي بحياتهم إلى أخطاء جسيمة ولا تنتهي تلك المصيبة إذا ما كان في تلك الدوامة ضحايا في الطريق هم أطفال بلا مظلة أمان عائلي ونفسي.

وبقيت ثمة أسئلة تدور في المخيلة، هل سيفلت سي توفيق وبناته من جحيم ملاحقة الاتهامات بأن والدهم إرهابي؟ لا نعلم لأن القصة لم تنته بعد.

وهل كان يحق لشرطة لوكسمبورغ إبعاد الزوج وعائلته إلى تونس من دون إذن قضائي وحرص على ضمان سلامتهم؟ ولم تشفع الديمقراطية الأوروبيّة لتلك العائلة أن تحظى بمحاكمة عادلة، وليس سوى محاولات لحامين وحقوقيين لرفع الدعوى، ولكن القضية التي يمر عليها أكثر من عشر سنوات تتلف أولياتها. فهل اتلفت الأوليات حقاً أم هو تملص من مسؤولية الترحيل القسري لعائلة؟

في خضم هذا الحزن الفائض عن الحاجة هل تعود عقارب الزمن إلى الوراء وتعيد الأسرة إلى حياتها الطبيعية؟

تحقيقات

لا حل بدون الشمولية وفك ارتباط الشباب بالجهاديين وترسيخ الحوار

أزمة الساحل: فشل الحلول الأمنية والعسكرية والعالم يبحث عن أخرى

نواكشوط ـ «القدس العربي»:
عبد الله مولود

تعترف الجهات الدولية بفشل الحلول الأمنية والعسكرية سواء منها الجهات المتأثرة بالوضع الأمني المتفجر منذ سنوات عديدة في منطقة الساحل الأفريقي، أو المتورطة في حروب الساحل التي اتسع نطاقها؛ فلا حرب برخان الفرنسية أوقفت النزيف ولا القوات الأمريكية في النيجر بطاراتها المسيرة، تمكنت من إعادة الاستقرار، بل إن التدخلات العسكرية الخارجية زادت طين الأزمة بلة لكونها ساعدت الحركات الجهادية في تسويغ خطابها وتسهيل اكتتاب عناصرها.

وتتألف منطقة الساحل من عدّة بلدان أفريقية تمتد من غرب القارة إلى شرقها، انطلاقًا من داكار وصولًا إلى جيبوتي.

وتواجه هذه المنطقة تنامي التهديد الإرهابي والجريمة المنظمة؛ فثمة جماعات تابعة لتنظيم «القاعدة» تجتمع تحت راية جماعة نصرة الإسلام والمسلمين، وهناك أخرى تابعة لتنظيم «داعش» مثل الدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى. وتتنامى كلّ هذه الجماعات في منطقة الساحل وتنفّذ الكثير من الهجمات ضد القوات المالية والدولية كبغثة الأمم المتحدة المتكاملة المتعددة الأبعاد لتحقيق الاستقرار في مالي.

جسر التواصل

وظلت المنطقة الساحلية الصحراوية الافريقية جسرا عريقا للتلاقي والتبادل بين الشعوب والثقافات والحضارات، وقنطرة ربط بين شمال القارة الافريقية ووسطها وجنوبها.

وتحولت هذه المنطقة من واحة أمن لساحة حرب تتداخل فيها الصراعات وتزلزل استقرارها التهديدات، ما جعلها بؤرة قلق وخوف لسكان المنطقة وللعالم المتأثر بتطاير شررها.

وأمام فشل الحلول الأمنية والعسكرية التي ابتلعت المليارات بدون أن تحل المشكلة، بات البحث عن حلول أخرى هاجس حكومات المنطقة والهيئات الدولية، ومجالا لدراسات وتحليلات المفكرين والمهتمين.

وشكل رؤساء دول موريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر وتشاد المعرّضة للتهديد الإرهابي القوة المشتركة العابرة للحدود في قمتهم المنعقدة في باماكو يوم الثاني تموز/يوليو 2017؛ وتجسد هذه القوة التابعة لمجموعة دول الساحل، عزيمة الافارقة على تولي زمام الأمور وضمان أمنهم. بأنفسهم

تهديدات أمنية مزمنة

وتعاني المنطقة منذ عقود عدة، من تزايد أنشطة التهريب والجريمة المنظمة، بسبب عوامل عدة أبرزها ندرة الأنشطة البديلة التي تحقق لسكانها أرباحا كافية، أو ثراء سريعا مماثلا لما تحققه جماعات التهريب ويجده عدد من المسؤولين المتواطئين في بعض الدول، من أرباح خيالية مقابل التعاون مع تلك الجماعات أو التستر عليها. وتعتبر تجارة الكوكايين من كولومبيا وبيرو وبوليفيا في أمريكا الجنوبية إلى أوروبا والشرق الأوسط مرورا بالساحل والصحراء، من أخطر الأنشطة التي تطورت بسرعة في العقد الأول من هذا القرن، حتى أضحت الأكثر ربحا من بين أنشطة الإتجار في المنطقة، وعند وصولها إلى الشواطئ الغربية لافريقيا تنقل عن طريق الجو أو بواسطة القوارب أو برا عبر الصحراء

ومن عوامل التهديد الأمني انتشار الأسلحة المتطورة والإتجار فيها، ومع الغموض الذي يلف الخريطة الكاملة لانتشار تلك الأسلحة، تقدر القيادة العسكرية الأمريكية في افريقيا «أفريكوم» أن عدد صواريخ أرض–جو أس. أي7 السوفييتية الصنع من تلك الأسلحة قد يرتفع إلى عشرين ألف صاروخ، بينما أعلن حلف شمال الأطلسي اختفاء قرابة عشرة آلاف صاروخ أرض–جو لم يتم التعرف على نوعيتها بالتحديد.

التهديد الأكبر

يتمثل التهديد الأكبر في أنشطة القاعدة والجماعات الشبيهة، إذ تشكل الجماعات الإرهابية أحد التهديدات الأمنية في المنطقة، فالوضع الجغرافي والسياسي والأمني المتوتر يعتبر بيئة مناسبة لنشاطها.

فمنذ أن تحولت الجماعة السلفية للدعوة والقتال (الجزائرية) إلى تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي عام 2007 وهي تتوسع في المجال الصحراوي الواسع، لتنشق عنها أو تنضم إليها مجموعات أخرى، مما يجعل منطقة الساحل أمام فسيفساء تتداخل فيها الحركات الجهادية مع جماعات الجريمة المنظمة والتهريب، ويستفاد منها في توفير مصادر التمويل واختراق المنطقة.

الحلقة المفرغة

يؤكد المفكر الإسلامي والفاعل السياسي المغربي سعد الدين العثماني في دراسة نشرها عام 2014 تحت عنوان «منطقة الساحل وا لصحراء: التحديات والآفاق المستقبلية «أن هناك تحديات متشابكة ومتداخلة، يغذي بعضها بعضا إلى حد أنها تشكل حلقة مفرغة يجب العمل على كسرها أو لا، قبل الانتقال إلى المواجهة الجزئية لكل تحد على حدة».

ولعل أولوية الأولويات في علاج هذه الأزمة هو قطع الأموال الضخمة التي تعتمد عليها الجماعات المسلحة وأموال جماعات الجريمة المنظمة ومهربي البشر والمسؤولين المتواطئين والقبائل المستفيدة وغيرهم، لأن هذه الأموال تعبق برامج التنمية السياسية والاقتصادية في دول الساحل، ما يجعل هذه البلدان هشة أمام الهجمة الإرهابية.

مقاربات ثلاث

ويستخلص من الدراسات والتقارير التي تناولت أزمة الساحل ثلاث مقاربات لعلاجها هي الشمولية، وفك ارتباط الشباب بالجهاديين، وترسيخ الحوار السياسي الداخلي.

عمليات ارهابية في الصومال

يقول العثماني «إن كثيرا من المقاربات لحل مشاكل الساحل والصحراء تغيب عنها الشمولية والاندماجية ويطغى عليها التركيز على الجانب الأمني والعسكري أو محاربة الإرهاب، مما يؤدي إلى توالي حالات الفشل في المعالجة بفعل تهميش الأبعاد الأخرى». ومن هنا، يضيف المفكر المغربي «فإن معالجة الوضعية تتطلب حلولا مستدامة وإجراءات متنوعة ومتكاملة، وعدم الانغلاق في البعد الأمني والعسكري والتوقف عن اعتبار باقي المجالات مجرد إسناد له».

الحوار السياسي الداخلي

واقترحت ندوة حول سبل مكافحة التطرف نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية في موريتانيا مؤخرا «فك ارتباط الشباب بالجماعات المسلحة والجريمة المنظمة، ودعم الحوار السياسي الداخلي في دول المنطقة، مع العمل لإيجاد حلول واقعية للمشاكل الناجمة عن سياسات التهميش والإقصاء وإيجاد حلول ناجعة للخصوصيات الثقافية والعرقية».

وعن الاستغناء عن أنشطة التهريب، يؤكد العثماني «إنه مرتبط بمدى توفر مصادر دخل بديلة كافية للمواطنين، كما أن معالجة تداخل مصالح المسؤولين مع شبكات التهريب يقتضي تطوير نظام الحكامة (أو الحوكمة) والشفافية والمساءلة، وثقافة سيادة القانون والمؤسسات المنتخبة وتقوية الوجود الإداري للدولة وبناء القدرات في المجال القضائي».

تحديات ومطبات

رغم أهمية التنسيق العسكري والأمني وتشكيل قوة مكافحة الإرهاب الجديدة في منطقة الساحل والصحراء بهدف مواجهة انتشار وتمدد التنظيمات الإرهابية، توجد مطبات وتحديات تعترض جهود الحل منها كثرة التنظيمات الإرهابية، والتحالف مع القبائل، والتعاون مع عصابات الجريمة المنظمة، وسرعة تنقل المجموعات الإرهابية، والهشاشة الحدودية.

لقد استطاعت التنظيمات الجهادية المسلحة تشكيل تحالفات فيما بينها، على غرار التحالف الذي جمع كلاً من «إمارة منطقة الصحراء الكبرى» و«تنظيم المرابطون» و«جماعة أنصار الدين» و«جبهة تحرير ماسينا» في بداية اذار/مارس 2017 تحت اسم «جماعة نصرة الإسلام والمسلمين» بقيادة إياد آغ غالي زعيم «جماعة أنصار الدين».

واللافت في هذا السياق، هو أن هذا التحالف مكّن تلك التنظيمات من رفع مستوى التنسيق فيما بينها، بشكل سمح لها بتصعيد حدة عملياتها الإرهابية في نطاق جغرافي أوسع.

كما تمكنت التنظيمات الجهادية من إرساء شبكة تحالفات مع مجموعات قبلية وعرقية نافذة في المنطقة، خاصة تلك التي تتبنى توجهات جهادية تسعى من خلالها إلى تحقيق أهداف سياسية، مثل حركة «أنصار الدين» التي تنتمي إلى قبائل الطوارق، وحركة «تحرير ماسينا» التي تنتمي إلى مجموعة «الفولان» العرقية.

ومن دون شك، فإن هذه التحالفات تساعد تلك التنظيمات على ضم عناصر جديدة إليها وتوفير معاقل آمنة تستطيع من خلالها التخطيط لتنفيذ عمليات إرهابية والتعامل مع أية أزمات طارئة.

وتتعاون التنظيمات الجهادية المسلحة مع عصابات الجريمة المنظمة لتوسيع نطاق مواردها المالية، وتصعيد مستوى نشاطها واستقطاب عناصر جديدة إليها.

بؤر التوتر الصغيرة

اتجهت الحركات الجهادية المسلحة لتكوين مجموعات إرهابية صغيرة تستخدم في الغالب أسلحة خفيفة على عكس التنظيمات الإرهابية التقليدية التي تستخدم الأسلحة الثقيلة، على غرار ما حدث في العراق وسوريا، وهو ما مكّن هذه المجموعات من التحرك والتنقل بين المناطق المختلفة وزاد من الصعوبات التي تواجه أجهزة الأمن والقوات الموجودة في تلك المنطقة والتي تسعى إلى رصدها.

ومن أبرز التحديات هشاشة المناطق الحدودية لدول الساحل التي مكنت التنظيمات من سرعة التمدد، مستغلة اتساع مساحة هذه الحدود وعدم القدرة على ضبطها ومراقبتها بشكل كامل.

الحل داخلي لا خارجي

يؤكد الأستاذ سعد الدين العثماني في معالجته «أنه أيا كانت أهمية الجهود الإقليمية والدولية، فستظل ضمن دائرة المصاحبة وفي إطار دور الوسيط لا أميسر، أما حل المشاكل في العمق وبكيفية مستدامة فلن يتحقق ما لم يأخذ أبناء المنطقة الأمور بأيديهم، وفق مقاربة تشاركية وتوافقية ومندمجة، هم من يقررون إجراءاتها وبالتالي هم من يجنون ثمارها».

ويضيف «هناك حاجة ماسة إلى دراسات حول دور بعض القوى الإقليمية أو الدولية ذات المصالح والمستغلة لثروات المنطقة في التأثير على تنفيذ الاستراتيجيات الأفريقية والأممية لحل مشاكل المنطقة».

ثم تساءل العثماني قائلا «ما هي تفاعلات تلك القوى مع الأطراف المؤثرة في الصراع؟ كيف يمكن تفادي تصعيد جديد في المنطقة؟ كيف يمكن تفادي تدخلات عسكرية أخرى بعد تدخلي فرنسا في مالي وجمهورية أفريقيا الوسطى؟».

ضرورة تغيير الخطط

يقول بكاري صمب مدير معهد تمبكتو لدراسات السلام والخبير في الإرهاب لـ «القدس العربي»: «إن معالجة الوضع الأمني المتدهور في منطقة الساحل يتطلب تغييرا في الأساليب تبعا لتغيير الحركات الجهادية المسلحة لأسلوبها حيث أنها انتقلت من الجهاد الإيديولوجي إلى الجهاد الظرفي المصبوغ بالجريمة».

وأضاف «هذا التغير يلزم الجميع بالنظر نظرة أخرى للإرهاب الإسلاموي».

وأضاف بكاري صمب «ما من شك في أن الحلول العسكرية لم تعط النتائج المرجوة منها، وكان على المجموعة الدولية أن تستفيد من الدرس الأفغاني الذي لقن للأمريكيين، وأن تعرف بكل بساطة أن بنادق الكلاشنكوف لا يمكن أن تنتصر وحدها على إيديولوجيا قائمة راسخة أو لا يمكن لقطع السلاح أن تحل مشكلات بنيوية تغذي تطرف الشباب المنضم لحركة بوكو حرام أو للدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى».

وقال «لم يستطع الأمريكيون بعد خمس عشرة سنة قضوها في أفغانستان من دحر حركة طالبان التي قتلت الكثير منهم، ومع أن عملية «سرفال» الفرنسية قد خلصت من الشمال المالي من براثن الجهاديين عام 2013 إلا أن عملية «برخان التي تلتها توجد عاجزة اليوم عن دحر الجهاديين في الشمال المالي وفي تخوم النيجر». وجزم «بأن الإرهابيين يشهدون ازدهارا كبيرا في الساحل حيث تمكنوا من تنسيق عملياتهم وإن كانت بزخم أقل، بينما نشهد تشتتا للجهود الدولية وتعددا للشركاء الدوليين الناشطين في مكافحة الإرهاب بالساحل حيث أن ألمانيا بدأت تبحث عن دور أمامي متخلية عن تحفظها الذي طبع دورها في منطقة الساحل ومنطقة غرب افريقيا».

الإرهاب يمد مخالبه

ما من شك في أن الإرهاب يتمدد ويتوسع سواء في مالي التي أصبح الإرهاب حدثا مركزيا فيها أو في المنطقة الساحلية برمتها؛ فقد تحول وسط جمهورية مالي إلى ساحة للتوترات التي تجاوزت حدتها التراب المالي إلى بوركينافاسو المجاورة.

إن كل هذا يجعلنا نجزم بأن الحل العسكري لم يجد نفعا في قمع دابر التهديد الإرهابي المستفحل ولا في تأمين بلدان المنطقة التي تعيش تحت ضغط الخوف والقلق.

ويقول صمب «لقد تأكد أبا الوليد الصحراوي قائد الدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى أنه مع انتهاء عملية «سرفال» العسكرية الفرنسية في مالي عام 2014 أن الاستراتيجيات الشاملة قد انتهت وأن التنسيق اللوجستي قد انتهى، وعلى أساس قناعته هذه اقترح إنشاء بؤر متعددة للبلبلة واستغلال الخلافات العرقية والنزاعات بين المجموعات المحلية عبر إضفاء الصبغة الإسلامية عليها. وهذا حسب ما يراه أبو الوليد، كاف لجذب التدخل الغربي في المنطقة الذي يتأسس عليه خطابنا المسموع لدى أوساط الشباب المعارض للتدخل الأجنبي في الشأن المحلي وبخاصة تدخلات أمم كافرة».

معضلة الساحل الجديدة

لقد كان بالإمكان أن تكون القوة العسكرية المشتركة لدول الساحل بديلا مناسبا عن الجيوش الغربية، فالسكان يقبلون بوجودها بينما يرفضون القوات التي يرفرف عليها العلمان الفرنسي والأمريكي، لكن هذه القوة لم تجد الوسائل المالية ولا التعاون لقيامها لأن الشركاء الغربيين لا يريدون لهذه القوة أن تحل محلهم لذا فقد أبقوا عليها مشلولة عن قصد.

وهناك مسألة أكد عليها جميع المختصين وهي ضرورة إزالة التناقض بين الرؤيتين المحلية والدولية لحل الأزمة الأمنية في الساحل، بعد أن تأكد ميدانيا، فشل الحل العسكري.

يقول الخبير صمب «أن الخطط والاستراتيجيات المقترحة لحل الأزمة الإرهابية في الساحل تفتقر لتحديد لأولويات: فهناك جدل قائم بين من ينظرون فقط للجانب الأمني وبين يفضلون مراجعة الأمور لتغيير خطط التدخل والبحث عن الأنسب فيها».

وأضاف «بينما ينشغل المهتمون بحل الأزمة في جدليات ترتيب الأولوية، نجد أن المجموعات الجهادية المسلحة قد راجعت خططها واتبعت منهجا واضحا هو استغلال جميع النزاعات والتوترات القائمة في المنطقة لصالحها وهذا ما حقق لها أمرين: الأول تعددية بؤر التوتر في المنطقة، والثاني الضغط على المجموعة الدولية».

تواجه منطقة الساحل الافريقي تنامي التهديد الإرهابي والجريمة المنظمة

ميديا

الموظف الذي أغضب وزير الصحة يُشعل جدلاً إعلامياً في الأردن

لندن – «القدس العربي»:

أشعل موظف مختبرات في أحد مستشفيات الأردن جدلا على شبكات التواصل الاجتماعي وهيمن على اهتمام الأردنيين خلال الأيام القليلة الماضية، وذلك بعد أن أغضب وزير الصحة عندما تحدث إليه وشرح أمامه المتاعب التي يعانيها هو وزملاؤه.

وتداول الأردنيون على «تويتر» و«فيسبوك» صورة عن كتاب رسمي صادر من إدارة المستشفى بحق موظفها ويتضمن قراراً بنقله «من مكان عمله الحالي إلى أي مكان ترونه مناسباً» أي أن مدير المستشفى أصدر قراراً بالتخلص من الموظف، وذلك في أعقاب حديثه أمام وزير الصحة سعد جابر خلال زيارة الوزير للمستشفى الذي يعمل فيه الموظف.

وحسب القصة التي يتداولها الأردنيون فإن الوزير سعد جابر زار مؤخراً مستشفى أبي عبيدة في منطقة الأغوار الشمالية، وخلال حديثه مع مدير المستشفى طلب فني المختبرات فرج محمد الصقور الحديث أمام الوزير فسمح له بذلك، حيث بدأ بشرح صعوبات العمل التي يعانيها الموظفون في المختبرات، وأكد له أنها في حاجة إلى تطوير، فيما ظل الوزير صامتاً ولم يرد على الموظف، وسط شعور عام بأن الوزير غضب من الكلام الذي تحدث به الموظف.

ولاحقاً لهذه الواقعة أصدر مدير المستشفى مؤيد شكور كتاباً موجهاً إلى مساعد الأمين العام في وزارة الصحة يطلب فيه «نقل فني المختبر فرج محمد من مكان عمله الحالي في مستشفى أبي عبيدة إلى أي مكان ترونه مناسباً» وهو الكتاب الذي سرعان ما انتشرت صورة عنه على شبكات التواصل الاجتماعي وأشعلت الجدل في الأردن. وأثارت الحادثة والوثيقة جدلاً واسعاً اضطر الوزير نفسه في وقت لاحق إلى توضيح ما جرى، حيث نقل عنه موقع محلي أردني قوله «إن مواقع التواصل الاجتماعي هوّلت القضية» مضيفاً: «استمعت لملاحظات فرج حول أوضاع المختبر وحاجته للتحديث، ووافقته على ذلك، وأفسحت المجال لكبير مهندسي الوزارة للرد». وأضاف الوزير جابر أن كبير المهندسين أكد طرح عطاء لتوسعة المختبر وسيُباشر العمل بذلك في وقت قريب، إلا أن فرج رفض الإجابة وأصر على مطلبه بتحديث المختبر، ورغم إجابات المسؤولين، وبدء عمليات التحديث على الأرض، أصر فرج على مقاطعتهم والتمسك بوجهة نظره، فغادر الوزير القاعة بعدما رأى أن النقاش عقيم، حسب ما أورد موقع «خبرني» الأردني.

ويقول الموقع الذي نقل الرواية عن الوزير ذاته إنه «بعد مغادرته خاطب الوزير مدير المستشفى قائلا إن بإمكانك نقل فرج إذا كان يفتعل مثل هذه المشاكل رغم أن العمل جارٍ للتقدم والتطوير على قدم وساقٍ». وأكد جابر أنه ألغى إيعاز نقل فرج من المستشفى في وقت لاحق.

وتعليقاً على الحادثة غرد النائب السابق في البرلمان الأردني نايف الليمون: «فني المختبر في مستشفى أبي عبيدة بن الجراح فرج محمد فرج ظن أن زيارة الوزير ستحل مشكلة المختبر المتهالك فتشجع وشرح الهم للوزير ليوعز بالفرج فكان أن أوعز بنفي فرج ويا فرجة ما تمت على فرج محمد فـرج». فيما كتبت رنـا ملحس تعلق على الحادثة: «منذ متى يتم نقل الموظفين بناء على اعتبارات شخصية! يـا ريتك مـا نطقت يا حضرة الناطق!» وذلك تعقيباً على توضيحات من الناطق باسم وزارة الصحة حول الواقعة.

وغرد الصحافي نضال سلامة قائلاً: «عمر بن الخطاب قال: لو رأيتم في اعوجاجا فقوموه بحد السـيف.. وزيـر الصحة اليوم لمـرض عكـس حقيقة الـوضـع الـصـحـي: انقـلـوه وشعتلوه، لا وكمان فوقها بدون بديل... هذه حكومة النهضة يا رزاز».

أما الكاتب الساخر أحمد حسن الزعبي فغرد على «تويتر» يقول: «فـرج رضـي والـديـن.. حظه أن فخامة جلالة سمو الفيسبوك انتبه لقصته.. لو لم ينكش قصته الناس لأكلها مفروكة»، وذلك في إشارة إلى أن إيعاز الوزير بإلغاء النقل جاء بناء على الضغوط من شبكات التواصل الاجتماعي.

وكتب الناشط يحيى الزعارير: «مهي البلد مطوبه باسم وزير الـصـحـة... اذا مـا بـدك تسمع شـكـاوي لـيـش رايـح لعندهم وبعدين هاي وظيفتك تلف وتسمع شـكـاوي وتـحـل مـشـاكـل.. ولا بدك توخذ راتب وعلاوات وخدم وحشم وانت نايم!».

عطوفة مساعد الامين العام للشؤون الفنية والصحية ومديريات الصحة

تحيه طيبه وبعد.....

انسب بنقل فني المختبر في مستشفى ابي عبيدة السيد / فرج محمد احمد فرج ملف رقم (٩١٩١٧) من مكان عمله الحالي في مستشفى ابي عبيدة لاي مكان ترونه مناسبا .
بدون بديل .

واقبلوا الاحترام .....

مدير مستشفى أبي عبيده
الدكتور مويد غازي شكور

اثنان من أبرز مذيعي مصر ممنوعان من الظهور على الشاشات

لندن – «القدس العربي»:

منعت السلطات الإعلامية في مصر المذيعة ريهام سعيد من الظهور على شاشات التلفزيون أو أي وسيلة إعلام لمدة عام كامل، وذلك عقابا لها على ما اعتبروه إساءة لبعض المرضى خلال حلقة تلفزيونية أثارت الجدل داخل مصر، فيما تم منع الإعلامي تامر أمين أيضاً من العمل وتم تحرير شكوى بحقه أمام النيابة العامة.

وفي التفاصيل فإن المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام أصدر قراره بمنع ظهور المذيعة المثيرة للجدل لمدة عام على شاشات القنوات المصرية عقاباً لها بعد إدانتها في الشكوى المقدمة ضدها من «المجلس القومي للمرأة» والتي تتهمها بالإساءة للبدناء أو لمرضى السمنة في البلاد. وخضعت المذيعة ريهام سعيد لاستجواب في المجلس بناء على الشكوى المقدمة ضدها، وانتهت لجنة الشكاوى بالتوصية بمنعها من الظهور الإعلامي لمدة عام كامل، وهو ما وافق عليه المجلس وأصبح نافذاً بالفعل.

واتهمت الشكوى المذيعة بتوجيه إهانات بالغة للمصريات اللاتي يعانين من مرض السمنة، وذلك في آخر حلقات برنامج «صبايا» الذي تقدمه على قناة «الحياة» الفضائية، قبل أن تصدر إدارة القناة قراراً بوقف البرنامج إلى حين انتهاء تحقيقات المجلس الأعلي للإعلام مع ريهام سعيد وإعلان موقف البرنامج وفقاً لما تنتهي إليه التحقيقات.

وكان نقيب الإعلاميين المصريين طارق سعدة قد أرسل خطاباً إلى رئيس «المجلس الأعلى لتنظيم الإعـلام» يُخطره فيه بقرار النقابة بمنع سعيد من ممارسة النشاط الإعلامي حتى تقنين أوضاعها وفقاً لقانون النقابة، كونها غير مقيدة بجداول القيد، أو حاصلة على تصريح بمزاولة المهنة، إلى جانب تورطها في تجاوزات مهنية، وتناولها ألفاظا وعبارات مخالفة لميثاق الشرف الإعلامي.

وقالت ريهام سعيد في حلقة من برنامج «صبايا» عن السمنة: «النـاس التخينة ميتة، وعـبء على أهلها، وعلى الدولة، وبتشوه المنظر... وإنتي ماشية بالإسدال أو العباية أو الجلابية فقدتي كل أنوثتك» الأمـر الـذي أثـار حالة من الغضب على منصات التواصل الاجتماعي، ومطالبات بعدم ظهورها مجدداً على وسائل الإعلام.

ويأتي قرار منع ظهور الإعلامية ريهام سعيد متزامناً مع وقف الإعلامي المعروف تامر أمين أيضاً عن العمل وإحالته إلى النيابة العامة بتهمة «مزاولة مهنة الإعلام من دون ترخيص».

وأصدرت نقابة الإعلاميين في مصر قراراً عاجلاً يقضي بوقف أمين عن العمل نهائيا وعدم السماح له بالظهور على شاشات التلفزيون ومنعه من تقديم برنامجه «آخر النهار».

وجاء القرار النقابي المصري بحق أمين بعد الضجة التي ثارت حول حلقة تلفزيونية مع النائبة والرياضية السابقة رانيا علواني، حيث يقول منتقدو الحلقة إنها تعرضت لـ«معاملة سيئة وأصر محاورها على التطرق لمسائل شخصية تمس حياتها الخاصة ووجه إساءة إلى زوجها ما دفع المجلس القومي للمرأة لتقديم شكوى رسمية ضده لدى المجلس الأعلى للإعلام».

وبالتزامن مع الشكوى أصدرت نقابة الإعلاميين برئاسة الدكتور طارق سعدة القائم بأعمال رئيس اللجنة التأسيسية، قراراً بمنع تامر أمين من الظهور على الشاشة وتقديم برنامج «آخر النهار» على فضائية «النهار» لحين تقنين أوضاعه، تطبيقًا لنص المادتين 2 و19 من قانون نقابة الإعلاميين.

كما قررت النقابة التقدم ببلاغ للنيابة العامة ضد تامر أمين بسبب ممارسته نشاطاً إعلامياً بالمخالفة لقواعد القيد بالنقابة المقررة طبقاً للقانون 93 لسنة 2016.

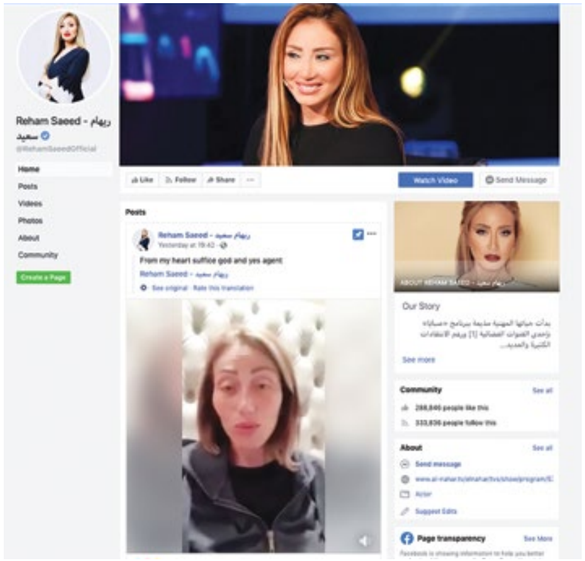

تراجع الإمارات في اليمن

لندن – «القدس العربي»:

هيمنت التطورات المتلاحقة في اليمن وانقلاب الأوضاع رأساً على عقب في مدينة عدن على الجدل الذي هيمن خلال الأيام الماضية على شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي، خاصة بعد أن منيت القوات المدعومة من دولة الإمارات بالانتكاسة الأكبر منذ بدء الحرب التي تشنها قوات التحالف على اليمن والمستمرة منذ سنوات.

وتمكنت القوات التابعة للحكومة الشرعية يوم الأربعاء الماضي من استعادة القصر الرئاسي في عدن واستعادة السيطرة على كافة المناطق الرئيسية والمهمة في المدينة بما فيها المطار، فيما منيت الميليشيات الساعية إلى الانفصال والمدعومة من دولة الإمارات بهزيمة قاسية.

وسرعان ما أطلق النشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي الوسم «#اليمن_تكتب_نهاية_الإمارات» في إشارة إلى تراجع الإمارات وهزيمة مشروعها في اليمن والذي يسود الاعتقاد أنه يقوم على تقسيم البلاد إلى شمال وجنوب وإعادتها كما كانت عليه قبل الوحدة التي نجح اليمنيون في تحقيقها مطلع تسعينيات القرن الماضي.

وأكد العديد من الناشطين أن الأحداث الأخيرة في عدن وشبوة تشكل دليلاً على وجود أزمة حقيقية في أبو ظبي تجاه الملف اليمني بكل تفاصيله، فيما دعا آخرون الإمارات إلى إعادة ضبط سياساتها الخارجية وعدم تجميع المزيد من الخصوم أمامها.

وتـداول العـديـد مـن الـنـشـطـاء عـلـى «تـويـتـر» و«فيسبوك» و«أنستغرام» صـورا ومقاطع فيديو للاحتفالات الشعبية التي شهدتها مدينة عدن يوم الأربعـاء الماضي في أعقاب تقدم قـوات الحكومة الشرعية واستعادة المدينة من الميليشيات المدعومة من الإمارات، كما أظهرت إحدى الصور مواطنين يمنيين وهم يقومون بتمزيق لافتة ضخمة تتضمن صوراً لرئيس دولة الإمارات الشيخ خليفة بن زايد ولولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد، في إشارة إلى الاحتجاج على الهيمنة الإماراتية على المدينة.

وكتب سالم أحمد على «تويتر» معلقاً: «من يحاول أن يهين أو يستفز أهل اليمن فلن يفلح. إقرأ التاريخ جيداً يا بن زايد لا تتبع تغريدات ضاحي خلفان».

وكـتـب مـغـرد آخـر: «مـن يـريـد تخريب بلادنا سندعسه، ومن ارد لبلادنا الخير نحطه فوق الراس» فيما نشر أحد النشطاء فيديو لأحد الاحتفالات في عدن وكتب معلقاً يقول: «شباب عدن يرفعون النشيد الوطني اليمني بعدن نكاية بـالإمارات والانتقالي وتفاعلاً مـع الانتـصـارات الميدانية. عـدن ضاقت بغطرسة الميليشيات الإماراتية وإجرامها وينتظرون لحظة الخلاص وعهداً جديداً».

وغرد الصحافي أنيس منصور: «تم تحرير مدينة عدن وتطهيرها واغتنام آليات ومعدات إماراتية، وبعد ساعات ستسقط بلحاف مركز عمليات الإمارات والنخبة، يتساقطون صرعى ويهربون بزي مدني، تركوا علم القنوب وأعلام الإمـارات وصور بن زايد يدعسها الأحرار». وأضاف: «شبوة تنتصر وعلم اليمن خفاق شامخ بعز فوق كل طقم ومصفحة إماراتية، وهكذا نهاية أي مشروع عنصري مناطقي».

وقال منصور في تغريدة أخرى: «البيان الصادر من التحالف تضمن حملات التشويه التي تعرضت لها الإمارات والبداية كانت منهم حتى كعلة هادي لم تسلم.. هنا الوجع وهنا الحقيقة فالمشوه لا يحتاج للتشويه، لهذا نحن ماضون في فضح الإمـارات بمختلف اللغات».

وكتب الدكتور أحمد مهدي معلقاً: «اليمن مش للبيع ياعيال زايـد، اليمن أبعد عليكم من الشمس، دعمتم مرتزِقتكم بكل الأسلحة النوعية والمال فكانت عليكم وبالاً وكتبتم نهايتكم بأيديكم، تبت أياديكم، وستذهبون إلى مزابل التاريخ، وسيبقى اليمن شامخا أبيا كشموخ جباله ورجاله الشرفاء».

وغرد اليمني هيثم الحيدري قائلاً: «أنا عن نفسي وكل اليمنيين بل 90 في المئة لم نشعر بالعيد ولم نشعر بفرحة عيدي الفطر والأضحى، حيث أن عيد الفطر جاء في شمال اليمن وكان آخر يوم من رمضان، وعيد الأضحى الإمـارات افتعلت الانقلاب وأفقدتنا فرحة العيد، وها نحن اليوم بأجمل عيد نذوق فرحة عيدي الفطر والأضحى بنصر #اليمن_تكتب_نهاية_الإمارات».

يشار إلى أن وزير الإعـلام في الحكومة اليمنية معمر الإرياني أعلن الأربعاء أن قوات الجيش الوطني والأجـهـزة الأمنية تفرض «سيطرة كاملة» على مديريات محافظة عدن جنوبي البلاد.

وقال إن «ضباط وأفراد ألوية الحماية الرئاسية تمكنوا من تأمين قصر المعاشيق في العاصمة المؤقتة عدن والمناطق المحيطة بشكل كامل» كما أشار إلى أن هذه التطورات تأتي وسط ارتياح وترحيب شعبي كبير.

وتمكنت القوات الحكومية الأربعاء من السيطرة أيضاً على كامل محافظة أبين جنوبي البلاد المحاذية لمدينة عـدن بعد دحـر قـوات «المجلـس الانتقالي الجنوبي» المطـالب بانفصال جنوب اليمن والمدعوم من الإمارات.

يُهيمن على شبكات التواصل ويثير تفاعلاً واسعاً

علوم وتكنولوجيا

ظاهرة بيئية تهدد بانتهاء الحياة على كوكب الأرض

لندن - «القدس العربي»:

أطلق مجموعة من العلماء والباحثين في المجال البيئي تحذيراً جديداً من التحولات الطبيعية التي تشهدها الكرة الأرضية والتي تؤدي إلى انتهاء الحياة بشكل كامل، أو إلى الوصول إلى «نقطة اللاعودة» حسب التعبير الذي استخدمه أحد العلماء.

وحسب تقرير مطول نشرته جريدة «صن» البريطانية واسعة الانتشار، فإن ظاهرة «حرائق الغابات» باتت تشكل تهديداً استراتيجياً كاملاً للحياة البشرية على كوكب الأرض وقد تؤدي إلى تسريع التغيرات المناخية الضارة وبالتالي انتهاء الحياة بشكل أقرب مما يتوقع الناس، بخلاف كل التوقعات التي أطلقتها الدراسات السابقة.

ويقول العلماء إن الحرائق المدمرة للأمازون قد تمثل «نقطة تحول» بالنسبة لحياة الغابات المطيرة وبقية العالم.

ويعتقدون أن هذه الحرائق يمكن أن تحرم البشرية من عامل هام في معركة تغير المناخ المستمرة، حيث يشير خبراء المناخ إلى أن الحرائق وغيوم ثاني أكسيد الكربون التي تخنق «رئتي العالم» يمكن أن تكون الكارثة البيئية التي سوف تدفع الكوكب إلى «نقطة اللاعودة» وبالتالي انتهاء الحياة البشرية بشكل كامل.

ويقول عالم المناخ في جامعة ساو باولو البرازيلية كارلوس نوبري: «ربما نكون قريبين جدا من نقطة التحول» مضيفا أن هناك عددا كبيرا للغاية من هذه الحرائق ناتج عن إزالة الغابات التي يُعتقد أنها جيدة للاقتصاد.

وأوضح غيرهارد ديترل المدير التنفيذي للمنظمة الدولية للأشجار الدارية والتي تشجع الاستخدام المستدام والعادل للغابات، أن آخر الأرقام تظهر اشتعالا لأكثر من 82 ألف حريق الآن في البرازيل.

وتابع: «إذا تأثرت الغابات الدارية الكثيفة بالحرائق، فإنها تحتاج لسنوات عديدة لإعادة صفوفها».

وكشف العلماء أن التجمعات البشرية التي عانت أكثر من غيرها، هي القبائل التي تعيش في منطقة الأمازون الشاسعة، والتي تحتوي على واحدة من 10 أنواع معروفة على الأرض.

وهناك عدد قياسي من الحرائق تشتعل الآن في البرازيل (معظمها في الأمازون) وفقا لأبحاث الفضاء في البلاد.

صور «سيلفي» تهدد صحة الإنسان

لندن - «القدس العربي»:

خلصت دراسة حديثة إلى أن حالة الهوس في التقاط صور «سيلفي» قد تؤدي إلى أضرار صحية للشخص، وانتهت إلى التوصية بالتقليل منها، وأوصت أنه في حال كان الشخص يريد التقاط «سيلفي» فمن الأفضل عدم تشغيل الإضاءة «الفلاش».

وحسب دراسة حديثة أجراها باحثون في جامعة «شيراز» الإيرانية للعلوم الطبيعية فإن إضاءة «الفلاش» الصادر عن الهاتف الذكي والذي تتعرض له وجوهنا أثناء التقاط صور «سيلفي» يشكل خطراً على البشرة والجلد، حيث يُنصح بعدم استخدامه عند التقاط الصور الشخصية.

واكتشف الباحثون أن ومضات الفلاش المستخدمة في معظم الهواتف الذكية يمكن أن تؤثر في قدرة الجلد على تجديد خلاياه ما يؤدي إلى الشيخوخة المبكرة وظهور التجاعيد على الوجه.

ونقلت جريدة «دايلي ميرور» البريطانية عن الدكتور نجمه أرجمادي الذي قاد فريق البحث قوله «إن التعرض المتكرر لومضات صور السيلفي، قد يسبب تلف الجلد وتسارع شيخوخته. وعلى الرغم من وجود العديد من المزايا لاستخدام مصابيح LEDs إلا أن الكثافة الطيفية القصوى لهذه المصابيح تقع في المنطقة الزرقاء. وتظهر البيانات الحالية أن التعرض للضوء الأزرق يمكن أن يؤدي إلى مستويات مختلفة من الضرر في العيون والجلد».

وتابع: «يمكن إدخال تغيير الطيف في ومضات الهواتف الذكية القائمة على LEDs كوسيلة فعالة للحد من الآثار الصحية الضارة المرتبطة بالتعرض للضوء الأزرق».

وخلص الباحثون في دراستهم إلى أن تأثير ومضات الصور الشخصية على الجلد سيء، ووجدوا أن الأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من ومضات صور سيلفي تتسبب في زعزعة استقرار جزيئات خلايا الجلد وتؤدي إلى تكوين التجاعيد.

لكن على الرغم من هذه المعلومات فقد لاحظ الباحثون أن هذا التأثير لا يظهر إلا عندما يكون الهاتف الذكي مثبتا في اتجاه الوجه، ما يعني أن خطر استخدام «الفلاش» ينحصر في صور «سيلفي» دون غيرها.

وبناء على هذه النتائج يحث الباحثون مصنعي الهواتف الذكية على استخدم تقنية «Xenon» بدلا من مصابيح «LEDs».

اختراق يُتيح للبشر الرؤية في الظلام

لندن - «القدس العربي»:

من المنتظر أن تتطور القدرات الفردية للبشر قريباً ليصبح في مقدورهم الرؤية في الظلام من دون الحاجة إلى استخدام أي إضاءة صناعية، وهو ما يمكن أن يحدث ثورة حقيقية في المجال العسكري، حيث يمكن توفير هذه الرؤية للجنود في المعارك البرية بما يجعلهم قادرين على استهداف خصومهم من دون الحاجة لاستخدام الإنارة التقليدية التي تكشف وجودهم.

وحسب دراسة علمية أجريت على الفئران، فقد تمكن أطباء من إحداث اختراق كبير عندما نجحوا في توفير الرؤية الليلية في الظلام، وهو ما يمكن أن يتم تطبيقه على البشر قريباً، حسب التقرير الذي أوردته جريدة «دايلي ميرور» البريطانية.

وكشفت الدراسة أن الجنود يمكن أن يكونوا قادرين قريبا على الرؤية في الظلام تماما مثل الأبطال الخارقين بفضل تقنية «الرؤية الليلية المدمجة».

ونجح العلماء في تمكين الفئران من رؤية طيف الأشعة تحت الحمراء عن طريق حقن جزيئات صغيرة في مقل العيون، ويخطط الفريق لفعل الشيء نفسه لدى الكلاب، ومن ثم فإن الخطوة التالية ستكون خوض التجربة على البشر.

وشبه فريق البحث الأمريكي هذه التقنية بأبطال بعض أفلام الخيال العلمي الذين يملكون قدرات على الرؤية بالأشعة السينية.

وستمكن هذه التقنية القوى العسكرية المتنوعة القيام بمهام خطيرة في الظلام من دون الحاجة إلى مناظير ليلية خاصة.

وهذا الاختراع سيجعل استكشاف الفضاء أسهل، وقد يساعد أيضا في تحسين حالة المرضى المصابين بعمى الألوان الشديد.

وقال الباحث الرئيسي في الدراسة البروفيسور جانغ هان: «استخدمنا جسيمات متناهية الصغر لإضفاء قوة عظمى حقيقية على الفئران العادية، وهي القدرة على رؤية ضوء الأشعة تحت الحمراء القريب».

ويسمح هذا للحيوان برؤية مصادر الحرارة، حيث أن جميع الكائنات ينبعث منها ضوء الأشعة تحت الحمراء، لكنه غير مرئي للعين البشرية، لذلك تستخدم كاميرات الأشعة تحت الحمراء للكشف عنها، في ما يُعرف باسم «التصوير الحراري» وهو مفيد للكشف عن الأشخاص بمن في ذلك العدو في الظلام.

وقام فريق البحث خلال الدراسة بحقن مادة نانوية خاصة تسمى «UCNP» في عيون القوارض المخبرية حول خلايا مستقبلات الضوء.

وتحتوي هذه الجسيمات النانوية على معادن أرضية نادرة تسمى الإربيوم والإيتربيوم، حسبما قاله البروفيسور هان في اجتماع للجمعية الكيميائية الأمريكية في سان دييغو.

وتحول هذه الفوتونات منخفضة الطاقة ضوء الأشعة تحت الحمراء القريب إلى ضوء أخضر أكثر كثافة يمكن أن تراه عيون القوارض.

وأظهر العديد من الاختبارات الفسيولوجية والسلوكية أن الحيوانات يمكنها رؤية ومعالجة ضوء الأشعة تحت الحمراء القريب، ذهنياً.

واستمرت الجسيمات النانوية التحويلية في عيون الفئران لمدة 10 أسابيع على الأقل، ولم تتسبب في أي آثار جانبية ملحوظة، إلا أن البروفيسور هان وزملاءه يرغبون في تحسين سلامة وحساسية المواد متناهية الصغر قبل تجربتها على البشر.

وبغض النظر عن القوة الخارقة التي تمنحها هذه التقنية الجديدة، فإنه يمكن تطبيقها أيضا في مجالات طبية هامة، مثل علاج أمراض العيون.

اكتشاف ثلاثة كواكب جديدة شبيهة بالأرض يعزز احتمالات الحياة خارج كوكبنا

لندن - «القدس العربي»:

اكتشف علماء الفلك ثلاثة كواكب صخرية جديدة بحجم الكرة الأرضية، أحدها ذو قدرة عالية على دعم الحياة يدور حول نجم على بعد 12 سنة ضوئية فقط، وهو ما يعزز من فرضيات إمكانية العيش في الفضاء الخارجي.

وتبلغ كتل الكواكب الخارجية الثلاثة ما لا يقل عن 1.4 إلى 1.8 مرة من كتلة الأرض، وتدور حول نجمها القزم الأحمر «Gilese 1061» كل ثلاثة إلى 13 يوما، حسب ما ذكرت قناة «روسيا اليوم». ويقع النجم على بعد 12 سنة ضوئية، ما يجعله في المركز العشرين من النجوم القريبة في المجموعة الشمسية، وهو من الجانب الكوني، جار قريب للغاية. وتسمى الكواكب الثلاثة التي تم اكتشافها حول القزم الأحمر: «Gliese 1016 b» و«Gliese 1016 c» و«Gliese 1016 d». ويعتقد أن الكوكب الخارجي الصخري المسمى «Gliese1016 d» هو الذي يمتلك أكثر الصفات الصالحة للعيش، حيث يقع داخل المنطقة النجمية الصالحة للسكن، والتي تتيح درجات الحرارة فيها وجود الماء السائل على السطح.

لكن لسوء الحظ فإن الأقزام الحمراء مثل تلك التي تدور حولها يمكن أن تكون مضطربة وتضرب المساحة من حولها بالإشعاعات النجمية والإشعاعية.

واستنتج العلماء أنه إذا لم يحمل الكوكب «Gliese 1016 d» أي حياة فقد يكون نجمه قتله أو جعل الحياة عليه مستحيلة.

واكتشفت الكواكب الثلاثة باستخدام السرعة الشعاعية أو طريقة «التمايل» التي تستند إلى تغيير طفيف في الطول الموجي للضوء الناجم عن جسم سماوي يمر بنجمه وتغيير كمية الضوء التي يطلقها النجم. ويواصل علماء الفلك البحث عن كواكب خارجية على أمل العثور على دليل قاطع لوجود «حياة» خارج نظامنا الشمسي.

روبوت الفضاء الروسي

روبوت بملامح بشرية يصل إلى محطة الفضاء الدولية على متن مركبة فضائية غير مأهولة

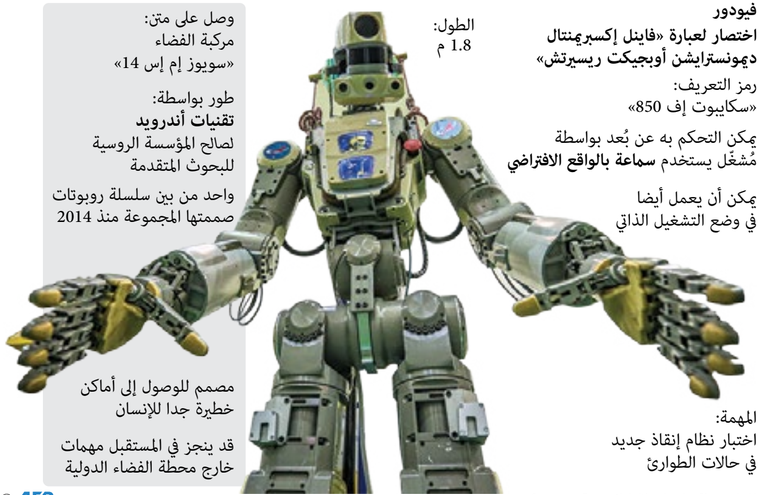

فيودور
اختصار لعبارة «فاينل إكسبرمينتال ديمونستراشن أوبجيكت ريسيرتش»

الطول: 1.8 م

رمز التعريف: «سكايبوت إف 850»

يمكن التحكم به عن بُعد بواسطة مُشغّل يستخدم **سماعة بالواقع الافتراضي**

يمكن أن يعمل أيضا في وضع التشغيل الذاتي

المهمة: اختبار نظام إنقاذ جديد في حالات الطوارئ

وصل على متن: مركبة الفضاء «سويوز إم إس 14»

طور بواسطة: **تقنيات أندرويد** لصالح المؤسسة الروسية للبحوث المتقدمة

واحد من بين سلسلة روبوتات صممتها المجموعة منذ 2014

مصمم للوصول إلى أماكن خطيرة جدا للإنسان

قد ينجز في المستقبل مهمات خارج محطة الفضاء الدولية

المصادر: مجلة «وايرد»/وسائل إعلام روسية/Space.com

© AFP

اقتصاد

تخفيض بغداد استيرادها للسلع التركية دوافع اقتصادية أم سياسية؟

بغداد – «القدس العربي»:
مصطفى العبيدي

تـزداد العلاقات التجارية بـين العراق وتركيا، تعثرا عقب إجـراءات متصاعدة اتخذتها حكومة بغداد، بوقف استيراد أكثر من 85 سلعة تركية، متسببة في إلحاق أضرار فادحة باقتصاد تركيا التي يخشى العراقيون أن تلجأ في المقابل إلى خطوات تلحق الضرر بالعراق أيضا، وسط مؤشرات بكون دوافع الإجـراءات العراقية، سياسية أكثر منها اقتصادية.

وفي الوقت الذي قررت فيه حكومة العراق في 12 تموز/يوليو الماضي، رفـع مساحة حظر استيراد البضائع التركية لتصل إلى نحو 85 سلعة، تزيد قيمتها عن المليار دولار، فقد بادرت بغداد بالمقابل، لتعويض النقص باستيراد منتجات بديلة من دول أخرى في مقدمتها إيران، مما تسبب في إلحاق أضرار كبيرة بالاقتصاد التركي، وخاصة في قطاع صـادرات البيض والـدجاج التي تعد أهم السلع المصدرة إلى العراق، وليمتد القرار العراقي لاحقا ليشمل حظر واردات المعكرونة المختلفة وملح الطعام وسلع تركية أخرى.

وأغلب الصادرات التركية للعراق هي المواد الغذائية، فإضافة إلى الدجاج وبيض المائدة، هناك الدقيق والبقوليات، والبسكويت، وزيـوت الطعام، ومنتجات الشيكولاته، ومنتجات الألبـان والمرطبات والمعكرونة وملح الطعام، مع كميات من الفوط الصحية، وحفـاضـات الأطـفـال والملابـس الجـاهـزة والأحذية، والأثاث وحتى الجوهرات، بينما تستورد تركيا النفط وجلود الأبقار والذهب الخام، بإجمالي 1.5 مليار دولار فقط.

ويحتل العراق المركز الرابع بين أكبر الدول التي تذهب إليها الصادرات التركية بإجمالي 8.7 مليار دولار عام 2017. وقد أبدى وزير الخارجية جاويش أوغلـو، خـلال زيارته للعراق، رغبة بلاده بزيادة حجم التجارة بين البلدين إلى 20 مليار دولار سنويا.

الخسائر الأكبر

وكانت وزارة الزراعة العراقية، قررت وقف استيراد الدجاج وبيض المائدة من تركيا، حيث أبلغ الوزير صالح الحسني السفير التركي ببغداد فاتح يلدز لدى استقباله في آب/أغسطس الحالي، باستمرار قرار وزارته منع استيراد الـدواجـن وبيض المـائـدة من الخارج بمبرر وفرتهما محليا، مبينا له أن قرار المنع جاء بتوجيه من الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

وإمعانا في إلـحـاق الضرر والتشدد في الموقف، فقد أعلنت وزارة الزراعة تعليمات مشددة بحظر بيع حتى الموجـود بالفعل في السوق العراقي من هذه السلع، مهددة بتعرض المخالف للمساءلة القانونية، كما أصدر أوامر لإدارة الجمارك بحظر دخول تلك المنتجات.

الحدود التركية العراقية

ويعد العراق المستورد الرئيسي للدجاج وبيض المائدة من تركيا، ولذا فقد أثر قرار حكومة بغداد بمنع الاستيراد على قطاع الدواجن في تركيا وخاصة في ولاية ماردين التي تعتمد على تصدير الدجاج والدقيق إلى العراق، ما أدى إلى انخفاض أسعار البيض بنسبة 50 في المئة، كما أدى القرار إلى إفلاس عدة شركات وتسريح آلاف العمال، وإقدام شركات الدواجن على إعدام ملايين الدجاج والبيض لعدم توفر سوق لهما وعدم امكانية خزنهما لفترات طويلة في موسم الصيف.

وقد توقعت العديد من الصحف التركية أن يكون للقرار العراقي تداعيات متعددة منها إفلاس وإغلاق عدد من شركات إنتاج الـدواجـن والـبـيض، مـع توقعات بزيادة أعداد العاطلين عن العمل في تركيا وتوقف عمل آلاف من سائقي الشاحنات التي تنقل البضائع إلى العراق. وقد استغلت المعارضة التركية هذه الأزمة سياسيا لتوجيه اتهامات للحكومة بسوء إدارة العلاقات مع العراق.

ويذكر ان حجم التجارة بين العراق وتركيا بدأ في الانخفاض منذ إغلاق الحـدود بين تركيا والإقليم ضمن تداعيات الاستفتاء على الاستقلال عام 2017 خاصة وان جميع الصادرات التركية إلى العراق تعبر من خلال الإقليم إلى باقي محافظات البلد. فبعد فترة إغلاق الحدود التي قامت بها تركيا وإيران بالاتفاق مع بغداد للضغط على حكومة الإقليم، انخفضت حركة الشاحنات التركية، كما أقـدمت سلطات الإقـلـيـم على فرض ضرائب ورسوم جديدة على البضائع التركية ما ساهم في تخفيضها لتزيد بذلك الضغوط والقيود عليها.

ونظرا لكون المنفذ الوحيد الحالي لعبور الـصـادرات التركية نحو العراق على طول الحدود البرية بين البلدين، هو محافظة دهوك شمال العراق، وفي أعقاب أزمة استفتاء إقليم كردستان على الاستقلال، فقد اتفقت تركيا والعراق على بناء معبر حدودي جديد هو أوفاكوي الذي يمر بالموصل إلى بغداد، لإنهاء تحكم الإقليم بالتجارة بين البلدين، إلا ان حكومة عادل عبد المهدي لا تبدو متحمسة للمشروع بسبب علاقتها الجيدة بحكومة الإقليم حاليا.

أضرار عكسية

وقد يعتبر البعض أن موقف حكومة بغداد من وقف استيراد بعض السلع التركية مبررا لتوفر المنتوج المحلي، إلا أن الواقع يظهر خلاف ذلك.

حيث كشف رئيس غرفة تجـارة بغداد جعفر الحمداني، في لقاء تلفزيوني، عن خسائر كبيرة لحقت بالاقتصاد العراقي جراء قرار الحكومة ايقاف استيراد بعض السلع من تركيا، مؤكدا أن «وقف استيراد البيض والدجاج سبب مشاكل في الأسواق المحلية الرئيسية وأثر على سلة غذاء المواطن والوضع الداخلي للبلد». وأشار إلى «وجود أكثر من ألف و400 تاجر يعملون في قطاع البيض والدجاج في بغداد، ويعمل لديهم نحو 15 ألف عامل، وان القرار سيؤدي إلى إغلاق الكثير من المحـال وتسريح أغلب العمال، إضافة إلى ارتفاع أسعار صندوق البيض من 32 ألف دينار عراقي إلى 95 ألف دينار يتحملها المستهلك حاليا».

وأكد انه «مع دعم المنتج المحلي ولكن وفق الآليات المتبعة عالميا بأن يكون هناك وفرة للمنتج المحلي في السوق مع افساح المجال للمنافس الأجنبي وحسب الجودة والسعر، بما يضمن حماية المستهلك ضمن قانون الحماية، كما يتيح الحرية للمستهلك باختيار السلعة وهو قانون معمول به عالمياً». وكشف الحمداني أن «العراق بحاجة إلى نحو مليون و300 ألف طن من الدجاج سنويا، بينما لا ينتج أكثر من 150 ألف طن منه» عـادّاً إياه «كارثة حقيقية».

وأكدت وزارة التخطيط العراقية أن البيض المنتج محليا لا يشكل سوى 40 في المئة من البيض المستورد، ما يتطلب توفير الكميات المطلوبة من البيض والدجاج للأسواق المحلية.

وتسببت الحرائق الكثيرة التي تعرضت لها الحقول الزراعية وحقول الدواجن في العديد من محافظات العراق هذا الصيف في حدوث شحة في الدجاج والبيض وارتفاع أسعارهما في السوق المحلية، حيث وقعت حرائق كبيرة في حقول الدواجن في الديوانية وديالى وغيرها من المناطق، تسببت في خسائر كبيرة لمربي الدواجن.

ويؤكد تجـار عراقيون أن قـرار حكومة بغداد تقليل استيراد السلع التركية، له دوافع سياسية ظهرت من خلال زيـادة استيراد السلع الإيرانية لمساعدتها في فك حصارها حيث يتواصل الدجاج والبيض عبور الحدود العراقية الإيرانية رغم قرار منع استيرادها.

الرد التركي

ويرى المراقبون أن أخطاء حكومة بغداد فـي التعامل مـع الجـارة تركيا وإهـمـال مصالحها لتحقيق أهـداف سياسية، دفع الأخيرة إلى مواقف وإجـراءات كثيرة منها قيام القوات التركية بشن حملات واسعة منذ أشهر للاحقة عناصر وقيادات حزب العمال التركي المتمركز في شمال العراق منذ سنوات، وخاصة بعد تنفيذ حزب العمال عدة عمليات إرهابية في الداخل التركي إضافة إلى قيامه بخطف تركيين في السليمانية واغتيال دبلوماسي تركي في أربيل مؤخرا، وبعد التأكد من تقصير وعجز حكومتي بغداد وأربيل في الحد من النشاطات الإرهابية للحزب المعارض. حيث نجحت تلك الحملات في اقتناص العديد من قـادة الحـزب في معاقلهم في جبال قنديل وسنجار، كما تمكنت من اعتقال آخرين منهم.

وفي ملف مياه الأنهار المشتركة بين العراق وتركيا، فإن للأخيرة قدرة كبيرة على التحكم بمستوى المياه التي تدخل العراق عبر نهري الفرات ودجلة، من خلال إقامتها عشرات السدود الكبيرة عليهما منذ سنوات.

وكان أوغلو الممثل الخاص للرئيس التركي رجب طيب اردوغـان، زار العراق قبل أشهر لبحث مشكلة المياه مع إبداء حرص حكومته على الاتفاق مع الحكومة العراقية لتوفير احتياجات البلد من المياه، بالتزامن مع بدء عمل سد اليسو على نهر دجلة في الأراضي التركية الذي سبق للرئيس التركي اردوغان ان أجـل افتتاحه لعدم الاضـرار بالجانب الـعـراقي أثـنـاء موسـم الجـفـاف الماضي. وتقول تركيا إن سد اليسو الذي يبلغ طوله 1820 وارتفاعه 135 مترا ويغطي مساحة 300 كيلومتر مربع، سيكون مصدرا مهما للطاقة الكهرومائية ويساهم في تطوير منطقة واسعة من تركيا.

وأقر وزير الموارد المائية العراقي السابق محسن الشمري أن «سـاسـة الـعـراق غير قادرين على التفاوض مع الجانب التركي حول ملف المياه، وان العراق سيعاني خلال السنوات المقبلة من مشاكل مائية كبيرة بسبب سد اليسو التركي».

وأشـارت المصادر التركية إلى أن أنقرة تبحث عن طرق لزيادة مشترياتها من النفط العراقي للتعويض عن النفط الإيراني لتجنب العقوبات الأمريكية، وأن تركيا تدرس امكانية استيراد النفط الخام عن طريق ميناء البصرة جنوبي العراق، إضافة لزيادة الإمدادات عبر خط أنابيب كركوك – ميناء جيهان التركي المطل على البحر المتوسط.

كـمـا ويـبـدو أن الـعـلاقـة بـين البلدين الجارين العراق وتركيا تستند إلى مقومات استراتيجية ومصالح متبادلة متعددة الوجوه، ومن المؤكد أن اتخاذ بغداد مواقف مؤذية للاقتصاد التركي بدون مبرر مقنع، هو انضمام إلى دول الضغط على الحكومة التركية الحالية، وخدمة لطرف معين ما يكون له تأثيرات تلقي بضلالها السلبية على الاقتصاد التركي إضافة إلى التداعيات التي تلقيها على مواقف الحكومة التركية السياسية ازاء قضايا المنطقة، وأن حكومة بغداد تجازف من خلال التضحية بمصالح الجارة تركيا بخسارة شريك له القدرة على الرد بإجراءات متاحة يمكن ان تزيد من أزمات العراق المزمنة، ولتؤكد أن مواقف حكومة بغداد بعيدة عن الحكمة أو إدراك أبسط متطلبات وضـرورات بناء علاقات متكافئة مشتركة تخدم البلدين الجارين.

تودي إلى هبوط نشاطها الصناعي

ترامب يفرض اليوم رسوماً جمركيّة جديدة على بضائع صينية

لندن – «القدس العربي» – وكالات:

أكد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أنّ رسومًا جمركيّة إضافيّة بالغة 15 في المئة على بضائع صينيّة بقيمة مليارات الدولارات ستدخل حيّز التنفيذ اليوم الأحد.

وردا على أسئلة صحافيين بشأن إمكان تأجيل تلك الرسوم إلى تاريخ لاحق، أجاب الرئيس الأمريكي «لقد تمّ تثبيتها».

وستدخل الرسوم حيّز التنفيذ الساعة 00.01 بالتوقيت المحلي (04.01 بتوقيت غرينتش) حسب مكتب الممثل التجاري.

وتشمل البضائع المستهدفة مجموعةً واسعة ولا سيما في قطاعات الأغذية والنسيج والأثاث.

ويخوض الطرفان منذ عام نزاعا تجاريا مع تبادل فرض رسوم جمركيّة على مليارات الدولارات من البضائع.

ويبدو أنّ المفاوضات بلغت طريقًا مسدودًا. غير أنّ ترامب قال مجدّدًا إنّ هناك محادثات جارية بين واشنطن وبكين.

وأضاف «ليس باستطاعتي قول أيّ شيء، لكنّنا نتحدّث مع الصين. لدينا محادثات مع الصين. ومن المقرّر عقد اجتماعات. هناك اتّصالات جارية».

وأردف «أعتقد أنّ اجتماع أيلول/سبتمبر لا يزال قائمًا. لم يتمّ إلغاؤه. سنرى ما سيحدث».

لكنّ الجـانـب الصيني لـم يـؤكّـد حتى الآن عقد محادثات. وأشـار ترامب إلى أنّ «13 في المئة من الشركات (الأمريكية) ستُغادر الصين بمستقبل قريب» مضيفا «أعتقد أنّ الرقم سيكون أعلى بكثير».

وفرضت الولايات المتحدة على مراحل، رسوما على بضائع بقيمة 250 مليار دولار، من إجمالي صادرات الصين إلى البلاد، والتي تراوح بين 550 و600 مليار دولار سنويا.

ومرارا، جددت الصين تهديدها بتطبيق «إجراءات مضادة» في نزاعها التجاري مع الولايات المتحدة، في حال مضت واشنطن في سياساتها التجارية.

وفي مايو/أيار الماضي، قررت الولايات المتحدة رفع الرسوم الجمركية من 10 في المئة إلى 25 في المئة على بضائع صينية بأكثر من 200 مليار دولار؛ ما دفع بكين للرد بفرض رسوم على بضائع أمريكية بقيمة 60 مليار دولار اعتبارا من مطلع حزيران/يونيو الماضي.

وقـررت الصين استئناف فرض رسـوم إضافية بنسبة 25 في المئة أو 5 في المئة على السيارات وقطع غيار السيارات الأمريكية الصنع، بدء من منتصف ديسمبر المقبل.

ومـع تصاعد الضغوط التجارية انكمش نشاط المصانع في الصين في آب/أغسطس للشهر الرابع على التوالي مع تصعيد الولايات المتحدة ضغوطها التجارية واستمرار ضعف الطلب المحلي، مما يشير إلى مزيد من التباطؤ في ثاني أكبر اقتصاد في العالم.

وقد يغذي استمرار الضعف في قطاع التصنيع الضخم في الصين التكهنات بأن بكين بحاجة لأن تقدم مزيدا من الحوافز على نحو أسرع لتجنب أكبر تراجع في اقتصادها في عقود.

وقال مكتب الإحصاءات الوطني أمس السبت إن مؤشر مديري المشتريات هبط إلى 49.5 نقطة في آب/أغسطس من 49.7 في تموز/يوليو، وذلك دون حاجز 50 نقطة الذي يفصل بين النمو والانكماش.

وأظهر مسح أن المحللين توقعوا أن يبقى المؤشر في آب/أغسطس دون تغيير عن الشهر السابق له.

وأظهر المؤشر أن الخلافات التجارية المتنامية مع الولايات المتحدة فضلا عن ضعف الطلب العالمي يواصلان التأثير سلبا على الصادرات الصينية.

وانخفضت طلبيات التصدير للشهر 15 على التوالي في آب/أغسطس، وإن كانت بوتيرة أبطأ، مع ارتفاع المؤشر الفرعي إلى 47.2 من 46.9 في تموز/يوليو.

واستمر إجمالي الطلبيات الجديدة– من الداخل والخارج– في التراجع أيضا، مما يشير إلى أن الطلب المحلي لا يزال ضعيفا على الرغم مجموعة الإجراءات الداعمة للنمو التي اتخذتها الحكومة خلال العام الماضي.

وشهد آب/أغسطس تصاعدا كبيرا في الخلاف التجاري بين بكين وواشنطن مع إعلان إدارة الرئيس دونالد ترامب مطلع هذا الشهر أنه سيفرض رسوما جمركية جديدة على السلع الصينية اعتبارا من أول أيلول/سبتمبر.

وبعدما ردت الصين بإجراءات مماثلة، قال ترامب إن الرسوم القائمة ستزيد في الشهور المقبلة. وتغطي التحركات الأمريكية العقابية مجتمعة بصورة فعلية جميع الصادرات الصينية للولايات المتحدة.

انتقادات لأسلوب الحكومة الألمانية في التعامل مع خطط التوقف عن استخدام الفحم

اتهمت اتـحـادات اقتصادية كبيرة واتحاد النقابات العمالية الحكومة الألمانية في خطاب بإغفال التنسيق في خطط التوقف عن استخدام الفحم في توليد الطاقة.

وفـي خـطـاب لـوزيـر الاقـتـصـاد الألماني، بيتر ألتماير، كتب رئيس اتحاد الصناعات الألـمـانـي، ديـتـر كيمف، ورئـيـس غـرفـة الـتـجـارة والـصـناعة الألمانية إريك شفايتسر: «التصورات الحالية لـلـوزارة عـن وقـف محطات الطاقة العاملة بالفحم عن العمل تثير مخاوفنا».

وشـارك في توقيع الخطاب المدير التنفيذي الرئيسي للاتحاد الألماني لأرباب العمل، شتيفن كامبتر، وعضو مجلس إدارة الاتحاد الألماني للنقابات العمالية، شتيفان كروتسل.

وحـسـب الـخـطـاب، الـذي نشرته صحيفة «فيلت» الألمانية الصادرة أمس السبت، يتهم الموقعون الحكومة باستبعاد أجـزاء مهمة من توصيات اللجنة الحكومية الخاصة بقضية الفحم، والتي صيغت كـ«حزمة شاملة» خلال التخطيط لقانون جديد بشأن وقف استخدام الفحم في توليد الطاقة.

وجـاء في الخـطـاب: «عندما تركز وزارة الاقتصاد الألمانية على تشريع بشأن التوقف عن استخدام الفحم، وتعلن أنها غير مختصة بموضوع تخفيض الأعـبـاء الـخـاصـة بأسعار الطاقة، فإن ذلك يتعارض مع التعهد بتطبيق توصـيـات اللجنة كحزمة شاملة». ومن المقرر أن تتوقف ألمانيا تدريجيا عن استخدام الفحم الملوث للبيئة في إنتاج الطاقة بحلول عام 2038، حسبما قررت اللجنة الحكومية، التي ضمت ممثلين عن الأوساط الاقتصادية والنقابات ونشطاء حماية البيئة، نهاية كانون الثاني/يناير الماضي.

وكان مجلس الـوزراء الألماني وافق يوم الأربعاء الماضي على مشروع قانون لإعـادة هيكلة المناطق التي ستتضرر بسبب التوقف التدريجي عن استخدام الفحم في توليد الطاقة.

وينص مشروع القانون على تقديم مسـاعـدات بالمليارات لهذه المناطق في ولايـات براندنبورغ وسكسونيا وسكسونيا–أنهالت وشمال الراين–ويستفاليا، حيث تعتمد آلاف الوظائف على قطاع الفحم. (د ب أ)

مدن وآثار

مدينة طويريج العراقية روضة الفرات الأوسط

صادق الطائي

طويريج أو الهندية، من مدن الفرات الأوسط، مثلها كمثل العشرات وربما المئات من مدن العراق، فهي مدينة ذات جذور تاريخية عريقة، اندرست في حقب زمنية، إلا إنها عادت للحياة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر عبر ما شهدته هذه الحقبة من إنشاء المدن العراقية واستقرار القبائل فيها.

المدينة غافية على ضفتي نهر الهندية، وسط المسافة بين مركزي محافظة كربلاء وبابل، وهي اليوم مركز قضاء، تبعد عن كربلاء 20 كم وعن الحلة مركز محافظة بابل 24 كم، ويبلغ عدد سكانها حوالي 320 ألف نسمة حسب تقديرات وزارة التخطيط العراقية لعام 2014.

أصل التسمية

للمدينة، كما تقدم، اسمان، ولكل منهما قصص وحكايات، بعضها مثبت وتاريخي، وبعضها يدور في فلك التكهنات والاحتمالات وحتى الترهات. فطويريج اسم قديم، وهو كما يبدو وعلى الطريقة العراقية مصغر لكلمة «طريج» التي تعني طريق بعد قلب قافها جيما حسب لهجة أهل العراق، وربما عنى من أطلق الاسم على المدينة انها طريق صغير أو مختصر لمدينة كربلاء المقدسة.

ويذكر د. حسين الهنداوي في كتابه «الهندية – طويريج: بيتنا وبستان بابل» عن أصل اسم مدينته طويريج فيقول؛ «إن طويريج أو الجرف العالي، مفردة قديمة جدا في رأينا، وقد تعود إلى أوائل الأزمنة الحضارية العراقية، وأصلها «طوريج» أو «طويريك» ومصدرها طور أو «طار» وتعني في اللغة البابلية القديمة ما علا عن حد الماء من الأرض، أي الجرف المرتفع عن مجرى الماء. وهو ما تؤكده دلالة الأرض المرتفعة في التسمية القرآنية طور سينين».

بينما ينقل المحقق والمؤرخ العراقي د. مصطفى جواد عن أحد الباحثين في تاريخ المدينة قوله إن «كل ما يمكن أن يقال عن تاريخها القديم، إنها كانت من أمهات مدن طسوج النهرين الواقعة على ضفاف نهر بالاكوباس (الفرات القديم) وعلى أرضها معبد للعبادة والصلاة، كما يستدل من الأسماء التي عرفت بها قديماً كعمورا، ماريا، صفورا، وقد كثرت حولها المقابر. كما عثر على جثث موتى داخل آوان خزفية يعود تاريخها إلى قبل العهد المسيحي، وأما الأقوام التي سكنوها فكانوا يعولون على الزراعة لخصوبة تربتها وغزارة مائها لكثرة العيون التي كانت منتشرة في أرجائها».

كما يذكر بعض الباحثين ومنهم المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني ان تسمية طويريج كانت تعني لدى البابليين «طريق المبتغى» لزيارة كربلاء، التي وقبل ان تصبح طريقا لزيارة الإمام الحسين (ع) كانت مزارا مقدسا. وقد أورد الباحث اللغوي والأديب العراقي أنستاس ماري الكرملي في مقال له «إن بعض الباحثين يذكرون إن كلمة كربلاء منحوتة من كلمتي (كرب) و(إل) اي (حرم الله) أو (قدس الله) نظرا لأن (إل) كان معناها (إله) عند الساميين، لذا فهي تتضمن بالضرورة موقعا مقدسا أي (قرب الله) وان «كرب» البابلية قريبة جدا من الكلمة العربية قرب».

أما التسمية الثانية التي أطلقت على المدينة حتى باتت التسمية الرسمية لها فهي «الهندية». وهذه التسمية تكاد تكون معروفة بشكل واسع، إذ يذكر المؤرخ عبد الرزاق الحسني في كتابه «العراق قديما وحديثا» إن «الهندية سميت بهذا الاسم لوقوع أراضيها على ضفتي نهر الهندية، الذي أنفق على حفره المهراجا الهندي المعروف آصف الدولة جد النواب إقبال الدولة – وهو أحد الأمراء الهنود – عام 1793 لإيصال الماء الى مدينة النجف». ونتيجة هذا العمل الخيري، أطلق على النهر اسم «نهر الهندية» تيمنا بالمنحة الهندية التي تم المشروع بفضلها. وقد أرخ أدباء النجف الحدث الكبير بحساب الجمل حين اختتموا بيت الشعر الذي أرخ الحدث بقولهم: «صدقة جارية» التي تساوي بحساب الحروف 1208 هـ والتي تقابل 1793م.

كما أن هناك رأيا لا يحتاج حتى إلى تفنيد نتيجة عدم منطقيته، لكن ارتأينا ايراده لشيوعه على منصات التواصل الاجتماعي، إذ يذكر البعض ان المدينة اكتسبت اسمها من تحريف لجملة «Two Way Reach» الإنكليزيّة، التي وضعتها القوات البريطانية كيافطة إبان احتلال العراق، لأن المدينة كانت صلة الوصل بين طريقين يتجّه الأوّل إلى الحلّة شرقاً والثّاني إلى كربلاء غرباً، فأصبح اسم المدينة تويريج أولا ثم تحرف الى طويريج. والمعروف تاريخيا أن هذا الاسم أقدم من ذلك بكثير.

كانت من أمهات مدن طسوج النهرين الواقعة على ضفاف الفرات القديم وعلى أرضها معبد للعبادة والصلاة

ركضة «طويريج»

وإذا تكلمنا عن طويريج فيجب أن نذكر طقسا من طقوس العزاء الحسيني ارتبط بهذه المدينة وهو «ركضة طويريج» وهذا الطقس يقام في المناحات على استشهاد الإمام الحسين (ع) وأهل بيته، وقد ابتدأ كما يرد في تأريخ المناحات الحسينية زمن السيد صالح القزويني، واستمر في ذريته. والركضة عادة تبدأ من قنطرة السلام التي تقع على الطريق الموصل بين طويريج وكربلاء، لذلك سميت الممارسة بـ«ركضة طويريج». وهذه القنطرة تبعد حوالي خمسة كيلومترات عن مركز مدينة كربلاء المتمثل بمقامي الإمام الحسين (ع) وأخيه العباس (ع)، وتبدأ هذه الممارسة بعد أذان الظهر بالضبط وهو الوقت الذي سقط فيه الإمام الحسين (ع) شهيداً على رمضاء كربلاء. وكأن هذه الحشود الراكضة جاءت لنصرة الحسين (ع) لكنها وصلت متأخرة ولم تستطع الوصول لنجدته والقتال معه ضد خصومه. ويشارك الرجال فقط في هذه الركضة، اذ يلطمون على الرؤوس ويندادون (حسين ... حسين) فقط، فينطلقون من القنطرة مرورا بشارع الجمهورية فشارع الإمام الحسين (ع) ثم يدخلون إلى الضريح من باب القبلة ويخرجون من الباب المقابل لمرقد العباس (ع) فيجتازون المنطقة الفاصلة بين الحرمين إلى ضريح العباس (ع) وعند خروجهم من الضريح تكون قد انتهت هذه الممارسة الحسينية.

أسواقها مستقيمة طويلة

يصف المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني مدينة الهندية في منتصف القرن الماضي في أحد كتبه فيقول؛ «هي روضة مدن الفرات الأوسط، متوسطة في عمرانها، جميلة بمناظرها، حسنة بموقعها، تمتد على ضفة النهر اليمنى، ويربطها بالضفة اليسرى التي بدأت العمارة فيها مؤخرا، جسر حديدي متين بني عام 1955، وتحيط بها الحقول والبساتين التي تسقيها الجداول والنهيرات الكثيرة. أسواقها مستقيمة طويلة وشوارعها عريضة مزفتة ورصيفها الممتد على ضفة النهر اليمنى من أجمل ما تقع عليه العين».

ويذكر د. علي الوردي في كتابه «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق» أن مدينة الهندية مع مجموعة من المدن كانت قد انشئت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. ونتيجة لخصوبة أرض المدينة ووفرة المياه التي تحيط بها عبر مجموعة الأنهر والقنوات التي وفرتها سدة الهندية التي أنشأت عام 1913 أصبحت الهندية بستان الفرات الأوسط، وقد اشتهرت بزراعة الحبوب مثل الحنطة والشعير والأرز بأنواعه المشهورة مثل العنبر والنعيمة والحويزاوي، كما أنها المدينة الوحيدة في وسط العراق التي تشتهر بزراعة التبغ وبكميات تجارية تجهز بها مصانع السجائر، وبساتينها مليئة بالنخيل الذي يضلل تحته أشجار الحمضيات والتين والرمان.

وعلى هامش اقتصاد المدينة الزراعي أقيم نشاط صناعي مرتبط بما تنتجه زراعيا، فشيدت عشرات المضارب التي أقيمت على ضفاف النهر ليسهل شحن منتجاتها من الأرز وتسويقها إلى مختلف مدن العراق، وحتى إلى البصرة ميناء العراق، ومنه للتصدير لبقية دول العالم.

ويمكن وصف حال سوق المدينة بأنه قبل عام1940 كان عبارة عن دكاكين قليلة متباعدة يمتهن أصحابها الحرف البسيطة كصناعة العقال العربي بالإضافة لبعض النشاطات التجارية، وقد انتشرت في تلك الفترة الخانات الكبيرة لتجارة الحبوب والتمور. وكان السوق مكشوفا وغير مسقف حتى بداية الأربعينيات من القرن الماضي، ونتيجة وجود أقلية يهودية في المدينة حتى نهاية الأربعينيات، يمكننا ملاحظة نشاطهم في سوقها آنذاك، فقد كانوا تجارا نشيطين يمتلكون محلات بيع الأقمشة والكماليات وبعض الوكالات التجارية. لكن سوق المدينة اليوم اختلف كثيرا عما كان عليه قبل أكثر من نصف قرن، إذ كان عدد المحال محدوداً والبضاعة تختلف عن المعروضة حاليا لأن السكان في تزايد مستمر، والأوضاع في تطور مستمر، وقد انقرضت الكثير من المهن التي كانت سائدة أيام زمان وحلت محلها محال الكمبيوتر والموبايل.

سكانها ورموزها

سكن المدينة العديد من القبائل العربية، كما كانت تضم بين سكانها أقليات يهودية ومسيحية ومندائية، تناقص وجودها بالتدريج حتى كاد يختفي في الوقت الحاضر. ومن أبرز القبائل التي سكنتها آل فتله وبني حسن وكريط وجليحة وخفاجة والمعامرة والجبور والبو سلطان وزبيد، ونتيجة الوفرة التي عاشتها المدينة فقد غلب على أهلها طبيعة الطيبة والأريحية والكرم والضيافة والابتعاد عن التشنج والعصبية القبلية والعنصرية. وقد برز من بين أبنائها الكثير من الرموز العراقية وفي مختلف المجالات، إذ يذكر د. حسين الهنداوي في كتابه عن المدينة عددا منهم مثل الشاعر وأحد قادة الثورة العراقية الكبرى عام 1920 الشيخ محمد حسن ابو المحاسن، الذي استقال من الوزارة عام 1924 احتجاجا على استمرار الانتداب البريطاني على العراق، والفريق الركن محمد رفيق عارف، رئيس أركان الجيش العراقي ورئيس أركان جيش الاتحاد العربي الذي ضم العراق والأردن.

ومن أبناء المدينة الذين حملوا اسمها أحد أهم أعمدة الغناء الريفي العراقي، الشاعر الفنان عبد الأمير طويرجاوي، ورائد المسرح الإذاعي العراقي الفنان ابراهيم الهنداوي، وأمير التمرد في الشعر العراقي الحديث حسين مردان، والموسيقي المجدد الفنان محمد جواد أموري أحد الذين منحوا الأغنية العراقية نكهتها المميزة، والنحات المتألق أحمد البحراني الذي خرج بالنحت العراقي الى آفاق عالمية واثقة. بالإضافة إلى عشرات المفكرين والعلماء والفقهاء والخطباء والفنانين والكتاب والرياضيين وحتى كبار القادة السياسيين والعسكريين من مختلف التيارات الأيديولوجية الذين عرفهم تاريخ العراق الحديث.

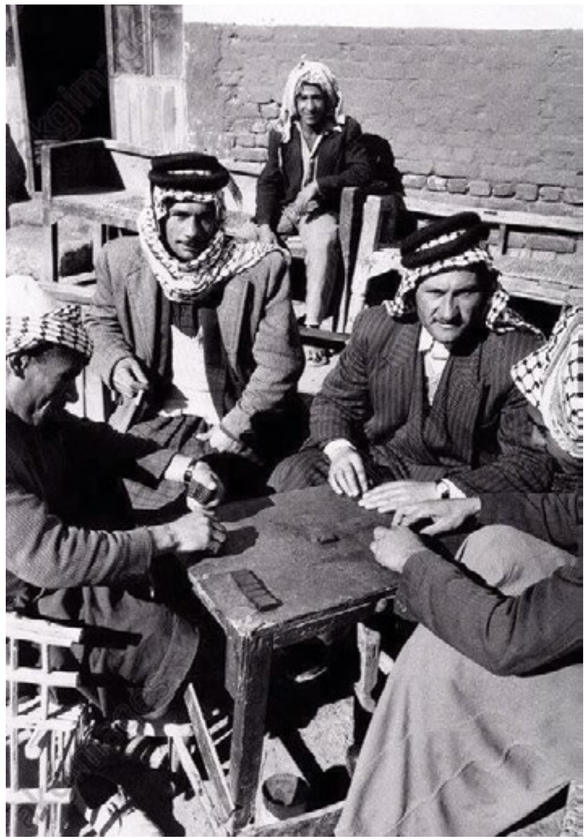

رياضة

بعد قرابة العام

لماذا لم يعد مورينو مرغوباً أو محبوباً عند من وقع في عشقه؟

لندن – «القدس العربي»:
عادل منصور

طال غياب المثير للجدل دائما وأبدا جوزيه مورينيو عن ملاعب كرة القدم، منذ إقالته من تدريب مانشستر يونايتد من بداية فصل الشتاء الأخير، بعد سلسلة من النتائج الكارثية مع الشياطين الحمر، ليقترب من دخول عامه الأول بلا عمل ولا شغف ولا «قصف جبهات» لخصومه في الفرق الأخرى بقنابل التصريحات المعروفة عنه، فيما نصفه عبر الصفحات والمواقع الكروية بـ«الشو الإعلامي»، الذي ساعده كثيرا في بداية مشواره التدريبي ليُدشن إمبراطوريته كمدرب عنيد وصعب المراس بالنسبة لمشجعي فرقه، ومغرور ومتكبر بالنسبة للمنافسين، وفي الوقت ذاته تجد غريمه قبل محبه يتهافت على سماع تصريحاته وتتبع جُل أخباره، وأيضا لا تجد أحد يختلف على أنه مدرب عالي بالمعنى الحرفي للكلمة وصائد للألقاب بامتياز، لكن للمرة الأولى عزيزي القارئ، يُحرم عالم كرة القدم بأكمله من هذه الإثارة لمدة تقترب من العام، منذ أن ذاع صيته مع بورتو حين قاده لمعجزة الفوز بدوري أبطال أوروبا على حساب موناكو في نسخة 2004.

لمّ البكاء يا جو؟

في منتصف أغسطس/آب المنقضي، انتشر مقطع فيديو على مواقع التواصل لـ«سبيشال وان»، وهو يُحاول التغلب على دموعه في سؤال رده على سؤال لمحاور صحيفة «غازيتا ديلو سبورت» الإيطالية عن حياته بدون شغف كرة القدم، وكالعادة أعرب عن حزنه الشديد لابتعاده كل هذه المدة عن ملاعب كرة القدم، قائلا: «في اللحظة الأولى التي دخلت فيها كرة القدم الاحترافية وقعت في حبها، أما الآن وبعد التوقف، الأمر يبدو صعبا وأتألم كثيرا من أجل ذلك لأنني افتقدها»، وكما أشرنا في المقدمة العريضة، كرة القدم تفتقد توابل «لو»، لكن يا ترى، هل واجه مورينيو نفسه بالحقيقة؟ أو بالأحرى هل سأل نفسه لماذا لم تتهافت عليه الأندية الكبرى كما كان في الماضي القريب؟ كل ما في الأمر أنه تلقى عرضا لخلافة رافا بنيتيز في نيوكاسل يونايتد، وسريعا أطلق العنان لنفسه في الصحف والمواقع، بالتقليل من العرض مقارنة باسمه وتاريخه، صحيح هو لم يقل ذلك صراحة، لكن تلميحاته كانت تقول ذلك، وقبلها بشهر أو اثنين، أدرج اسمه ضمن قائمة المرشحين لتدريب ريال مدريد بعد الإطاحة بسانتياغو سولاري في مارس/آذار، بعد الخروج من كل البطولات في ظرف 6 أيام، قبل أن يستقر رئيس النادي فلورنتينو بيريز على زين الدين زيدان لإنقاذ الموقف في نهاية الموسم، وهذا يعكس انخفاض أسهمه في سوق المدربين، حتى لو كانت الفرص شبه مغلقة لاستقرار الأندية الكبيرة مع مدربيها، لكن دعونا لا ننسى أنه في فصل الصيف كانت هناك أماكن كثيرة متاحة سواء في بلاد الضباب أو إيطاليا على وجه الخصوص، تريد أمثلة؟ ناديه السابق تشلسي كان يفكر في مدرب بعد الاستقرار على رحيل ماوريسيو ساري، مع ذلك غامروا بهدافهم الأسطوري فرانك لامبارد بعد تجربته مع دربي كاونتي، أما في جنة كرة القدم فالثلاثة الكبار يوفنتوس والإنتر وميلان كانوا متاحين، وبالأخص ناديه السابق الذي تُوج معه بالثلاثية التاريخية «الدوري والكأس ودوري الأبطال» عام 2010، مع ذلك لم يفكر أحد في الاستعانة به!

البراغماتية تحكم

يقول مؤسس هذا المذهب الفلسفي شارل ساندريز بيرس في كتابه « Maxim of Pragmatism»، إن البراغماتية «تقارب النظريات والمعتقدات وتطبيقها بنجاح عملي أو التعامل مع الأمور بطريقة واقعية تستند إلى اعتبارات عملية وليست نظرية»، وكأنه يُحدثنا منذ أكثر من 100 عام عن أنطونيو كونتي وجوزيه مورينيو في عصرنا الحالي، وقبلهما مؤسسو البراغماتية في عالم كرة القدم في أوائل القرن العشرين هربرت تشامبان مبتكر طريقة 2–3–5 التي كانت تعرف في عصرها «W-M»، والتي حقق بها هربرت نجاحات مدوية مع هدرسفيلد تاون وآرسنال، إلى جاء الابتكار الآخر «الكاتاناتشو» مع كارل رابان، الذي احتل إيطاليا وأوروبا بأسلوبه المعقد مع ميلان، وبدرجة أكبر من الإنتر، وهذا النوع من المدربين أو البشر عموما، من الصعب أو شبه المستحيل إقناعهم بالتنازل عن فلسفتهم، فقط عجلة الزمن وتطور الآخر بدون التطوير من أنفسهم، هو ما يُجبر القليل منهم عن التنازل نوعا ما، أما الأغلبية عادة يحتفظون بقناعاتهم حتى لو كان الثمن التوقف عند أطلال الماضي المجيد، وبالنسبة للعقرب كونتي، فمن حسن حظه أنه بعيد عن الخطر في الوقت الراهن، بتواجده في دوري لا يوجد فيه ملوك كرة القدم الحديثة بيب غواردیولا ويورغن كلوب، وكان محظوظا بما فيه الكفاية، باستغلال عدم اعتياد الاثنين على البريميرليغ في ثاني مواسم الألماني مع الريدز وأول موسم للفيلسوف مع السكاي بلوز، وخطف لقب البريميرليغ في موسمه الاستثنائي مع البلوز، لكن في الموسم التالي، عانى الأمرين لدرجة الفشل في الحصول على مركز مؤهل لدوري الأبطال، على عكس مورينيو، الذي وضع قدميه مبكرا في ألغام الخط والمتجرات، عندما قرر منافسة غواردیولا في صراع ريال مدريد وبرشلونة، لم يكن يعرف أنه يكتب أول فصل في رواية انكشاف أسلوبه، الحافلة القاتلة، ذاك الأسلوب الذي حقق به نجاحات مدوية على مدار عقد من الزمن، تماما كما استخدم تشامبان وارابان طرقهم الخاصة في العصور القديمة، ثم جاءت الضربة القاضية في إنكلترا، بظهوره شبه عاجزا في مبارياته ضد غواردیولا وأيضا كلوب، حتى فلسفته التي قاد بها مانشستر يونايتد، كانت محط انتقادات بالنسبة للجماهير، حتى بعدما أنقذ رقبته في الموسم الأول بالفوز بكأس الرابطة واليوروبا ليغ، لأن مشجعي «أولد ترافورد»، لا يختلفون عن مشجعي «سانتياغو بيرنابيو» و«كامب نو»، يريدون الجمع بين كرة القدم الممتعة والانتصارات، وهذا لا يتماشى مع نظرية صاحبنا.

مؤشرات سابقة

رغم تتويجه في ولايته الثانية مع تشلسي بلقب الدوري الإنكليزي الممتاز موسم 2014–2015، بيد أنه كان واضحا أن أفكاره لم تعد تنطلي على المنافسين، وكان الجميع، بمن فيهم جمهور البلوز، يُطالبه بتعديل أفكاره، ليس فقط لتحسين شكل الفريق، بل لمجاراة تطور أفكار الآخرين، لكن ما حدث أن البراغماتية تجسدت في عناده مع الجميع، إلى أن دفع الثمن بالاستغناء عنه بعد أقل من 6 أشهر من تتويجه بلقب الدوري، وتكرر الموقف بشكل كربوني مع مانشستر يونايتد، الفارق الوحيد أن مستوى الضغط كان أعلى بحكم الشعبية الجارفة للشياطين الحمر، ونتذكر جميعا كم الانتقادات التي كان يتعرض لها بوضع مشروعه مع اليونايتد في مقارنة مع مُحطم آماله بيب غواردیولا، إلا أنه لم يُغير قناعاته وفلسفته (كرة القدم القبيحة)، حتى بعد تغير شكل المنافسة في بلاد الضباب، بظهور توتنهام بشكله الجديد مع ماوريسيو بوتشيتينو، وارتفاع عدد الفرق المنافسة لستة بدلا من أربعة أو ثلاثة عندما وضع حجر أساس أسطورته في البريميرليغ في منتصف العقد الأول من الألفية الجديد، وما زاد الطين بلة، اتساع الفجوة بين أفكاره وأفكار جيل «الآيفون»، وتجلى ذلك في طريقه الحادة جدا بدون مبرر مع طبيبة تشلسي إيفا كارينيرو، عندما ركضت لعلاج أحد اللاعبين المصابين والفريق بعشرة لاعبين، وآنذاك ترك كل شيء وألقى باللوم على الطبيبة، والأسوأ بطبيعة الحال كان عداؤه لجل اللاعبين، والدليل على ذلك اتهامهم بالخيانة قبل ساعات من إقالته، نفس ما فعله مع بول بوغبا ولاعبي مانشستر يونايتد الشباب بالذات، معتقدا أن طريقة «الولاء والطاعة»، التي كان يتعامل بها مع أساطير مثل فرانك لامبارد وجون تيري وديديه دروغبا في تشلسي، وماتيراتزي وصاموييل إيتو وديفيغو ميليتو وويسلي شنايدر وبقية رجال الثلاثة، ستجدي نفعا مع الأجيال الجديدة، وفي حقيقة الأمر، هذه الطريقة القاسية مع اللاعبين الحاليين، ساهمت بشكل كبير في إخفاقاته الأخيرة، لأن هؤلاء ليسوا من النوعية المفضلة بالنسبة له، المستعدين للموت من أجل مورينيو، كما قالها أكثر من لاعب تدرب تحت قيادته، أشهرهم ماتيراتزي وديديه دروغبا، لذا عليه تَقبل الأمر الواقع بإيجاد طريقة أخرى غير «الولاء والطاعة» للتعامل مع نجوم الجيل الحالي، الذين أقر بقوتهم مؤخرا، بعد اتجاهه للعمل في مجال التحليل، باعتراف واضح وصريح عبر شاشة «بي ان سبورتس»، بأن اللاعبين في الوقت الراهن باتوا أقوى من المدربين، وأحيانا من الأندية، وهذا عزيزي جوزيه، بفضل النقلة النوعية في عالم التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي، التي عززت بدورها قوة اللاعبين، خصوصا النجوم الذين يتابعهم عشرات الملايين في مختلف أنحاء العالم، ومن ينكر قوة وتأثير «السوشيال ميديا» في حياتنا اليومية، مؤكد لا يعيش معنا على هذا الكوكب.

والحل؟

بغرابة تكاد تصل لحد عدم التصديق، رفض المدرب البرتغالي أفضل الحلول المتاحة كخطوة أولى لعودته مرة أخرى، إلى مكانته وصورتها التي رسمها لنفسه على مدار 15 عاما، حين تمنع على نيوكاسل (جيوش المدينة) قبل بداية الموسم، كان بإمكانه أن يقبل العرض ليضرب عصفورين بحجر واحد، منها لن يبتعد عن معشوقته التي وقع في غرامها منذ يومه الأول في عالم الاحتراف، وأيضا كان سيعطي نفسه فرصة جديدة للتعلم من أخطائه مع تشلسي ومانشستر يونايتد، بتجربة أقل ضغطا من كل تجاربه السابقة بدون استثناء، على الأقل كانت ستساعده على الاستشفاء والراحة من ضغوط السنوات الماضية، لكن من الواضح أنه خاف من الشماتة أو انحصار اسمه في خانة الفرق المتوسطة والتي تلعب من أجل الحصول على أماكن دافئة في جدول الترتيب العام، في الوقت الذي يقول دوما عن نفسه «إنه مدرب لا يقود إلا الفرق الكبرى»، وإلى الآن ما زال متشبثا بالعودة في أسرع وقت ممكن لقيادة فريق كبير، لكن في حقيقة الأمر انتظاره قد يطول إلا إذا حدثت أشياء غير متوقعة، وبالنظر إلى المشاريع التي قد يجدها في المستقبل القريب، بعد عام 2020، سنجد أنها لا تزيد على خيار أو اثنين على أقصى تقدير، ومن المؤكد أن عودته لأسود غرب لندن لم تعد متاحة، لاختلاف إستراتيجيته مع الإدارة، إذ معروف عنه أنه يبحث عن النجم الجاهز، بينما أصبحت سياسة النادي اللندني تعتمد على أبناء النادي أو صفقات في أضيق الحدود، على عكس بداية المليارديرالروسي رومان آبراموفيتش، عندما كان يصرف ببذخ، نفس الأمر في الإنتر، حيث بدأ ملك «الغرينتا» أنطونيو كونتي يبسط سيطرته على «جوسيبي مياتزا»، بانقلاب في أداء الفريق كما وضح في ليلة رباعية ليتشي في افتتاح جنة كرة القدم، وهذا في حد ذاته، يجعل خيار الأفاعي يبدو بعيد المنال لمورينيو لسنوات، بجانب ذلك، نعرف أن سياسته لا تتماشى مع كبار البريميرليغ الذين لم يعمل معهم، مثل أعداء لندن المشاكسين آرسنال وتوتنهام، ومعهما أعداء الشمال أيضا السابقين مانشستر سيتي وليفربول، ناهيك عن استحالة توليه قيادة برشلونة أو أتلتيكو مدريد أو أي فريق آخر في الليغا غير الريال، وفي الواقع، هذا يعتبر الحل والأمل الوحيد للمو كي يعود مرة أخرى إلى هرم النجاح ويتصدر عناوين الصحف بتصريحاته النارية، حتى هناك تقارير إسبانية تزعم أن هناك اتفاقا بينه وبين فلورنتينو بيريز لتولي قيادة الفريق، إذا استمر تخبط زين الدين زيدان في الأسابيع القليلة الماضية، ويُقال أيضا إنه يرفض العروض المتوسطة التي يتلقاها من حين لآخر، لانتظاره مكالمة فلورنتينو بيريز، باعتبارها ستكون «طوق نجاة» لعودته لحياته ومكانته الطبيعية كواحد من أفضل وأشهر مدربي العالم، والأهم تأكيد جديد أنه كما قال من قبل: «لا يقود إلا المشاريع الكبرى»، والحل الآخر قد يأتي من ألمانيا، إذا تعثر نيكو كوفاتش مع بايرن ميونيخ في المرحلة المقبلة، خاصة وأن الصحف الألمانية ربطت مستقبله من قبل بالبايرن لولا استفاقة المدرب الكرواتي في النصف الثاني من الموسم الماضي، أما غير ذلك، فبنسبة كبيرة سيبقى الوضع كما هو عليه، أو كما أشرنا في العدد الأسبوعي قبل الأخير العام الماضي، بعد أيام من إقالته «عودته لقيادة الفرق الكبرى لن تكون سهلة على الإطلاق».

نهاية حقبة جميلة

من الواضح أن حالة التجاهل وعزوف الأندية الكبرى عن طلب جوزيه مورينيو ليست فردية، بل هي سنة الحياة في التغيير، باختفاء المدربين الكبار في السن وأصحاب المدارس القديمة في كرة القدم من على الساحة رويد رويدا، ولنا في الأستاذ آرسين فينغر خير دليل، فبعدما مكث جُل حياته بين جدران آرسنال، ظن أنه بمجرد خروجه من ملعب «الإمارات» ستتهافت عليه العروض، لدرجة أنه غازل رئيس ريال مدريد فلورنتينو بيريز أكثر من مرة، بتذكيره بمحاولاته السابقة لقيادة اللوس بلانكوس، لكن على أرض الواقع، يمارس كشاف النجوم نفس المهنة التي لجأ لها غريمه وعدوه السابق مورينيو، بالتحليل الموسمي على المباريات والبطولات الكروية الكبرى عبر التلفاز، كما جمعتهما شبكة «بي ان سبورتس» لتحليل نهائي دوري أبطال أوروبا، والحال ينطبق على معظم المدربين الذين حققوا نجاحات مدوية حتى منتصف العقد الأول من الألفية الجديدة، مثل مارتشيلو ليبي، بعد يوفنتوس ومنتخب إيطاليا، اتجه إلى أقصى شرق الأرض لقيادة إيفرغراند ثم المنتخب الصيني، ولا أحد يعرف أو يتابع أخباره إلا بالصدفة البحتة، كذلك الألماني فيلكس ماغات. أين هو الآن؟ متوقف عن التدريب بعد فوزه مع البايرن بالثنائية ومع هامبورغ بالدوري الألماني، اختفى بريقه بتجارب للنسيان آخرها فولهام وشاندونغ لونينغ. وأين لويس فان غال منذ طرده من مانشستر يونايتد؟ كل ما فعله أنه عاقب المدير التنفيذي للشياطين الحمر إد وودوارد، بالجلوس في بيته لمدة عام، ليحصل على باقي مستحقاته في عقده مع النادي الإنكليزي، والآن لا أحد يعرف إذا كان اعتزل كما روّج العام الماضي أم أنه ما زال مستعدا للعمل، وغيرهم من المدربين الذين اعتادنا على وجودهم مع الأندية الكبيرة، والآن أصبحوا في طي النسيان، في المقابل نلاحظ شروق شمس جيل جديد من نجوم كرة القدم المعتزلين حديثا، مثل فرانك لامبارد في تشلسي، وستيفن جيرارد مع غلاسغو رينجرز، تمهيدا لخلافة يورغن كلوب، وأيضا وين روني يستعد للعمل كمساعد مدرب ولاعب في دربي مع انتهاء عقده مع ناديه دي سي يونايتد الناشط في الميجور ليغ، والسؤال الآن: هل انتهت حقبة هؤلاء المدربين الكبار إلى الأبد؟ أم سيكون لبعضهم عودة قوية كمورينو وفينغر بالأخص؟ أم الجيل الجديد يبدو أوفر حظا للسيطرة على الأندية الكبيرة في السنوات القليلة المقبلة؟ دعونا ننتظر.

مورينيو حاول التملق لرئيس ريال مدريد بيريز في الاسابيع الاخيرة

في سيارة الوداع بعد رحيله عن مانشستر يونايتد

صفقات بالملايين خيبت آمال برشلونة وجماهيره قبل كوتينيو

كوتينيو من أفضل صفقات برشلونة

مالكوم أخفق ورحل

لندن ـ «القدس العربي»:

تنفس برشلونة وعشاقه الصعداء بظهور ملامح استفاقة الأنيق الفرنسي أنطوان غريزمان، بنسخة قريبة الشبه بنسخته التي رسمها لنفسه مع أتلتيكو مدريد ومنتخب بلاده الفرنسي، بتحمل المسؤولية في غياب ليو ميسي ولويس سواريز في اختبار الضيف الأندلسي العنيد ريال بيتيس، بالتكفل بتسجيل أول هدفين للفريق، بعدما كان متأخرا بهدف نبيل فقير حتى آخر دقيقتين من الشوط الأول، ليُعطي أول مؤشر إيجابي أنه لن يسير على خطى الصفقات «السوبر»، التي كبدت الخزينة ملايين طائلة بلا جدوى، آخرهم البرازيلي فيليب كوتينيو، الذي تخلصت منه الإدارة بأعجوبة بإرساله إلى بايرن ميونيخ على سبيل الإعارة مقابل 8.5 مليون يورو مع شرط إلزامي أو حق الشراء بعقد دائم بدفع حوالي 120 مليون من نفس العملة.

كابوس كوتينيو

بعد سنوات من الإبداع بقميص ليفربول وبشكل خاص تحت قيادة الألماني يورغن كلوب، عاد ليفربول لطلب التوقيع مع الموهوب البرازيلي في شتاء 2018، بعد فشل كل محاولات صيف 2017، وبالفعل نجحت المغامرة الشتوية، لكن مقابل رسوم فلكية، تخطت حاجز الـ140 مليون يورو، كأغلى صفقة في تاريخ الكتالان حتى هذه اللحظة، باعتباره صفقة مزدوجة، منها يمكن الاستفادة منه في مركز الجناح الأيسر المهاجم لتعويض رحيل ابن جلدته نيمار، أو لخلافة الرسام أندريس إنييستا بعد قراره المفاجئ بكتابة الفصل الأخير مع رحلته مع البلوغرانا، لكن على أرض، خيب اللاعب ظن الجميع، وكأنه لم يتحمل ضغط ولا رهبة اللعب في التحفة المعمارية «كامب نو»، والدليل على ذلك أن المدرب حاول توظيفه في أكثر من 4 أو 5 مراكز ليخرج منه أي بصمة، ومن حسن الحظ أن اللاعب استعاد جزءا من مستواه مع منتخب البرازيل الفائز بكوبا أمريكا هذا الصيف، ليفكر فيه البايرن على سبيل التجربة، وإلا كانت الخسائر ستكون مضاعفة، لو استمر مع الفريق لموسم آخر، ولم يتقدم خطوة إلى الأمام. الشيء المؤكد أن قيمته السوقية كانت ستخفض للنصف، كما الحال في معسكر ريال مدريد مع المنبوذ غاريث بيل.

البركة في لاماسيا

صحيح منذ النقلة النوعية التي أحدثها بوسمان في سوق اللاعبين في التسعينات، قام برشلونة بصفقات أضافت الكثير للفريق، لعل أشهرها على الإطلاق رونالدو الظاهرة وريفالدو وورونالدينيو ودافيد فيا وآخرون، لكن التاريخ والتجارب يقولان إن جُل الصفقات «السوبر» التي أبرمها النادي منذ بداية الألفية وحتى صفقة كوتينيو وبعض من تبعه، لم تخدم الفريق أو تساهم في إنجازاته في آخر عقدين مقارنة بأبناء الأكاديمية، والإشارة إلى أعظم لاعب في تاريخ الليغا والنادي ميسي وتشافي هيرنانديز وأندريس إنييستا وكارليس بويول، وقبل هؤلاء الفيلسوف بيب غوارديولا كلاعب وآمور وألبير فيرير، والآن بدأت تشرق شمس مواهب سيكون لها باع كبير في المستقبل القريب، مثل أنسو فاتي وكارليس بيريز وألينيا، لهذا ضجت صفحات برشلونة على مواقع التواصل باحتفالات مضاعفة لتألق غريزمان، لتعزيز ثقته في نفسه، ليسير على نهج النماذج القليلة الناجحة وليس العكس، خاصة بعد صدمة ظهوره بمستوى باهت وغير مبشر في مباريات الفريق الاستعدادية للموسم الجديد.

الفاشلون الأوائل

في بداية الألفية الجديد، وتحديدا بعد الخيانة التي تعرض لها النادي من لويس فيغو، بتوقيعه لفلورنتينو بيريز بعد يورو 2000، تعاقد البارسا مع نجم ريال بيتيس ألفونسو بيريز مقابل 16.5، الذي كان يفوق صاحب السمعة العالمية آنذاك وأغلى لاعب في العالم قبل صفقة فيغو، البرازيلي دينيسلون، لكن على أرض الواقع، قدم مباريات للنسيان، وفي الأخير كلف الخزينة 8.5 مليون يورو على كل هدف من مشاركته في 21 مباراة في الليغا، ليضطر النادي لإعارته إلى مارسيليا عام 2002، ثم إعادته لبيته الأندلسي، وفي نفس الصيف أيضا، أعاد النادي ابن الأكاديمية جيرارد لوبيز بعد توهجه مع فالنسيا، عودته لبرشلونة مع الفريق الأول وصورته البراقة التي كان عليها مع الخفافيش، وعلى مدار 5 سنوات، قضى وقته ما بين تقديم مباريات باهتة أو في صراعه مع الإصابة، في واحدة من أفشل صفقات النادي، في تلك الحقبة، كونه كبد الخزينة 24 مليون يورو، من دون أن يُعطي إضافة حقيقية، مع الوضع في الاعتبار أن مبلغ 24 مليون يورو آنذاك لم يكن بسيطا كما الحال الآن بعد التضخم الكبير في أسعار اللاعبين وأجورهم.

الساحر الأكذوبة والطائر المعطل

حتى الهولندي الطائر مارك أوفرمارس، الذي تألق بشدة تحت قيادة آرسين فينغر، أتى به العملاق الكتالوني من شمال لندن عام 2000 في صفقة قياسية في تلك الحقبة بلغت 40 مليونا، مع ذلك لم يقنع المشجعين لضعف تأثيره في الثلث الأخير من الملعب، في الصيف التالي، 2001، وقعت أنظار كشافة برشلونة على البرازيلي جوفاني، ليأتي بعد ذلك من كروزيرو مقابل 21 مليون يورو، والبعض اعتقد أن البارسا جلب رونالدو الألفية الجديدة، لكنه عانى من نفس آفة كوتينيو، عدم الانسجام مع الفريق، لينتهي به المطاف بهدف وحيد في الليغا من مشاركته في 26 مباراة، وبعد توقف الصفقات الفاشلة بضع سنوات، عادت أقوى من أي وقت مضى، بصفقات من نوعية غابرييل ميليتو، الذي فشل في التقييم الطبي لريال مدريد عام 2003، وبعد 4 سنوات مع سرقسطة، تعاقد معه برشلونة مقابل 20 مليون يورو، متجاهلاً تحذير الأعداء، ليدفع النادي الثمن بتعرض اللاعب لسلسة من الإصابات المدمرة لمسيرته، بدأ بقطع في الرباط الصليبي بعد أقل من عام من التوقيع معه، واستمرت لعنة الإصابات تطارده حتى يومه الأخير في كتالونيا.

صفقات بالخطأ

دميترو تشيغرينسكي، ليست أكلة شعبية ولا شيء غامض، بل لاعب مر على برشلونة في عصر غوارديولا كمدرب، ذاك الشاب الأوكراني الذي أنفق فيه البارسا 25 مليون يورو، لضمه من شاختار، لكن بعد مشاهدته على أرض الملعب أمام بورتو وزينت، تعجب الجميع من الطريقة التي دخل بها اللاعب أسوار «كامب نو»، حتى بيب كان لطيفا في حديثه عن اللاعب قائلاً: «إنه جيد جدا لكنه بحاجة لسنوات للتعلم»، لكن في النهاية يُحسب للإدارة أنها نجحت وببراعة في إعادة اللاعب لناديه السابق في العام التالي مع استعادة 15 مليونا، وهناك لاعب برازيلي يدعى كيريسون، جاء أيضا في عصر غوارديولا، بقرار من الرئيس خوان لابورت، معتقدا أنه خطف موهبة برازيلية صاعدة بثمن بخس 15 مليونا لبالميراس، وتمت إعارته لبنفيكا في نفس العام على أمل أن يكتسب الخبرة اللازمة التي تؤهله لمنافسة ميسي وزلاتان إبراهيموفيتش والبقية على مكان في التشكيلة الأساسية، لكن لم ينجح اللاعب في تسجيل ولو هدف يتيم مع ناديه البرتغالي، وظل البارسا يعيره من ناد لآخر إلى أن رحل بالمجان في صيف 2014 بعد انتهاء عقده، في صفقة تصنف على أنها وصمة عار في تاريخ رئيس برشلونة الأسبق، وأيضا نقطة غير مضيئة في تاريخ تعاقدت بيب.

الفاشلون الجدد

البعض يرى زلاتان إبراهيموفيتش من أوائل الصفقات الفاشلة في العشرية الأخيرة والبعض يرى أنه لم يحصل على فرصته كما يريد، لكن الشيء المؤكد أنه لم يترك البصمة التي كانت تنتظره منه الجماهير، ربما لوجود ليو ميسي ربما لعدم ارتياحه لغوارديولا، في النهاية كلف النادي 69 مليون يورو من دون أن يصنع الفارق كما كان وضعه مع يوفنتوس والإنتر، ومثله أليكسيس سانشيز، الذي لم يُقدم نصف المستوى الذي كان عليه مع أودينيزي، رغم أن جماهير البارسا كانت تعلق عليه آمالا كبيرا، ليحاكي كريستيانو رونالدو، لطريقته وأسلوبه، الذي كان قريب الشبه من صاروخ ماديرا على الجناح، وتضم القائمة أيضا باكو ألكاثير، الذي جاء من فالنسيا مقابل 30 مليون يورو عام 2016، وفي الأخير خيب الآمال بمستوى لا يقارن بمستواه مع الخفافيش، والمفارقة أنه لم يخسر مكانه في صفوف المنتخب الإسباني إلا في فترته مع البلوغرانا، وما يدعو للدهشة والاستغراب أنه عاد مرة أخرى إلى الحياة بعد انتقاله إلى بوروسيا دورتموند، عكس زميله السابق في «الميستايا» أندريه غوميش، الذي انطفأ بريقه منذ ارتدائه قميص البارسا وحتى بعد انتقاله إلى إيفرتون سواء على سبيل الإعارة أو بالبيع النهائي، مقارنة بالصورة الرائعة التي كان عليها مع منتخبه في «يورو 2016»، وفي العام ذاته أيضا مع فالنسيا، وسبقهما التركي آردا توران، بمستوى أقل ما يُقال عنه أنه «صادم»، بعد فترة وجيزة من مساهمته في تتويج أتلتيكو مدريد بلقب الليغا التاريخي والوصول لنهائي دوري الأبطال عام 2014، وأخيرا وليس آخرا البرازيلي مالكوم، بشرائه العام الماضي من بوردو مقابل 41 مليون يورو، ليجلس على المقاعد ثم يُباع هذا الصيف لزينت بنفس مبلغ التعاقد معه... مع الوضع في الاعتبار لم تدرج عثمان ديمبيلي في القائمة لربما يكشر عن أنيابه بعد تعافيه من إصابته الأخيرة رغم أنه حتى هذه اللحظة يعتبر من الصفقات الفاشلة.

عندما يتبخر حلم 134 سنة!

حلت الصدمة والحزن في الايام الأخيرة في كل أنحاء مدينة بري الانكليزية الصغيرة، الواقعة شمال مدينة مانشستر، بعدما أعلن الاتحاد الانكليزي طرد نادي هذه المدينة من عضويته بعدما أخفق في تقديم ضمانات مادية لقدرته على الالتزام بدفع ديونه ورواتب موظفيه، لتنطفئ شمعة ظلت مشتعلة على مدى 134 سنة.

المدهش ان بري، الذي تأسس في العام 1885، وحتى قبل البدء بأول مسابقة دوري في 1888، نجح في الصعود من الثالثة الى الثانية الموسم الماضي، وصدى الاحتفالات ما زال مسموعا بين أزقة أحياء المدينة الصغيرة، لكن أنصاره النادي وسكان المدينة بدون استثناء، اعتبروا قرار الاتحاد بشطبه، نزع الروح من المدينة، حيث ان نادي كرة القدم هو المركز والأساس ومن أجله يفتخر أهالي المدينة، التي تحيطها العديد من المدن والقرى بفرق كروية عنيدة، على غرار قطبي مدينة مانشستر وبلاكبيرن وبيرنلي وأولدهام وروتشديل، وأيضاً بولتون الذي أنقذ في اللحظات الاخيرة من مصير مشابه لبري. لكن بري سمح لرجل يدعى ستيف ديل يتملكه في ديسمبر الماضي بدون مراجعة ماضيه ونيته، لانه كان ينوي البيع الفوري بربح مقبول، لكن العروض لم تأته، وليست لديه نية بناء فريق او ادارة نادي، فقاد بري الى الانهيار.

في عالم الكرة الانكليزية، هناك دائما الحزن والافراح، فعلى بعد أمتار قليلة من بري، وقبلها بأسابيع انتشر أكثر من 200 ألف مشجع في الشق الأزرق من مدينة مانشستر يحتفلون بنجومهم الذين ساروا بحافلة يرفعون ثلاثة ألقاب، أو أربعة، هي كل الالقاب المحلية الممكنة (الدوري والكأس وكأس المحترفين والدرع الاجتماعية)، وهم لا يصدقون انه بعد سنوات من التهميش والعيش في ظل الجار القوي مانشستر يونايتد أصبحوا هم على القمة، بل تخطوا تحديات أندية أكثر عراقة وتاريخا، والفضل يعود الى حسن الادارة للنادي المملوك لأبوظبي، على عكس ادارات أجنبية أهلكت وأنهكت أنديتها.

في السنوات الثلاثين الماضية بدأ الاهتمام الاجنبي بتملك الأندية الانكليزية، رغم ان الهدف الأساسي لم يتعد حد التسلية، أو «البريستيج»، فسرعان ما يمل المالك الاجنبي ويهدم كل ما بناه من دون ان يأسف على ملايينه التي استثمرها، لكن الأمر تحول في السنوات الاخيرة، خصوصا مع المداخيل الهائلة التي تحققها الاندية الانكليزية، وأصبحت الفكرة من التملك تحقيق أرباح وتطبيق مشاريع وأفكار تسويقية وترويجية ضمن خطط محكمة ومدروسة، ورغم ذلك يأتي مستثمر أجنبي ويطالب بأرباحه منذ اليوم الأول، ولا ينتظر حتى مرور سنة على نضوج استثماره.

اليوم هناك 15 نادياً بين العشرين في الدرجة الممتازة مملوكة لأجانب، فعاث غالبية الملاك الامريكيين في العقدين الاخيرين، عبثا بسبب طمع وجشع وفكر غير مفهوم، فعائلة غليزر ما زالت مبغوضة في الشق الاحمر لمانشستر، ويعتبر عشاق يونايتد ان ديون هذه العائلة، وسوء ادارتها أنهكت النادي الأثرى في البلاد، بل انه لولا وجود مدرب محنك مثل السير اليكس فيرغسون لانهار النادي منذ سنوات، واليوم نرى التخبط مثالا بعد رحيله. مالك أستون فيلا السابق راندي ليرنر باع ناديه بعد عشر سنوات من التخبط والاخفاق والصراع من أجل البقاء في ناد كان بين النخبة في غابر الزمان. في حين أحكم ستان كرونكي على ملكية أسهم أرسنال، ليخفض سقف طموح مشجعيه، وفشل في البناء على نجاحات آرسين فينغر الهائلة في سنواته الأولى. في حين أخفق ايليس شورت في استغلال مقومات سندرلاند الكبيرة الذي عانى مكافحاً دائما من أجل البقاء لينهار النادي ويتدحرج الى الدرجة الثانية. أما شاهد خان، الامريكي من أصل باكستاني، فانه أهبط فولهام الى الدرجة الاولى في الموسم الاول الذي تملك فيه النادي خلفاً للمصري محمد الفايد واعاده الى الممتازة، لكن بفكر ضيق عاد به الى الأولى. وربما يكون الاستثناء الوحيد عالمياً في التملكات الامريكية، ليفربول الذي قدم موسماً استثنائياً، في ظل تملك جون هنري، لكن بعد معاناة عصيبة وسامة من الامريكيين جيليت وهيكس. الملاك الأجانب الآخرون، نجد الروسي رومان أبراموفيتش نجح في جعل تشلسي قوة في عالم الكرة الاوروبية، لكنه دائما ما يكون مصاحباً للأزمات والجدل والتخبطات والاقالات، وبسبب خلافاته السياسية في العامين الاخيرين، بدأ يفقد شهيته في استثمار المزيد من المال في مشروع النادي والاستاد.

فرق الدرجة الممتازة تظل معصومة من الغرق في مآزق فورية، بفضل المبالغ الهائلة التي يتقاضاها كل ناد من حقوق النقل التليفزيوني والمكافآت، لكن عندما يأتي صاحب النية السيئة على الاندية الصغيرة، فان خطر الابادة والشطب يكون حاضراً بقوة.

@KhaldounElcheik

فان دايك عريس أوروبا

لندن ـ «القدس العربي»:

بعدما نجح في قهر اثنين من أفضل اللاعبين على مستوى العالم، وهما الأرجنتيني ليونيل ميسي والبرتغالي كريستيانو رونالدو، دخل الهولندي فيرجل فان دايك نجم ليفربول الإنكليزي، التاريخ من أوسع الأبواب بعدما فاز بجائزة أفضل لاعب في أوروبا لموسم 2018–2019، بعدما حرمهما من الصعود لمنصة التتويج لنيل جائزة أفضل لاعب في القارة العجوز. وأصبح فان دايك أول مدافع وهولندي ينتزع جائزة أفضل لاعب في أوروبا ليدخل التاريخ من أوسع الأبواب. شارك فان دايك صاحب الـ28 عاما في 59 مباراة مع ليفربول ومنتخب هولندا، وسجل تسعة أهداف، وقدم 4 تمريرات حاسمة، وهو أكثر من لعب بقميص «الريدز» الموسم الماضي، حيث وصلت دقائق لعبه إلى 4465. ونجح فان دايك في المواقف الثنائية مع المهاجمين بنسبة 70%، وأيضا في الكرات الهوائية، كما حقق رقما رائعا طوال الموسم الماضي، حيث لم يكن ضحية أي مراوغة، إلى جانب قيادته للدفاع بشكل رائع. وساهم في قيادة ليفربول إلى تحقيق لقب دوري أبطال أوروبا، ليعيد «الريدز» إلى منصة التتويج القارية للمرة الأولى منذ 2005، كما ساهم في عودة منتخب هولندا إلى الخريطة الأوروبية بقيادة الطواحين إلى نهائي دوري أمم أوروبا.

وتعود بداية مشوار فان دايك في عالم الساحرة المستديرة مع غرونينغن الهولندي من دون أن يحقق معه أي إنجاز كروي. بعدها خاض تجربة احترافية في سيلتيك الاسكتلندي ليتوّج بلقب الدوري المحلي (مرتين) وكأس الدوري المحلي (مرة واحدة). وغادر فان دايك قلعة سيلتيك ليخوض تجربة احترافية في بلاد الضباب عبر ساوثهامبتون ومنه إلى ليفربول الذي لمع من خلاله اسمه، ونظرا لتألقه في الموسم الماضي 2018–2019، فقد حصد فان دايك العديد من الجوائز هي أفضل لاعب بالموسم التي يمنحها نادي ليفربول، بالإضافة إلى أفضل لاعب في إنكلترا وجائزة لاعب الموسم في الدوري الإنكليزي (البريميرليغ)، وأخيرا أفضل لاعب في أوروبا.

قائمة الفائزين باللقب على مدار تاريخ الجائزة منذ 2011 وحتى الآن:

2011: الأرجنتيني ليونيل ميسي (برشلونة الإسباني)
2012: الإسباني أندريس إنييستا (برشلونة الإسباني)
2013: الفرنسي فرانك ريبيري (بايرن ميونيخ الألماني)
2014: البرتغالي كريستيانو رونالدو (ريال مدريد الإسباني)
2015: الأرجنتيني ليونيل ميسي (برشلونة الإسباني)
2016: البرتغالي كريستيانو رونالدو (ريال مدريد الإسباني)
2017: البرتغالي كريستيانو رونالدو (ريال مدريد الإسباني)
2018: الكرواتي لوكا مودريتش (ريال مدريد الإسباني)
2019: الهولندي فيرجيل فان دايك (ليفربول الإنكليزي)

مجتمع

ارتفاع نِسَب الإصابة بالسرطان داخل الموصل والمُتَّهم أسلحة التحرير

خالد الخليل

كشف مصدر في مستشفى الطب الذري/فرع نينوى لـ«القدس العربي» عن أرقام وإحصاءات صادمة لعدد المصابين بمرض السرطان بمختلف أنواعه في عموم محافظة نينوى، معلّلاً ذلك بالأسلحة الممنوعة دوليا التي استُخدمت خلال معارك استعادة المدينة، ولعدم رفع الجثث من المنطقة القديمة إلا بعد مرور سنة ونصف على انتهاء المعارك، ما أدى لانتشار الأمراض من الجثث المتفسّخة والغازات المنبعثة منها، فضلا عن الخوف والرعب من آلة الحرب وما تُسَبِّبُهُ من تحفيز للخلايا السرطانية.

وأضاف المصدر أنه «لوحظ مؤخرا ارتفاع أعداد من تم تشخيص إصابتهم بمرض السرطان بعد أن راجعوا المؤسسات الصحية نتيجة آلام شعروا بها، ثم صُدموا بالنتائج بعد الفحوصات المختبرية» وتابع «إن المصابين هم من كلا الجنسين وبمختلف الأعمار، وهم في حاجة ماسّة إلى مضادات حيوية خاصة، وتداخلات جراحية فورية، وجُرَع كيميائية، ومعالجة نَوَوية» وأوضح أن «أغلب هذه الوسائل العلاجية غير متوفرة في مركزنا، لذلك نضطر لإرسالهم إلى محافظات أخرى كبغداد وأربيل». وأردف: «يصعب بإمكاناتنا الحالية عمل مسح دقيق لأعداد المصابين بالمرض وأسبابها، لكن النتيجة تضاعفت بما يقارب 19 مرّة عن العام 2013. وقد سُجِّل في مركزنا فقط أكثر من 1000 مراجع مصاب بنوع سرطاني خلال الشهر الأول من العام 2019 وكانت هذه الأعداد مخيفة بالنسبة لنا».

مختصون يقولون أن مسبّبات هذا الداء العضال تضاعفت الحرب وأسلحتها وأهوالها، فيرى الدكتور عيسى الشيخ أن «أبرز أسباب ارتفاع نسَب الإصابة بالسرطان هو استخدام أسلحة إشعاعية خلال المعارك ذات قدرة على اختراق التحصينات وحرق من في داخلها، والتلوث الكبير الذي سبّبته آلة الحرب، وكذلك انبعاث الغازات من آلاف الجثث المتحلّلة التي ما زال بعضها تحت أنقاض المباني التي دمّرتها الحرب، بالإضافة إلى أصوات الانفجارات والخوف المسؤولة أحيانا عن تحفيز الخلايا السرطانية، فضلا عن أسبابه المعروفة كالتدخين والتلوث والاستعداد الوراثي». بينما رأت الدكتورة سعاد حبيب المختصة في المعالجة الكيميائية أن «الأسلحة المصمّمة لاختراق الأبنية والجدران السميكة ربما تكون هي المسؤولة عن تحفيز الخلايا السرطانية وتسريع نشاطها وانتشارها» لكنها أشارت أنهم «لا يملكون لحد اللحظة دليلا موثقا يُثبت هذه الشكوك» وحذّرت من «الطفرات الجينية محتملة الحدوث للمواليد الجدد وإمكانية زيادة التشوهات الخلقية والإعاقات الولادية» وأضافت أنهم لاحظوا «ازديادا في أعداد الإصابات بأورام الدماغ لدى الرجال وسرطان الثدي لدى النساء».

وسائل تواصل تداولت مؤخرا أخبارا عن إصابات بالسرطان تعرّض لها أفراد من القوات الأمنية شاركوا بعمليات التحرير، وكان أبرز تلك الحالات هي للمنتسب واثق العقرب الذي عانى من السرطان حتى نهاية حياته. وقد وثّق العقرب جميع مراحل مرضه على مدار العامين المنصرمين من خلاله صفحته على موقع فيسبوك، وذكر في أحد منشوراته أن الدكتور أبلغه في بداية تشخيص مرضه أن سببه ربما يكون تعرّضه لكميات إشعاع عالية منبعثة من الأسلحة المستخدمة خلال المعارك ضد تنظيم الدولة، وأضاف في منشور آخر أن ثلاثة من زملائه الذين يعرفهم تعرّضوا للمرض نفسه بشكل مفاجئ.

وتحدّث أيضاً عن الإهمال الحكومي الذي تعرّض له، حيث نشر صوراً لمراسلات أجراها مع نواب عن نينوى فلاح الزيدان وأحمد الجبوري، يتوسلهم مساعدته في توفير مبلغ مالي لغرض الذهاب إلى تركيا من أجل العلاج، لكنّه لم يتلقَّ أي رد من النائبين. هذه القصة لاقت تفاعلا كبيرا بين الناس الذين تحدثوا عن الإهمال الصحي الذي يتعرض له المرضى في مستشفيات الموصل وخارجها، ومدى تجاهل المسؤولين الذين انتخبهم الناس لمعاناتهم، وعدم تلبية احتياجاتهم.

حملة إجراء فحص طبي

ولغرض التشخيص المبكّر والتوعية بالمرض، أطلقت صفحات موصلية وسماً على وسائل التواصل تحت عنوان «#روح_افحص» يدعو كل من حضر ما يُسمّى عمليات التحرير لمراجعة المراكز الصحية بهدف إجراء فحوصات، وبرّرت ذلك بارتفاع معدلات الإصابة بالسرطان الناتج عن الأسلحة المستخدمة خلال معارك الموصل، وقد تلقّت صفحة «يردلي» التي أطلقت الحملة تفاعلا قويا من أهالي الموصل، حيث أيَّد كثيرون ما ذكرته بهذا الشأن، وذكر بعضهم مشاهداته لهذه الحالة في محيطه الاجتماعي.

نجمة عبدالله 51 عاماً من أهالي حي الجوسق أيمن الموصل، أصيبت بالسرطان بعد سيطرة القوات العراقية على الموصل، قالت لـ«القدس العربي» عن تجربتها مع المرض: «اكتشفت أنني مصابة بمرض السرطان بعد فحوصات عملتها بسبب أوجاع عانيت منها. حدّد لي الطبيب طريقة العلاج بالكيميائي، فأخذت نوعية من الجرع في الموصل، ثم كتب لي الطبيب جرعة أخرى للمرحلة الثانية لم أجدها إلا في أربيل، وكنت أدفع 1000 دولار عن كل جلسة، وكانت أربع جلسات شهريا» وأضافت أنها رأت امرأة كتبَ لها الطبيب الجُرَع الكيميائية نفسها للمرحلة الثانية، فقالت: سأذهب لأموت في بيتي، من أين لي بالمبلغ؟ الأمر نفسه أكّدهُ محمود اللهيبي صاحب مذخر أدوية أيسر الموصل، مبينا أن مذاخرهم تشهد طلبيات كثيرة لكافة أنواع الأدوية والجُرَع الخاصة بمعالجة السرطان، «لكننا نجد صعوبات بالغة في توفيرها، وغلاء أسعارها إن وُجدت».

وعلى الرغم أن محافظة نينوى تأتي على قائمة الأعلى بين المحافظات في معدلات المصابين بالسرطان، فإنها تعاني من نقص حاد بالجرع الكيميائية والذرية. تقول الاختصاصية سعاد كنان، أن «صحة نينوى لم تتسلم سوى حصة قليلة جدا من تلك الجرع، وهي لا تتناسب مع أعداد المصابين بالسرطان، في وقت سجلت صحة نينوى عام 2018 وفاة 76 حالة، أغلبها من النساء اللائي لم يحصلن على جرع كافية للشفاء». وفي السياق نفسه قال الاختصاصي ذنون يونس: «أن هناك أكثر من عشرين نوعاً من السرطان، وكل نوع يحتاج لعلاج معين سواء بالجُرَع الكيميائية أو بالإشعاع الذرّي، وهذا يتطلب تحليلات وفحوصات مختبرية دقيقة من أجل إعطاء المريض الكمية المناسبة من الجرعة وفي الوقت المناسب حسب حالته، وهذا غير متوفر في مراكزنا».

أم محمد تحمّل الحكومة العراقية مسؤولية وفاة ابنها محمد، وكان قد طُلب منها أن تعالجه بالإشعاع الذري حيث لا تتوفر هذه الإمكانات في الموصل، وقالت أم محمد وهي تذرف الدموع: «لقد بعتُ كل شيء ووفرت له ثمن علاج عدد من الجرع، لكنّ إحالتنا خارج الموصل جعلتنا عاجزين عن فعل شيء لابننا الذي كان يموت أمام أعيننا» وأكدت أنها «طرقت أبواب صحة نينوى وحكومتها المحلية لمساعدتها، لكني رجعت صفر اليدين، ولم أجد آذانا صاغية».

نقص في الأدوية

وفي السياق ذاته، يشير الدكتور خضير النعيمي إلى أن ستة مراكز علاجية متخصصة دُمّرت خلال حرب استعادة المدينة من تنظيم «الدولة» بفعل العمليات العسكرية، وهي علاج مرضى الكلى، ومركز علاج الأورام السرطانية، والسكر، والأسنان، وغيرها، لافتا إلى أن «القطاع الصحي لم يخسر أبنية وأجهزة فقط، بل خسر كوادر ومختصين هجروا أماكنهم طوعا وكرها خلال سنين الحرب». معلون مدير صحة نينوى أوس الحمداني صرّح قبل فترة أن نسبة الدمار في المراكز والمستشفيات داخل المحافظة بلغت نسبة 80 في المئة، مؤكداً «وجود نقص كبير بأدوية الأمراض المزمنة، وأن مدينة الموصل تعاني من عدم وجود أجهزة الفحص الطبيّة، كالرنين المغناطيسي والمفراس والأجهزة الأخرى المتطورة، ما يستدعي المريض بالسفر إلى أربيل وبغداد».

يقول متابعون أن وزارة الصحة العراقية تتجنب ذكر أعداد مرضى السرطان الحقيقية، وتكتفي بذكر المواقع التي تحوي مواد مُسرطنة، وذكرت من ضمنها كثير من المواقع داخل الموصل. ورغم أن العلاج ليس مجانيا داخل المستشفيات الحكومية، لكنه قليل جداً ولا يكفي لنسبة بسيطة من المرضى، وهو ما يضطر كثيرين للسفر خارج العراق لتلقي العلاج. يُذكر أن صحة نينوى على وجه الخصوص تلقت تبرّعات بملايين الدولارات من ميسوري الحال والمنظمات المدنية والدولية، لكن هذه المبالغ لم تنعكس واقعا على القطاع الصحي في المدينة، وعزا مراقبون سبب ذلك إلى حيتان الفساد التي تنتظر الأموال لتضعها في جيوبها وتترك المرضى يواجهون أوجاعهم وآلامهم في ظل الواقع البائس.

التقارير من المنظمات الدولية العاملة في الموصل تحدثت في ملخّصها عن ارتفاع في معدلات الإصابة بالمرض، لكنّها لم تتطرّق إلى أسباب هذا الارتفاع ولا الأعداد الحقيقية للمصابين به. «لا يمكن عمل إحصاءات دقيقة لمعرفة الأرقام الحقيقية، وذلك لضعف الإمكانات وصعوبة التحرّي والوصول للبيانات الطبية، كون الحكومة العراقية لا تتعاون بهذا الصدد خشية الهلع والضجّة، لكننا نعتمد على أرقام تقريبية نحصل عليها من مصادر داخل المراكز والمنظمات العاملة في العراق» سكوت رايفز من منظمة دولية عاملة في الموصل في تصريح لصحيفة محلية.

أطباء ومرضى وجّهوا مناشدات عبر «القدس العربي» إلى الحكومة العراقية من أجل توفير الأدوية اللازمة لإنقاذ الأرواح التي تَئِنُّ في الظلام وهي تنتظر وصول الجرَع قبل فوات الأوان، وأن ينظروا بعين الرحمة لأولئك الذين لا يملكون ثمن العلاج.

السمك الحار

المقادير

كيلو سمك فيليه
زيت ذرة
صلصة فلفل أحمر حار
كوب صويا صوص
3 أكواب عسل
3 ملاعق كبيرة سمسم محمص
ملح
فلفل
بهارات
بصلة مقطعة شرائح
نعناع للتزيين

طريقة التحضير

نحض وعاء ونضع فيه العسل، وصلصة الفلفل الأحمر، والصويا صوص، والتوابل، والملح، والفلفل والبهارات.

نقطع السمك طولياً ثم نتبله بالخلطة السابقة لمدة 10 دقائق.

نحضر مقلاة ونضع الزيت فيه ثم نقلّي السمك.

في مقلاة أخرى نضع الباقي من تتبيلة السمك على النار حتى يصبح القوام سميكا.

في طبق التقديم نضع قطع السمك المقلية، ثم نسكب فوقها التتبيلة السميكة ثم نزيّنيها بشرائح البصل، والسمسم والنعناع.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

القراص

لعشبة القراص خصائص شفائية عظيمة. فهي بلسم للأمعاء والمفاصل وشفاء للبروستاتا وخافض لضغط الدم.

لمسة بسيطة لأوراق نبات القراص قد تتسبب في ألم شديد للجلد. بسبب أشواكها الدقيقة الشّعْرية التي تسيل منها عصارة محرقة ومؤلمة إلى اليد إذا مسها الإنسان وانكسرت الشويكة في يده. لكن حين يتم تجفيف أوراق نبات القراص أو طبخها تزول كل المهددات التي قد تصدر عنها، بل وتتحول إلى مادة غذائية رائعة مناسبة للعديد من الوجبات الغذائية، وفق ما ينقل موقع «تسينتروم دير غيزوندهايت» الإلكتروني. علاوة على ذلك فإن هذه النبتة (التي تسمى أيضا الحريقة أو القريص) تمتلك خصائص شفائية عظيمة.

ويمكن تحضير نبات القراص كشاي ذي مذاق لذيذ. وكون هذه العشبة غنية جدا بالكالسيوم والحديد والبروتين فيمكن إدماجها في العديد من الأطباق الغذائية والعصائر الخضراء، فضلا عن إمكانية إضافتها كبهار في الجبنة الطازجة والخبز وغيرهما. تنمو هذه العشبة في المناطق الخصبة الرطبة وهي من أوائل الأعشاب التي تزهر في فصل الربيع، وتنمو في أغلب بلدان شمال الكرة الأرضية وفي المشرق العربي وسيناء. ورغم أن القوانين الفرنسية ما زالت تعتبرها من الأعشاب الضارة إلا أن العديدين في فرنسا يسعون إلى تغيير هذه القوانين.

لنبات القراص قوى شفائية وآثار علاجية، وأهم الخصائص الشفائية لهذه العشبة، وفق ما ينقل موقع «تسينتروم دير غيزوندهايت» الإلكتروني:

علاج لالتهابات الأمعاء: نظرا لقدرتها الشفائية المضادة للالتهابات فبإمكان استخدامها ضد الأمراض المزمنة مثل التهاب القولون التقرحي وداء كرون (التهاب مزمن للأمعاء).

منع أورام البروستاتا: يعمل مستخلَص جذور نبات القراص كمادة مضادة للمشاكل الصحية الناتجة عن التضخم الحميد للبروستاتا، بل وحسب إحدى الدراسات فإن لمستخلص جذور عشبة القراص مفعولا مانعا لنمو الخلايا السرطانية في البروستاتا.

تخفيض ضغط الدم ومنع تجلط الدم: شاي أوراق نبات القراص يخفض ضغط الدم. كما أنه يؤخر التخثر الزائد للدم، أي أنه يجعل الدم «خفيفا» ويساعد بذلك على منع جلطات الدم.

تقوية جهاز المناعة: تقوي عشبة القراص آلية الجسم الدفاعية، وذلك عبر دعم نوع من أنواع الخلايا المناعية يسمى بالخلايا اللمفاوية التَّائِيَّة. كما أنها تحفز نشاط الخلايا «العملاقة» البالعة للجراثيم. يشار إلى أن نبات القراص مفيد كشراب وكغذاء أيضا في أوقات زيادة خطر الإصابة بالأمراض المُعْدية.

مواجهة التعب ونقص الطاقة: بذور عشبة القراص منشطة، وبالتالي فهي مناسبة لجميع الذين يشعرون بالتعب والإرهاق، فتناولها يزيد من الحيوية والقوة الجنسية وإنتاج الحليب لدى الأمهات المرضعات.

وأسباب هذا التأثير التنشيطي كثيرة، فبذور نبات القراص غنية بالمواد الحيوية والمعدنية، إضافة إلى ذلك فهي تعتبر مضادة للأكسدة ولها قدرة قوية على حماية الكبد.

تمنع تساقط الشعر: تعزز بذور نبات القراص نمو الشعر وتجعله كثيفا وبراقاً، وذلك ليس فقط لدى البشر، ولكن أيضا لدى الخيول والأحصنة. تجدر الإشارة إلى وجود أوراق نبات القراص في المستحضرات المضادة لتساقط الشعر. (Dw)

الحمل

استغل طاقتك في التفكير بعقلانية لحل مشاكلك

الثور

اهتم بمشاريعك وعملك ولا تنسى أن تأخذ قسطا من الراحة

الجوزاء

قد يؤدي تعدد المسؤوليات إلى شعورك بالتوتر

السرطان

ركز اليوم على التحكم في أعصابك بتعاملك مع من حولك

الاسد

تتخذ خطوة جديدة نحو هدفك ولذلك ستشعر بالسعادة

العذراء

استمتع بروح المغامرة والدخول في مشروعات جديدة

الميزان

عليك أن تكون متفائلا فستدنو من أحلامك وطموحاتك

العقرب

عبر عن رأيك بحرية حتى وإن عارضك البعض

القوس

تشعر بالتوتر والقلق على مدار الأيام الماضية

الجدي

حاول أن تحل مشاكلك ولا تخاف من الفشل

الدلو

من الأفضل أن تؤجل اتخاذ أي قرارات اليوم

الحوت

سارع إلى إطلاع الشريك على مشروعك

جديد الطب

عقار لعلاج السكري يخفض خطر الإصابة بقصور القلب

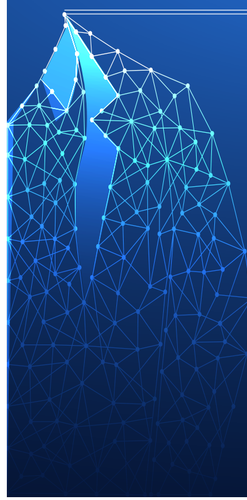

أظهرت دراسة دولية حديثة، أن عقارا يستخدم على نطاق واسع لعلاج مرض السكري من النوع الثاني، يمكن أن يخفض خطر الإصابة بقصور القلب.

الدراسة أجراها باحثون بمعهد «كارولينسكا» في السويد، بالتعاون مع معهد «ستاتينس سيروم» في الدنمارك، ونشروا نتائجها في العدد الأخير من دورية (British Medical Journal) العلمية.

وعادة ما يفقد مرضى قصور القلب قدرتهم على ضخ الدم بشكل سليم، وبالتالي لا يتم إمداد أعضاء الجسم بكميات وفيرة من الدم والأكسجين، ما يؤدي إلى الشعور المستمر بالإنهاك والتعب.

وإلى جانب الشعور بالإنهاك والتعب أو تورم الساقين، تشمل الأعراض أيضا الشعور بضيق في التنفس عند صعود الدرج مثلا، وتراجع القدرة على بذل المجهود، أو الإصابة بحالة عامة من الوهن.

وأجرى الفريق دراسته لاكتشاف فاعلية مثبطات «SGLT2» التي تسمى أيضا «gliflozins» وهي فئة من الأدوية التي تمنع إعادة امتصاص الغلوكوز في الكلى، وبالتالي تخفض نسبة السكر في الدم، وتستخدم لعلاج السكري من النوع الثاني.

وللتوصل إلى نتائج الدراسة، استخدم الباحثون العديد من السجلات الوطنية التي تحتوي على بيانات حول الأدوية والأمراض وسبب الوفاة، وغيرها من البيانات لقرابة 21 ألف مريض بالسكري من النوع الثاني، الذين بدأت مجموعة منهم العلاج بمثبطات «SGLT2» بين نيسان/ابريل 2013 وكانون الأول/ديسمبر 2016.

ووجد الباحثون أن هذه الأدوية تخفض خطر الإصابة بقصور القلب، إضافة إلى أمراض القلب والأوعية الدموية، التي تعد إحدى المضاعفات الشائعة لمرض السكري.

ووجدوا أيضا أن المجموعة التي تناولت تلك الأدوية، انخفض لديها خطر قصور القلب بنسبة 34 في المئة، والوفاة بأمراض القلب بنسبة 20 في المئة، مقارنة بمرضى السكري الذين لم يتناولوا مثبطات «SGLT2».

ووفقا لمنظمة الصحة العالمية، فإن أمراض القلب والأوعية الدموية، تأتي في صدارة أسباب الوفيات في جميع أنحاء العالم، إذ يفوق عدد الوفيات الناجمة عنها، عدد تلك الناجمة عن أي من أسباب الوفيات الأخرى.

وأضافت المنظمة أن نحو 17.3 مليون نسمة يقضون نحبهم جراء أمراض القلب سنويًا، ما يمثل 30 في المئة من مجموع الوفيات في العالم كل عام، وبحلول 2030 من المتوقع وفاة 23 مليون شخص بسبب الأمراض القلبية سنويا.

كيف تحمي نفسك من النقرس؟

لطالما اُعتبر النقرس من أمراض الأثرياء القادرين على شراء الأطعمة الفاخرة واللحوم. ولكن اليوم اختلف الأمر. إذا أردت حماية نفسك من الإصابة بهذا الداء المؤلم، عليك أن تتذكر كلمة «بورين». فما هو وكيف يمكن حماية الجسم منه؟

قدم تقرير لدورية «بريتش ميديكال جورنال» البريطانية مجموعة من النصائح لتجنب الإصابة بمرض النقرس الذي يصيب البعض نتيجة الإفراط في تناول بعض الأطعمة. كما أوضح التقرير طرق التعامل مع المرض في حالة الإصابة به، ونناقش العلاقة بين أسلوب الحياة والنظام الغذائي من جهة وأعراض مرض النقرس من جهة ثانية. يقول الدكتور آلان غيلبر، من قسم الروماتيزم في جامعة جون هوبكنز الأمريكية: «إن النقرس هو السبب الرئيسي للالتهاب المفصلي لدى الرجال في الثلاثينات والأربعينات من العمر». كما تصاب النساء أيضا بالنقرس، على عكس ما يعتقد الكثيرون، حسب ما أكده غيلبر في موقع «يو إس نيوز» الأمريكي. ويوضح: «لا يرتفع معدل تكرار الإصابة بالنقرس مع تقدم العمر فحسب، بل يرتفع أيضاً وبشكل كبير عند النساء بعد سن اليأس». كما أن النساء الأصغر سناً ممن يعانين من مشاكل صحية في الكلى يكن أكثر عرضة للإصابة بالنقرس.

التفسير العلمي

وحسب الخبراء، فإن الإصابة بالنقرس ترتبط بمجموعة من العوامل الصحية التي أصبحت شائعة بشكل متزايد مع التقدم في العمر. فزيادة الوزن والسمنة، ومرض السكري وارتفاع ضغط الدم وأمراض الكلى المزمنة وارتفاع نسبة الكولسترول، كلها أمراض ترتفع معدلات الإصابة بها مع التقدم في العمر، ويرتفع معها خطر الإصابة بالنقرس أيضاً، طبقاً للموقع الإخباري.

ويشير الخبراء إلى أن جسم الإنسان ينتج البورين، وعندما يتناول الإنسان اللحوم، يقوم الجسم في ذلك الوقت بتحويل البورين إلى حمض اليوريك. ومع ارتفاع تركيز حمض اليوريك في الجسم تحدث الإصابة بالنقرس. وتسمى تلك الحالة بزيادة تركيز حمض اليوريك في الدم. لذا ينبغي على مرضى النقرس الابتعاد عن تلك الأطعمة الغنية بالبورين.

ومن خلال اختبار بسيط للدم يمكن الكشف عن ارتفاع نسبة حمض اليوريك في الجسم ولكن ذلك لا يعني بالضرورة الإصابة بالنقرس. ولتشخيص الإصابة بالنقرس يقوم الأطباء بسحب عينة من الدم من الإصبع الكبير أو المفصل المتأثر والكشف عليها تحت المجهر حتى يتم التأكد من الإصابة بالمرض.

المنوع والمسموح

وعلى عكس بعض الأمراض التي ينصح فيها الأطباء بتناول الفاكهة والخضروات، فإن النقرس لا يتم علاجه بهذه الطريقة. فعلى سبيل المثال فإن السانخ ونبات الهليون يحتويان على مستويات عالية نسبياً من البورين. وكذلك بعض البقوليات مثل العدس والفول والفاصوليا، فكلها تحتوي أيضاً على نسبة عالية من البورين.

ومن الأطعمة التي ينبغي أيضاً تجنبها الدجاج المشوي ولحم العجل والكبد واللحم المجفف (سلامي) بالإضافة إلى أنواع معينة من الأسماك مثل السالمون والأنشوجة وهي عبارة عن نوع من الأسماك المملحة. ويحتوي كل 100 غرام من تلك الأطعمة على 360 ملليغرام من البورين.

أما عن المسموح بتناوله لمرضى النقرس، فهناك أيضاً مجموعة كبيرة من الأطعمة التي تتميز بانخفاض نسبة تركيز البورين فيها. ومن تلك الأطعمة المعكرونة المصنوعة من سميد القمح القاسي. كما أن الأرز والبطاطس والخبز المخلوط بالحبوب كلها خالية من البورين. وينطبق الأمر نفسه على الجزر والطماطم والتفاح والزبادي والجبن والقرنبيط والخطر (المشروم).

وتعتبر الكحوليات بكل أنواعها من أكثر المشروبات التي ترفع تركيز حمض اليوريك في الدم، أما بالنسبة لعصائر الفاكهة فمعظمها تحتوي على نسبة عالية من السكر وهو ما قد يعزز احتمالات الإصابة بالنقرس. ويمكن لمرضى النقرس تناول الشاي بمختلف النكهات مثل شاي الأعشاب أو الفاكهة والذي يساعد على التخلص من نسبة البورين في الجسم بشكل أسرع.

الوقاية خير من العلاج

بما أن النقرس من الأمراض التي تسبب ألماً شديداً في الجسم والمفاصل، لذا فمن الأفضل تجنب ما قد يسببه أو على الأقل محاولة تقليل ما قد يساعد على ظهور تلك المشكلة. وينصح الأطباء بضرورة تقليل الدهون في الطعام وممارسة الرياضة بانتظام والمشي وركوب الدراجة مع الالتزام بالأطعمة الصحية الخالية من الأملاح العالية والبورين. (dw)

السينما الهندية الملامح الفنية والجمهور العريض

سعيد الشفاج

ذات زمن كانت القاعات السينمائية في المغرب كافية لاستقطاب مئات المتفرجين، وكنا صغارا نطلع لأفيش العروض بشوق ولهفة كبيرة. كانت الصورة السينمائية تمثل لنا فسحة الخيال الأسبوعية، نتراكض لحجز التذكرة السحرية وندخل القاعة المضاءة بأضواء خافتة مثبتة في جوانب القاعة الكبرى. المكان ينقسم إلى الكراسي العلوية الأغلى ثمنا والكراسي السفلية، وما زلنا نتذكر كيف كان المتفرجون في الأعلى يرمون بقايا الطعام للمتفرجين في الأسفل. فمن ساهم في تشكل الخيال الرحب لجيل السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي قبل ظهور الهواتف الذكية والكمبيوترات؟

لا شك أن ما كان يعرض في تلك الحقبة في سينما «اوبيرا» أو «بوليو» أو «السلام» أو «الملكية» كان يشكل متنفسا كبيرا لطفولة محاصرة بين الدروب والمنازل والمدارس. كنا نذهب بحثا عن الجديد في السينما الهندية أو الصينية أو الأمريكية، فما الذي جعل جيلا بكامله ينجرف لسينما بوليوود؟

ولدت السينما الهندية صامتة كجميع السينمات في العالم سنة 1913 مع المنتج والمخرج د.ج فالك، وقد استند العمل على الميثولوجيا الهندية، ثم جاءت سنة 1931 كي تبدأ سلسلة من الأفلام الناطقة أهمها إعادة إنتاج الملحمة «ديفاس» سنة 1935 غير أن ذروة البدايات كانت في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي مع المخرج والممثل الشهير راج كابور. لا شك أن تأسيس أول معهد سينمائي في الهند سنة 1961 وظهور مديرية المهرجانات السينمائية سنة1973 كان له الأثر في خلق دينامية وحركية فنية أنتجت المئات بل الآلاف من الأفلام والتي تختلف من حيث المعالجة والامكانيات الهائلة المرصودة لها.

لكن ما هي العناصر الفنية الأساسية التي جعلتنا مبهورين بالصورة الهندية في السينما؟ بغض النظر عن القراءة التاريخية للسينما الهندية والتي تشير جلها إلى وقوع عدة تغييرات في مسار هاته السينما بانتقالها من دراسة البعد الميثولوجي والأسطوري إلى الواقعية مع أفلام مثل «ماسح الأحذية» و«ابن الهند» و «من أجل طابعا رومانسيا. وميزة البطل هنا أنه لا ينهزم رغم كل ما يتعرض له، وهذا برز مع مشاهد العنف التي بدأت تطغى على الدراما الهندية حتى تنافس السينما الأمريكية وتكون ندا لها، على مستوى شباك التذاكر. البطل يسعى غالبا إلى فكرة الانتقام تحقيقا للعدالة التي ينتظرها المشاهد بشغف، وترتكز بنية الجريمة في السينما الهندية على عدة مظاهر، إما صراع عرقي أو عائلي أو إرث أو صراع حول المحبوبة، أو تنازع المصالح الاقتصادية، هذه القصة تدور في فضاءات خارجية وأخرى داخلية باستعمال مبالغ فيه للألوان الساطعة والفاتحة والأضواء المشعة ومشاهد الرقص والغناء وآلات العزف من طبول وآلات نفخ والحركة. لقد كانت القصة رغم بساطتها تعرف جذبا كبيرا للجمهور حول العالم نظرا لنمط الإخراج المستمد من البيئة الهندية الغنية بالتراث والحضارة والطبيعة المبهرة والتنوع العرقي، إلى جانب الإبهار المعتمد على ووجود فتاة تضفي على الفيلم الجاذبية والذي يعتبر قوة السينما الهندية.

وقد تم توظيف البطل كمرجع قوي للجذب الفرجوي، فهو كائن لا يغلب، وسيم، من أسرة فقيرة، طيب، يكره الظلم، البطل كرمز تحاول الحكومة فرضه عن طريق عنصري الإعجاب والتماهي. ويمكن النظر إلى الصورة النمطية التي قدمتها السينما الهندية للشخصية الرئيسية من خلال نموذج الممثل أميتاب باتشان وشاروخان.

تستند الدراما الهندية على الدافع العاطفي، فغالبا ما يكون الصراع على وجود امرأة حتى في أحدث الأفلام وأكثرها شهرة مثل «رجوع العاشق المجنون».

– بمشاركة نجمي السينما الهندية شاروخان وكاجول، حيث الشاب راج أحب سيمران لكن والد الفتاة رفض تزويجه إياها. وفيلم «ديفاس» الشهير نفس البناء الدرامي: رفض عائلة الفتاة تزويجها لحبيبها ديفاس، الذي عاد من لندن. وجود المرأة كبنية للصراع كذلك في أقوى الأفلام الهندية من حيث المداخيل لكن مع إضفاء طابع كوميدي مرح، ولوحظ انفتاح المخرجين في الهند على قصص تنسجم والمتغيرات الإقليمية والعالمية كفيلم «هايدر».

– الذي يكشف عن فظائع الحرب بين الهند والباكستان، ثم فيلم «كاهاني» سنة 1912 والذي يحكي عن امرأة تبحث عن جثة زوجها الذي مات في حادثة انفجار قنبلة بإحدى مقصورات المترو، فيلم آخر سيعالج الصراعات الطبقية بين الأغنياء والفقراء من خلال الحفاظ على الجانب العاطفي وهو فيلم «موهنجو دارو» ثم الفيلم التاريخي «باجيراو ماستاني» الذي خرج للقاعات سنة 2015 ويتطرق الفيلم لأحداث تاريخية وقعت بين عام 1700 و1740 يقصها البطل في طابع روماسي.

نجحت السينما الهندية في أن تصل بالأغنية الشعبية نحو العالمية، حتى حفظت أجيال هاته الأغاني، بل عمل البعض على ترجمتها محاولة منهم لفهم محتواها. إن المشهد الاستعراضي هو مكون فني أساسي أضفى على الفيلم طابعا مرحا ولم يعتبره المخرجون مجرد توابل للقصة المحورية بل كان الرقص والغناء ثيمة مهمة تؤثث فضاء القصة الدرامية أو الكوميدية، لأن أغلب تلك الرقصات والأغاني كانت عبارة عن رسائل تبث داخل النص الرئيسي وتظهر لنا نحن مترجمة على الشاشة رغم بساطة الترجمة المعتمدة. وتتموقع الأغنية في خانة الرمز التلميحي والرسالة المشفرة التي يوجهها البطل إلى حبيبته أو عدوه أو أسرته. وتقدم غالبا على شكل دويتو بين البطل والبطلة.

قوة السينما الهندية رغم أن أغلب الإنتاجات ذات طابع تجاري، تكمن في الحلم الذي تقدمه للمشاهد الذي يحاول الانفلات من واقعه وهذا يعكس الإقبال الشديد لدول العالم الثالث على الفيلم الهندي، كما أنها لم تكن مجرد فرجة فنية فقط بل وسيلة علاج روحي ومحاولة التخلص من عقد واقع مرير. أسماء كبيرة قدمت الأحلام في طبق فني مبهر، إنها روح السينما في بوليوود، الرئة التي تتنفس بها الهند.

فيلم أمريكي يعالج مخاطر التلاقي في العالم الافتراضي

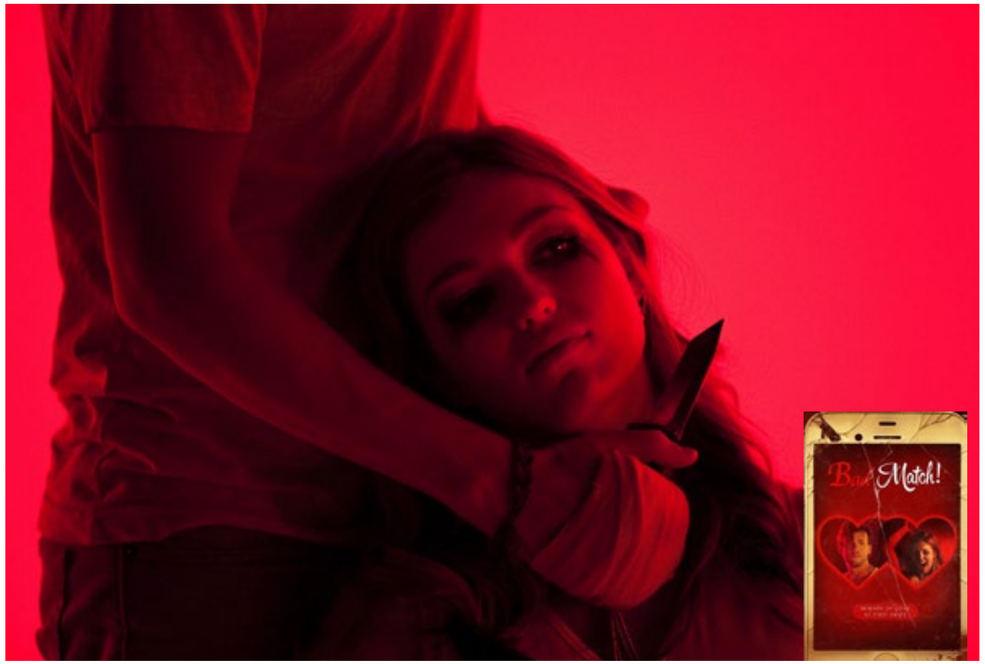

يوخنا دانيال

في العالم العربي قد لا نعير أهمية كبيرة لهوياتنا الافتراضية، وأقصد حساباتنا على فيسبوك وانستغرام وتويتر. وإذا كان الأولان أكثر اتصالا بحياتنا الاجتماعية وصورنا واحتفالاتنا، فان تويتر أصبح أهم وأخطر بكثير، إذ تحول بعد مجيء الرئيس الأمريكي ترامب للسلطة إلى أداة لإيصال الرسائل السياسية الخطيرة. ولحق معظم الرؤساء الغربيين ترامب، في استخدام تويتر كوسيلة للتواصل السياسي. لكن على صعيد الناس العاديين، لنتصور أن شخصا اخترق حساباتك الإلكترونية، إلى ماذا يمكن أن يؤدي ذلك؟ إن فيلم «مطابقة سيئة» Bad Match الذي يمزج الإثارة بالرعب والرومانسية، يطرح هذه المشاكل بصورة مباشرة، ويكشف المخاطر غير المتوقعة من الاعتماد على تكنولوجيات العصر الافتراضي، مركزا على أسوأ ما يمكن أن تصل إليه هذه المخاطر. إذ فجأة يتحول كل ما هو لذيذ وممتع وسهل في حياتنا، إلى مصدر ازعاج وتقييد للحرية، ويصبح في النهاية مصدر خطر كبير على المستخدم، إذ قد يضعه في مشاكل قانونية ومعنوية، لا بل قد يدفعه في النهاية ربما إلى ارتكاب الجرائم أيضا. يلجأ المخرج ديفيد جرجيريللو إلى إقحام بطليه جاك كتمور–سكوت وجليلي سيمونز اللذين التقيا عن طريق الإنترنت في مواقف متضاربة، تتراوح بين الإعجاب والتعلق والرفض والتهرّب والعداء الشديد. إذ يتبادلان الاتهامات والألعاب الخطرة، بحيث يعتقد البطل ان البطلة هي المسؤولة عن كل مصائبه في العمل والحياة. لكن هذا جانب واحد فقط من المشكلة، وهو العلاقات العاطفية على أساس افتراضي.

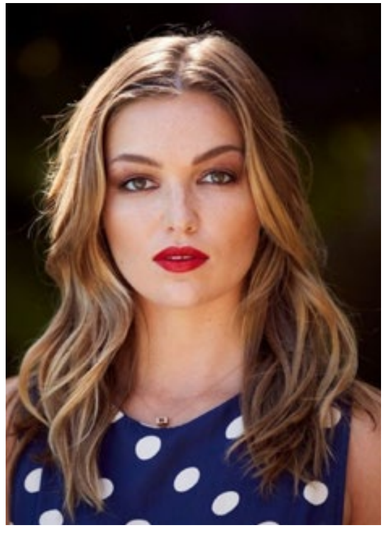

إذ ان هناك علاقات افتراضية أخرى، قد تسبب مشاكل حقيقية، وربما أكثر خطورة. فإذا كان البطلان هنا قد التقيا واقعيا وعرفا بعضهما، فإن هناك علاقات أخرى قوية لكن لن تلتقي أطرافها أبدا، كما في فيسبوك مثلا، أو رفاق اللعب في ألعاب الفيديو الجماعية على الانترنت. إذ نختار رفاق اللعب عشوائيا عادة في مثل هذه الألعاب المليونية، كما في ألعاب البيجي أو الفورتنايت مثلا. لكن بناء نوع من العلاقة مع شخص محدد في هذه الألعاب وإثارة غضبه، قد يؤدي أحيانا إلى عواقب وخيمة، وهذا ما يحدث في الفيلم بدون أن يشعر البطل بما يحدث أو يعرف المسبب.

وهكذا يحاول المخرج ان يبحث موضوع العلاقات الافتراضية من جميع نواحيها، وتداخلها مع بعضها، للوصول إلى أسوأ أنواع السيناريوهات وأكثرها ضررا. ان العلاقات الافتراضية المجهولة، قد تكون مصادر إخطار غير متوقعة من دون أن نشعر. فجأة يكتشف البطل انه مطرود من العمل بسبب تغريدات على تويتر ليس مسؤولا عنها، وأن هناك مواد ممنوعة في كمبيوتره الشخصي، وتستدعيه الشرطة للتحقيق وتصادر كمبيوتره. لكنه يلقي بكل اللوم على البطلة الجميلة الذكية التي تلعب معه ألاعيب خطرة. فتتطور الأحداث بينهما بسرعة وتؤدي إلى مواجهات غير متوقعة أبدا في نتائجها.

ان مشكلة الفيلم الرئيسية هي أنه يبدو صغيرا في حجمه، بسبب موضوعه المحدود، وأحداثه التي تدور في أماكن قليلة، كما ان شخصياته تعاني من غموض شبه تام في تاريخها النفسي وسلوكها الاجتماعي، ويتجلى هذا في طول الفيلم الذي لا يتجاوز الساعة والنصف. وربما يتعمد المخرج هذا، كي يضعنا في أجواء المجهولية التي تسود وسائط التواصل الاجتماعي أحيانا، بسبب استخدام أسماء مستعارة أو حسابات مزيفة أو بسبب الخوف من الاختراق والتهكير. لكن المخرج لا يقدم أي إيضاح أو سبب لالتجاء البطلين إلى مواقع وتطبيقات المواعدة، بدلا من محاولة إقامة علاقات واقعية مبنية على المعرفة المسبقة.

ان تفسير أو تحليل هذا الموضوع مهم جدا، وكان في إمكان المخرج إضافة مشاهد فلاش باك مثلا لتفسر اللجوء إلى هذه الوسيلة، بدل أن يكون الفيلم كما لو أنه يناقش مشكلة أو أنه دراسة لسلوكيات الرجال والنساء في المجتمعات الغربية، وغياب المسؤولية في ما يتعلق بعلاقاتهم العاطفية. وأهم ما يشير إليه الفيلم، هو استغلال الرجال لخدمات المواعدة من أجل العلاقات القصيرة المدى فحسب، وان ما يكتبه الناس عن أنفسهم في هذه المواقع مجرد أكاذيب أو كلمات معسولة لخداع الطرف الآخر. ورغم كل هذه المآخذ على الفيلم، فانه يظل ممتعا ومقنعا وسريعا في أحداثه، ويشد المشاهد إلى النهاية، خصوصا بوجود بطلته الممثلة الشابة ليلي سيموندز التي اشتهرت كثيرا بعد دورها الجريء والمهم في مسلسل «بانشي». وبينما يبدو البطل جاك كتمور سكوت مقنعا في أداء دوره كشاب عابث سلبي، لا يترك أي انطباع لدى المشاهد، تظهر البطلة سيموندز كفتاة قوية الشخصية، لا تريد أن تكون رقما عابرا في حياة البطل، وبين المشاهدين. وربما تعمّد المخرج اختيار ممثلة تجذب الانتباه بجمالها وقوة شخصيتها، مقابل بطل سلبي يتلقى المصائب الواحدة بعد الأخرى. أما باقي الطاقم من الممثلين فإنهم لا يثيرون الانتباه، لأنهم مجرد أفراد مساعدين في حكاية البطل والبطل.

روح مايكل جاكسون التي حلت في محمد رمضان فحولته إلى مطرب

كمال القاضي

في منتصف التسعينيات كتب الشاعر الغنائي إبراهيم رضوان صاحب الأغنية الشهيرة «شدي حيلك يا بلد» مقالاً صحافياً في جريدة حكومية شهيرة انتقد فيه شاباً صغيراً، صرح في أحد البرامج التلفزيونية بأن مثله الأعلى المطرب الأمريكي مايكل جاكسون. ولما كانت لهجة النقد تهكمية وحادة، فقد قام والد الشاب برفع دعوى قضائية ضد الشاعر الكبير، وقضت المحكمة في حينها بالحكم ثلاث سنوات سجنا، وانقلبت الدنيا رأساً على عقب إزاء هذا الحكم، وتضامن عدد كبير من المثقفين والفنانين مع إبراهيم رضوان في حملة غير مسبوقة للمطالبة بإسقاط العقوبة، وبالفعل برأته المحكمة في جلسة لاحقة من تهمة ازدراء الشاب واعتبرت ما كتبه من قبيل النقد المباح وأقام الشاعر حفلاً كبيراً بهذا الخصوص.

ولم تكن هذه القضية الجماهيرية إلا رأياً موثقاً بحكم محكمة وانعكاساً لوجهة النظر الشعبية في مضمون ما يقدمه جاكسون من لون غنائي هو غريب بطبيعة الحال عن الذائقة الفنية والموسيقية للمجتمع المصري، وربما عزز من عملية الرفض الشعبي للمطرب الأمريكي الراحل ما تردد عن رأيه السلبي في الجمهور العربي الذي تتعاطى نسبة كبيرة من شبابه موسيقاه وأغانيه، وهو الرأي الذي مثل صدمة لقطاع كبير من الجمهور المصري الذي اعتبر التصريح عاريا من اللياقة ويمثل إهانة في حق المصريين والعرب.

وبرغم تزايد معدلات التوزيع لشرائط واسطوانات مايكل جاكسون في المحيط العربي، إلا أن فنه ظل محصوراً في دائرة الذوق الخاص جداً لدى بعض الشباب والمراهقين، ومن ثم باءت كل محاولات استنساخ جاكسون فنياً بالفشل ولم يتبق منه بعد الرحيل غير الصورة المرفوضة لشكل ومضمون أغانيه وألحانه.

ولأن الشيء بالشيء يذكر فقد جاءت الحملة الهجومية على الممثل المصري محمد رمضان بعد الحفلة الغنائية التي أقامها له كبار متعهدي الحفلات في الساحل الشمالي اتساقاً مع حالة الرفض العام للتقاليع الغربية والأمريكية في الغناء والاستعراض، ولأن الشكل الأقرب لصورة رمضان على المسرح الغنائي اقترنت بالصورة الذهنية المختزنة لمايكل جاكسون صاحب الامتياز في الخروج عن كل التقاليد والنُسق، تعالت صيحات الرفض من عموم جمهور الساحل الشمالي باستثناء الآلاف من المعجبين الذين حضروا الحفل وهم كما ذكرنا يمثلون الشرائح الشبابية المأخوذة والمفتونة بنمط الفن الأمريكي والغربي.

وبتزايد الحديث عن تفاصيل الحفل وملابساته والشكل الدعائي المختلف الذي ظهر به محمد رمضان، اتسع نطاق اللوم والنقد ووجهت العديد من التساؤلات لنقابة الموسيقيين التي سمحت بمثل هذا النشاط الفني للنجم الشاب المصنف في الأساس ممثلاً لا مطرباً حتى وإن كان قد حصل على عضوية نقابة الموسيقيين.

لكن يبدو أن الهالة التي صُنعت لرمضان وحالة الاستعداد القصوى للحفل الصيفي الكبير كانت أكبر من كل التساؤلات ولا يمكن الإحاطة بها لتكييف الردود المناسبة للإجابة الوافية عن ظاهرة الممثل المطرب الذي اكتشف موهبته الغنائية فجأة ففقر أن يدخل ماراثون الغناء من أوسع أبوابه لينافس عمرو دياب وتامر حسني ومحمد منير ويتفوق عليهم بدعم مُطلق من الواقفين خلفه والعاملين على تثبيته كحالة فنية شاملة وجوكر يجمع بين التمثيل والغناء والاستعراض ويحترف تقديم الألبومات المصورة الدالة على أعراض الزهو الكامل بالقوة والتمكن والمباهاة في مكايدة صريحة لا تخفى على المراقبين للحروب المستعرة بينه وبين أبناء الكار الغنائي الاستعراضي الذي دخله الفتى الأسمر بقدمه اليسرى حين قدم البوماته، «مافيا ما فيا» و«أنا الملك» و«القمر» وغيرها، فجلب لنفسه المتاعب وبات مشغولاً بمعاركه الصغيرة والكبيرة وموقعه على قمة النجومية التي يطمح في أن يتربع عليها بمفرده!

وتتشابه حالة رمضان مع حالات أخرى لممثلين وممثلات مصريين من نفس جيله احترفوا الغناء أو يحاولون احترافه من باب الجمع بين المجالين تحسباً لانحسار الأضواء عنهم وعدم توافر فرص عمل مناسبة لهم في السينما أو التلفزيون بعد انقضاء مرحلة الشباب، أو الرغبة في توسيع المجال التأثيري لمواهبهم الإضافية واستثمارها على نحو يضمن لهم الانتشار ويضاعف من فرصهم في إثبات الوجود والبقاء تحت الضوء لأكبر فترة ممكنة.

وتضم هذه الفئة من الراغبين في الجمع بين التمثيل والغناء مجموعة من الأسماء يأتي من بينها دنيا سمير غانم ويشرى وسمية الخشاب ومي كساب كأصوات نسائية تزاحم المطربين والمطربات الحقيقيين وتسعى للحصول على جزء من كعكة المال والشهرة، وهو ما يؤكد أن ما أقدم عليه محمد رمضان من خطوات في هذا الاتجاه كان بدافع التجريب، قياساً على حالات سابقة ثم ما لبث أن تحول إلى واقع فرض نفسه وحالفه الحظ في تحقيقه، بينما خيب آمال الآخرين فصار هو النموذج الأوحد الموضوع بين قوسين.

القدس العربي الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 143 شارع قصر النيل - الطابق الأول - شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان - الرباط
* هاتف/ فاكس: 00212 5377 23152
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الحادية والثلاثون العدد 9651 الأحد 1 أيلول (سبتمبر) 2019 – 2 محرم 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9651 Sunday 1 September 2019

بعد نشره مذكرة بحث عنها

مسنٌ فرنسي يعثر على «السيدة الجميلة» التي التقاها في حافلة نقل

باريس ـ «القدس العربي»:: آدم جابر

في خطوة، فريدة من نوعها، لاقت تفاعل عدد من الفرنسيين على منصات التواصل الاجتماعي، نشر رجل فرنسي ثمانيني، قبل بضعة أيام، مذكرة بحث عن «سيدة جميلة» كان قد التقى بها في حافلة نقل عمومي و«أغرم بها».

جان–بيير، يبلغ من العمر 86 عاماً، كتب بخط يده مذكرة البحث هذه، والتي ضمنها رقم هاتفه، قبل أن يسحب منها مجموعة نسخ ويعلقها على محطات الباص رقم 46 الذي تم اللقاء في داخله، الموجودة في الحي حيث يقطن في الدائرة الثانية عشرة لباريس وجاء فيها: «أبحث عن سيدة جميلة التقيتها في الباص رقم 46 وتبلغ من العمر 86 عاماً مثلي تماما».

نداء هذا المُسن الباريسي، حرك مشاعر سكان الحي، وقام العديد منهم بالتقاط صورة لرسالته وأعادوا نشرها على منصات التواصل الاجتماعي، كمساعدة له في البحث عن «غرامه الجديد».

في حديث مع صحيفة «لوبارزين» الفرنسية يقول جان–بيير: «سقطت تحت سحرها، لدرجة أنني كنت غبياً ولَم أفكر في أن أطلب منها رقم هاتفها قبل أن تنزل في محطتها. لقد وقعت فعلاً في حبها. كان ينبغي أن نتبادل أرقام هواتفنا. لكن ربما تكون على علاقة مع شخص آخر؟».

ويصفها قائلا: «كانت طويلة إلى حد ما، وجسمها نحيف ورشيق، وترتدي فستاناً أبيض فيه أزهار زرقاء» يوضح جان–بيير، الذي فقد زوجته منذ ثلاثة أعوام واصفاً، بكل إعجاب، السيدة المجهولة التي وقع في غرامها ويضيف: «أنا من مواليد السادس من نيسان/ابريل 1933 وهي من مواليد السادس من أيار/مايو من السنة نفسها، أي أن هناك شهرا واحداً فقط بيننا. من باب الصدفة أيضا، عندما أخبرتها بأن لدي سرطان، فأجابتني: أنا أيضاً». وأيضا، كلاهما لم يستقل مترو الأنفاق بسبب مشاكل في الركبتين.

مبادرة جان–بيير ومساعدة رواد التواصل الاجتماعي لم تذهب سدًى، حيث تمكن الثمانيني، أخيراً، من العثور على الجميلة المجهولة بعد خمسة أيام من البحث بفضل أخصائية أنساب، تأثرت من بين الآلاف الذين تأثروا بهذه القصة الغرامية، ولعبت دور «ملاك الحب» وتمكنت من العثور على السيدة المجهولة، قبل أن تتصل به وتزف إليه الخبر السعيد، وفق تصريحه هو لصحيفة «لوبارزين» مؤكداً أن أخصائية الأنساب أعطته رقم هاتف «السيدة الجميلة» وأنه اتصل بها مباشرة، وأكدت له أنها «تعيش لوحدها وأنها تريد أن تبقى علاقتهما سرية». ومن المفترض، أن يلتقي جان–بيير، غدا الاثنين، بغرامه الجديد.

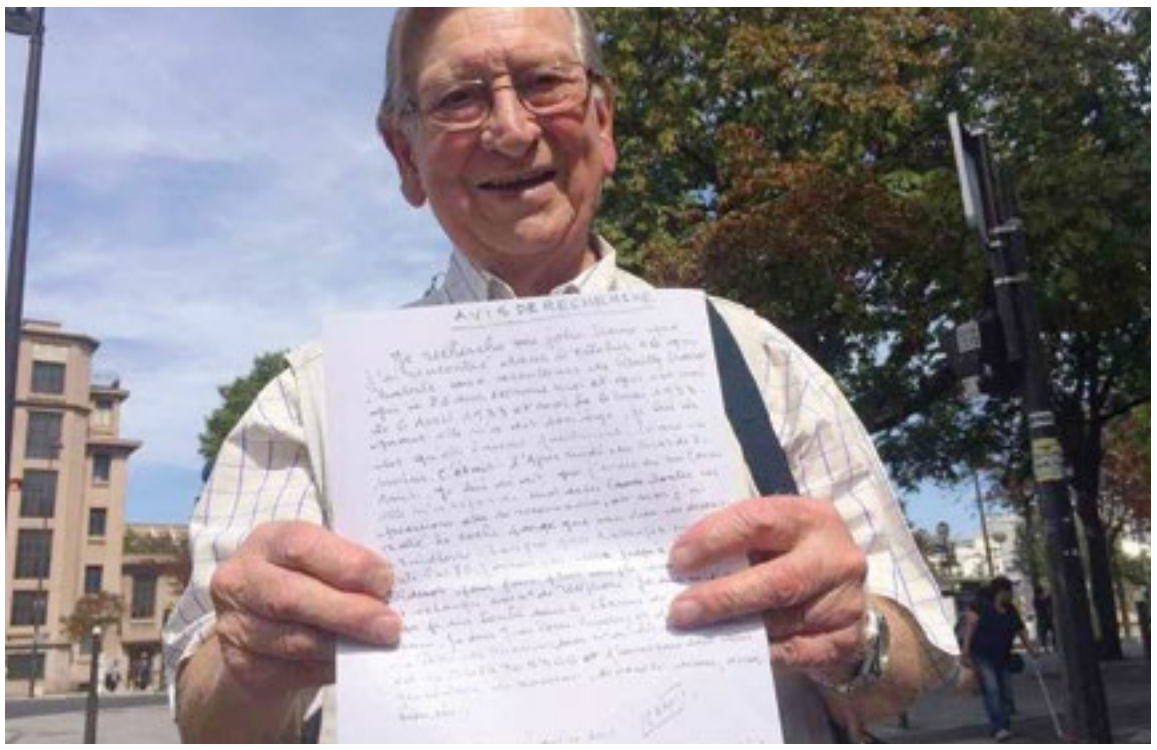

غزة: ذوو الاحتياجات الخاصة يرقصون الدبكة على كراسيهم المتحركة

إسماعيل عبد الهادي

عبير وعلي وحسام ونور ورئيسة، اتفقوا على تكوين فرقة للدبكة الشعبية على الكراسي المتحركة، رغم كل المعيقات التي وضعت في طريقهم، خاصة ذلك السؤال الذي كان يلاحقهم كيف؟ على خطوط مستقيمة يمارس هؤلاء الأشخاص الدبكة، بكل أنواعها حسب الأغاني الشعبية، ترافقهم الثقة العالية في نفوسهم ويطمحون لتمثيل التراث الفلسطيني في المحافل الدولية بأسلوبهم الجديد. للوهلة الأولى، تندهش عندما تشاهد خمسة أعضاء داخل فرقة ليست ككل الفرق، فرقة جمعتهم الإرادة تحت سقف واحد، على أنغام الدبكة الشعبية الفلسطينية بدأ التمرين بتوجيهات من المدرب هاني فطاير إلى باقي أعضاء الفريق الذي سرعان ما يلوح بيده، لتأدية الحركة نفسها التي يقوم بها المدرب بتناغم وتناسق.

تقول عبير الهركلي وهي صاحبة فكرة إنشاء الفريق «منذ صغري وأنا أحلم أن أمارس الدبكة، لكن ممارستي لها قد تأخرت، نظرا لإعاقتي فالدبكة تحتاج إلى أقدام ونحن نجلس على كراسي».

أبصرت عبير النور وهي مصابة بالشلل، فقررت المواصلة في تحقيق ما تصبو إليه. تبدأ عبير التي تقطن حي الشجاعية يومها بالعديد من الطرق الترابية بالكرسي المتحرك، حتى تصل إلى الطريق المؤدي إلى نادي السلام الرياضي، هناك حيث تمارس الدبكة.

وتقول الهركلي 25 عاما لـ«القدس العربي» إن «هناك العديد من الصعوبات التي واجهتنا خلال الدبكة، كعدم توفر كراسي متحركة خاصة تساعدنا على تأدية المزيد من الحركات بسهولة، إضافة إلى أنني أمضيت عاماً في الوصول إلى مدرب يستوعب هذه الفكرة. فعندما كنت أتواصل مع المدربين كانوا يقولون لي أن من الصعوبة أن تمارسوا الدبكة، لكن في نهاية المطاف وجدنا مدربا وقام بتدريبنا وتعليمنا العديد من الحركات إلى أن قمنا بإتقانها» مشيرة إلى أنها تسعى لأن تكون فتاة فعالة داخل مجتمعها.

وتضيف وهي تتشبث بعجل الكرسي المتحرك «نعمل في الفترة الحالية على استقطاب المزيد من ذوي الاحتياجات الخاصة لممارسة حركات جديدة تعتبر من التراث الفلسطيني، فيجب علينا تأديتها من أجل التعريف بفلسطين». بجانب الهركلي يقوم علي جبريل بتأدية الحركات مع حسام بكل مهارة، يقول كل من شاهدنا خلال العروض الثلاثة التي قمنا بها إنه يشعر بالاستغراب والدهشة فالعديد منهم استغربوا من «كيف دبكة وعلى كراسي متحركة؟».

وتابع لـ«القدس العربي»: «أشعر بالسعادة والفرح خلال ممارستي للحركات المختلفة على أنغام الأغاني الوطنية التي أسعى من خلالها لإثبات أن ذوي الحاجات الخاصة يتسلحون بالإرادة والعزيمة، وأننا قادرون على صناعة المستحيل إضافة للعمل على تطوير الفريق».

ويقول مدرب الفريق هاني فطاير «الفرقة هي الأولى التي تختص بالحركات التي تشبه الدبكة في محاولة لتقليدها، ففي بداية تدريبي للفريق واجهت صعوبات كبيرة، لكن بالإصرار والطموح والإرادة التي كانت موجودة في عيون هذا الفريق، قمنا بالتغلب على تلك الصعوبات بالعمل بروح الفريق الواحد، فالإرادة تصنع المستحيل».

وأشار لـ«القدس العربي» إلى أن الفريق يتكون من خمسة أشخاص وتم إنشاؤه منذ ما يقارب الستة شهور، ساعياً لاستقطاب المزيد من ذوي الاحتياجات الخاصة حتى تنتشر بين أكبر عدد منهم والعمل على دمجهم في المجتمع.